الجامعـــة الإســلامية - غــزة
عمـــادة الدراســـات العليـــا
كليـــــــــــــة الآداب
قـــــسم التـــــاريخ



المسلمون في الصين

(131هـ - 769هـ = 748م – 1367م)

إعداد

إياس سليم سلمان أبو حجير

إشراف الدكتور

خالد يونس الخالدي

قدم هذا البحث استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ

1430 هـ - 2009 م

غزة - فلسطين


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـداء

أهـدي جهـدي هـذا إلى فلسطين الإباء فلسطين الصمود التي رفعت رؤوس الأمـة وعـززت الأمـل في النفوس،أهدي هذا إلى أرواح الشهداء والمصابين سائلين الله أن يرحم شهدائنا ويشفي جرحانا ، ويبارك في جهود الأحياء ويثبتهم على الثواب وأن يحقق حلم وأمل ووحدة الشعب الفلسطيني ومن ورائه الأمة العربية والإسلامية .

وكذلك أهدي هذا الجهد إلى والدي الحبيبين أطال الله في عمرهما وحفظهما لما كان لهم فضل كبير بدعائهم ورضاهم ومباركتهم وإلى أخوتي جميعا . وكذلك إلى زوجتي البر والمصون رفيقة الدرب وشريكة حياتي و التي تحملت أعباء البحث ومؤازرتها .

وكذلك أهدي هذا إلى مسلمي الصين لما تربطنا بهم جذور الدين والتاريخ والذين سجلوا صفحات ناصعة من حضارة ورقي في تاريخ الإسلام و الصين والإنسانية .

الشكر و التقدير

و لا يسع الباحث هنا إلا أن يعبر عن امتنانه بالشكرالجزيل و العرفان العميق للدكتور خالد الخالدي على الإشراف على هذه الرسالة وعلى ما أولاه إياه من صبر جميل و جهد مفيد ونصح سديد مما جعلني أعجز عن ثناءه وشكره وطال الله عمره وجعله ذخراً للعلم وللإسلام والمسلمين. والشكر والتقدير للقائمين على عمادتي الدراسات العليا وكلية الآداب بالجامعة الإسلامية وأخص بالذكر قسم التاريخ و الآثار على رعايتهم ودعمهم وللأستاذ الدكتور رياض شاهين والدكتور أكرم عدوان و الدكتور يوسف الزاملي الذي تفضل بقبوله مناقشا خارجياً.

والشكر والتقدير للوالدين الكريمين على ما بذلوه من تضحيات و نصح ودعاء ولإخوتي جميعا ولزوجتي العزيزة على جهدها الدائم ومؤازرتها والشكر و التقدير للعم عبد الرحيم العبادلة على مساندته ونصحه.

والشكر والتقدير إلى مكتبة الجامعة الإسلامية وموظفيها ومكتبة جامعة الأقصى وموظفيها وإلى جميع زملائي الذين تشاركنا معا فترة الدراسة و التي أصبحت تربطنا أواصر الصداقة والاحترام ببعضنا البعض. وكذلك الشكر موصول للسفارة العمانية في بكين، الصين، على دعمهم وتزويدهم بالكتب القيمة عن تاريخ البحارة العمانيين العرب ورحلاتهم البحرية للصين.

الرمز والمعنى

م.ن.= المصدر نفسه أو المرجع نفسه

جـ = جزء

ص = الصفحة

هـ = التاريخ الهجري

م = التاريخ الميلادي

IBID = نفس المرجع للمراجع و المصادر باللغة الإنجليزية.

المحتويات

رقم الصفحة	الموضوع
ز	المقدمة
ط	تحليل المصادر
	الفصل الأول: المسلمون في الصين قبيل عام 131 هــجري
2	المبحث الأول: الأوضاع السياسية
8	المبحث الثاني: الأوضاع الاقتصادية
10	المبحث الثالث: الأوضاع الاجتماعية
12	المبحث الرابع: الأوضاع الثقافية
13	المبحث الخامس: الأوضاع الدينية
	الفصل الثاني: طرق انتشار الإسلام في الصين في العهد العباسي
16	المبحث الأول: الانتشار المبكر للإسلام في الصين
21	المبحث الثاني: انتشار الإسلام عن طريق التجارة
27	المبحث الثالث: أثر الصوفية في انتشار الإسلام
30	البحث الرابع: دور العلماء في نشر الإسلام
	الفصل الثالث: مراكز استقرار المسلمين في الصين
34	المبحث الأول: مراكز استقرار المسلمين في شرق الصين
45	المبحث الثاني: مراكز استقرار المسلمين في وسط الصين
52	المبحث الثالث: مراكز استقرار المسلمين في غرب الصين
	الفصل الرابع: الحياة السياسية للمسلمين في الصين
54	المبحث الأول: العلاقات بين مسلمي الصين و السلطة الحاكمة
67	المبحث الثاني: العلاقات الصينية مع الخلافة العباسية في دورها الأول – عــصر القوة و الازدهار
69	المبحث الثالث: : العلاقات الصينية مع الخلافة العباسية فــي دورهــا الثــاني – عصر الضعف و الانحلال و دور مسلمي الصين في هذه العلاقات
	الفصل الخامس: الحياة الاقتصادية للمسلمين في الصين
73	المبحث الأول: التجارة
79	المبحث الثاني: الصناعة

المبحث الثالث: الزراعة	**84**
المبحث الرابع: المهن الأخرى	**85**
الفصل السادس: الحياة الاجتماعية	
المبحث الأول: العادات و التقاليد	**91**
المبحث الثاني: العلاقات الاجتماعية بين المسلمين و غيرهم	**97**
المبحث الثالث: النشاط العلمي و الثقافي و الفكري لمسلمي الصين لمسلمي الصين	**101**
المبحث الرابع: الحياة الدينية	**106**
الخاتمة ونتائج البحث	**109**
التوصيات	**111**
الملاحق	**112**
المصادر و المراجع	**124**
ملخص البحث	**143**
Abstract	**145**

المقدمة:

وصل الإسلام إلى الصين منذ السنين الأولى لظهوره في الصين و بالأخص في عهد الخليفة عثمان رضي الله عنه. إذ اهتم المسلمون بالصين فوصلها أهل الدعوة والتجار. و بعد ازدياد عدد القادمين المسلمين إلى الصين، بدأت مراكز استقرار المسلمين تظهر في أماكن عدة منها، خاصة في الموانئ الشهيرة مثل ميناء خانفو، والعاصمة خمدان أو كما عرفت بالصين باسم تشانق آن. وقد سجلت المصادر التاريخية بأن عدد المسلمين في الصين وصل إلى أكثر من مائة ألف نسمة في أشهر موانئ الصين آنذاك ميناء خانفو خلال منتصف القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، وعلى مدى قرون عديدة ازدهرت التجارة العالمية بين العالم الإسلامي و الصين وتعمقت الجذور التاريخية الإسلامية الصينية في مجالات عدة. إذ للصين حضارة عريقة ممتدة في عمق التراث الإنساني و الحضاري، و شعوب شرق آسيا خاصة يعدون الصين بمثابة الحضارة الأم و مصدر التراث الثقافي لهم.

وفي وقتنا المعاصر تعتبر الصين القوة الصاعدة على الساحة الدولية اقتصاديا وسياسيا وعسكريا وثقافيا. بل إنه من المتوقع أن تصبح الصين القوة الاقتصادية الأولى عالميا مع حلول عام 2020. و يوجد في الصين الآن أكثر من مائة مليون مسلم وهذا ما يجب أن يحفز العرب ويدفعهم إلى التعرف على أحوال المسلمين السياسية والاجتماعية والدينية و المدنية. وها هي الفرصة تفتح أبوابها لنا جميعا لكي نبني جسور التواصل مع إخواننا المسلمين في الصين ولنوطد علاقات قوية بناءة و متينة مع الصين.

ومن الأسباب التي دفعت الباحث إلى تناول دراسة هذا الموضوع هي:

- خلو المكتبة العربية من دراسة أكاديمية علمية شاملة تغطي هذا الموضوع بالرغم من أهميته.
- للتعرف على كيفية وصول الإسلام إلى لصين ومتى بدأ الإسلام يضرب جذوره فيها.
- للتعرف على بداية استقرار المسلمين في الصين، وكيف بدأت هذه الجاليات الإسلامية الجديدة تستقر وتتأقلم مع المجتمع الصيني.
- للتعرف على أماكن استقرار المسلمين المختلفة على امتداد بقعة بلاد الصين الواسعة شرقا و غربا و شمالا و جنوبا.
- للتعرف على الأوضاع السكنية و المعيشية في مراكز استقرار المسلمين في الصين ومعرفة المزيد عن نوعية الأحياء السكنية للمسلمين.
- الرغبة في معرفة العلاقات السياسية التي ربطت السلطة الحاكمة الصينية مع مسلمي الصين على امتداد قرون عدة.

- الرغبة في معرفة طبيعة العلاقات بين مسلمي الصين و السلطات الحاكمة ومسلمي الصين خلال العهود المختلفة.
- للتعرف على الحياة الاقتصادية و أنماطها المتعددة من صناعة و زراعة و تجارة و مهن أخرى لمسلمي الصين. و كيف أسهم مسلمو الصين في الحياة الاقتصادية للمجتمع الصيني.
- الرغبة في التعرف على الحياة الاجتماعية لمسلمي الصين و علاقاتهم مع المجتمع الصيني، وكيف أثرت عادات و تقاليد المسلمين في المجتمع الصيني من حولهم.
- للتعرف على الحياة الدينية لمسلمي الصين، و كيف حافظوا على هويتهم الدينية الإسلامية.
- للتعرف على دور مسلمي الصين في الحياة الثقافية و الفكرية والعلمية فيها.

وقد جاء البحث في مقدمة و ستة فصول وخاتمة. أما المقدمة فقد احتوت على لمحة موجزة عن الموضوع، و الأسباب التي دفعت الباحث لدراسته، و أهم التساؤلات التي ستجيب عنها الدراسة، ثم تحليلا لأهم المصادر التي اعتمد عليها الباحث.

وأما الفصل الأول فقد تناول أوضاع المسلمين السياسية والاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية والدينية قبيل عام 131 هجري. وقد تناول الفصل الثاني طرق انتشار الإسلام في الصين خلال الحقبة العباسية، ومن هذه الطرق التجارة و العلماء و الصوفية. و قد بحث الفصل الثالث في مراكز استقرار المسلمين في الصين وخاصة على الساحل الشرقي بالإضافة إلى غرب الصين و شمال الصين. وكان الفصل الرابع عن العلاقات السياسية بين السلطة الحاكمة و مسلمي الصين. و قدم الفصل الخامس دراسة عن الحياة الاقتصادية لمسلمي الصين خاصة في المجالات الاقتصادية الحيوية التجارة والصناعة و الزراعة والمهن الأخرى. وأما الفصل السادس فقد تناول الحياة الاجتماعية لمسلمي الصين و تحدث عن عاداتهم و تقاليدهم وعلاقاتهم و أثرهم في الحياة الصينية اليومية ونشاطهم العلمي والفكري والديني.

و قد انتهى البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة وكذلك التوصيات التي يوصي بها الباحث.

تحليل المصادر:

المصادر الإسلامية التي ركزت على الصين قليلة، إذ أن معظمها تتناول ذكر فتوحات المسلمين بقيادة قتيبة في مناطق الصين الغربية، لكن القليل منها أولى الصين اهتماما خاصا، إذ رجع الباحث إلى كتابين مهمين هما رحلة السيرافي ورحلة ابن بطوطة، وافاد منهما الكثير.

لذلك فقد اضطر الباحث للرجوع إلى مصادر صينية مترجمة إلى اللغة الإنجليزية و إلى مراجع غربية باللغة الانجليزية. ويبدو أن المؤرخين الغربيين في العصر الحديث أبدوا اهتماما كبيرا بالصين لتوسيع مصالحهم الاستعمارية من جانب و كذلك من أجل البحث العلمي من جانب آخر. و قد نفعتني هذه المصادر الغربية لأن الكثير منها مترجما مباشرة من مصادر صينية أولية. هذا بالإضافة إلى وجود عدد لا بأس به من مؤرخين صينيين كتبوا وأرخوا باللغة الانجليزية. مما أضفوا أراء و رؤى أخرى من خلال عرضهم للتاريخ الصيني و المسلمين هناك.

لقد تنوعت مصادر هذا البحث من مصادر إسلامية و غربية و صينية مما أسهم في إضفاء صبغة منوعة من الروايات التاريخية و بالتالي تحليلها وفق الروايات المتوفرة من مصادر عدة. و قد أثرى تنوع المصادر التاريخية مادة البحث و النقاش و الآراء التي تلت الروايات التاريخية.

و في ما يلي تحليل لأهم المصادر و المراجع التي اعتمدت عليها الدراسة:

أولا: المصادر الإسلامية:

1- "رحلة السيرافي" ، لأبي زيد السيرافي

يعد هذا الكتاب أهم مصدر إسلامي عن تاريخ المسلمين في الصين. و ترجع أهمية هذا الكتاب إلى كون الروايات منقولة عن شاهد عيان قد سافر للصين و رأي بأم عينه الحياة اليومية لمسلمي الصين والصينيين أنفسهم، وأن الروايات نقلت في وقت مبكر و ذلك في أواخر القرن الثالث الهجري / التاسع ميلادي. و في هذا الكتاب يروي الكاتب عن حياة المسلمين في الصين من نواحي عدة ,ومنها الحياة الدينية والاقتصادية و علاقة المسلمين السياسية مع السلطة الحاكمة للصين. إن هذا الكتاب يعد بمثابة وثيقة تاريخية فيها الكثير من المعلومات القيمة عن حياة المسلمين في الصين وأطباعهم خلال القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي.

2- "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق"، للإدريسي (توفي عام)

يحتوي هذا الكتاب على معلومات مهمة عن جغرافية الصين بمناطقها المختلفة. و يتحدث عن الكثير من مدن الصين و ما اشتهرت به كل مدينة من زراعة و صناعة و مهن أخرى. وقد أفادني هذا المصدر في فصل مراكز استقرار المسلمين في الصين.

3- "رحلة ابن بطوطة"، لابن بطوطة (ولد عام 703هـ)

إن هذا المصدر مهم وقيم وفيه الكثير من المعلومات القيمة عن الحياة اليومية لمسلمي الصين. فقد عرف عن ابن بطوطة تدينه و حبه الشديد للإسلام. فقد حرص على زيارة مراكز استقرار المسلمين في مختلف المدن الصينية التي زارها و نقل أخبارهم و أسماءهم و تحدث عن حياتهم الدينية و اليومية. لقد استفاد الباحث من هذا المصدر الكثير خاصة عن الحياة الاجتماعية والدينية للمسلمين وعن شيوخهم وقضاتهم فيها. ورحلة ابن بطوطة حدثت في النصف الأول من القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، لكن المشاهدات التي نقلها ابن بطوطة من خلال رحلته لها دلالات مهمة عن حياة المسلمين في الحقبة التاريخية التي سبقت رحلة ابن بطوطة.

4- "تقويم البلدان"، لابن القيم (توفي عام)

تكمن فائدة هذا المصدر في التعرف على أسماء الأماكن و المدن التي ذكرت خلال البحث.

5- "البدء و التاريخ"، ابن طاهر (توفي عام 507هـ)

يحتوي هذا المصدر على معلومات تاريخية أولية حيث تحدث عن تاريخ العلاقات الإسلامية الصينية خاصة العسكرية منها التي حدثت في غرب الصين وأواسط آسيا. وتحدث المصدر أيضا عن العلاقات المغولية الإسلامية في بداية القرن السابع هجري/ الثالث عشر الميلادي.

المراجع الأجنبية:

وأهمها:

1- كتاب: " The Golden Paches of Samarkand: A Study of Tang Exotics "

لمؤلفه Edward H. Schafer

ترجع أهمية هذا الكتاب إلى أن المؤلف ترجم مباشرة من النصوص التاريخية الأولية الصينية إلى اللغة الانجليزية. و قد ذكر المؤلف في مقدمة الكتاب أنه ترجم من مصادر صينية أولية تعد وثائق تاريخية مهمة من التاريخ الصيني. وقد وصف المؤلف المصادر الصينية كما هي موضوعة في نظامها من الأرشيف التاريخي الصيني فمثلا هناك TS,4,3640d و CTs,89, 3357c. و اعتمد المؤلف على مصادر باللغة اليابانية عاصرت الفترة التاريخية للبحث و المتعلقة بالصين. و من هذا يبدو أن المؤلف يجيد اللغتين الصينية و اليابانية بالإضافة للغته الانجليزية.

إن هذا الكتاب يتميز بسهولة أسلوبه و دقة المعلومات و الروايات التاريخية. وقد نقل المؤلف روايات عدة من وثائق تاريخية أولية صينية. و كان يقارن الروايات في كثير من المواضيع مع باحثين يابانيين نقلوا روايات مترجمة من الصينية و تحدثوا عن عهد الأحداث

التاريخية نفسها، مما أثرى النقاش و جعل كتابه قراءة شيقة و ممتعة و فائدة تاريخية لا تقدر بثمن. ولقد أبدى المؤلف اهتماما بالتفاصيل اليومية لبعض جوانب الحياة الاجتماعية للأجانب و المسلمين الذين عاشوا خلال عهد حكم أسرة التانغ و بالأخص في القرون الأول و الثاني و الثالث الهجرية.

2- كتاب: " olumbia Chronology of Asian History and Culture"
تحرير John Bowman

يعد هذا الكتاب مصدرا تاريخيا أوليا غاية في الأهمية لأي باحث جاد في التاريخ الصيني. الكتاب عبارة عن مشروع قامت به إحدى كبرى الجامعات الأمريكية و هي جامعة كولومبيا و قام على إعداد المادة التاريخية عدد من المؤرخين المختصين في التاريخ الصيني ويتقنون اللغة الصينية. فقد ترجموا المواد التاريخية المدونة منذ ألاف و مئات السنيين مباشرة من الصينية القديمة إلى الانجليزية. إن هذا المصدر ثري للغاية لنقل الروايات التاريخية مباشرة من مصادرها الصينية المترجمة. الباحث وجد مادة ثرية في هذا المصدر عن أوضاع المسلمين خلال عصر التانغ خاصة عن أوضاع الأجانب و المسلمين في ميناء خانفو الشهير و العاصمة خمدان. شملت الروايات في هذا المصدر تفاصيل دقيقة حول وصف المدن و أحياءها المختلفة و كذلك الأسواق.

3- كتاب "Islam in Aisa: Religion, Politics and Society" لمؤلفه John Esposito

مؤلف الكتاب هو أحد المختصين المميزين في موضوع الإسلام و آسيا. وقد أفادني هذا الكتاب عن معلومات إضافية عن انتشار الإسلام في الصين. و الكتاب يحتوي على بعض الجوانب التحليلية التي أضفت إلى النقاش في ثنايا البحث.

4- كتاب "Flood Tide in China" لمؤلفه C.P. Fitzgerald

اهتم هذا المرجع المهم بأوضاع المسلمين على الأخص في ميناء كانتون خلال عهد التانغ. وقد ركز المؤلف على المسلمين في الصين من الناحية الدينية و كيف استطاع المسلمون الحفاظ على هويتهم الدينية من خلال مطالب المسلمين بتعيين قاض يتولى أمورهم حيثما وجدوا. الكتاب اعتمد على مصادر أولية صينية و يابانية و ملئ بالتفاصيل و الروايات الكثيرة عن أوضاع الجاليات الأجنبية و خاصة المسلمين منهم في أماكن استقرارهم.

5- كتاب "Mohammedanism" لمؤلفه H.A.R Gibb

أفادني هذا الكتاب في موضوع دور الصوفية في نشر الإسلام في الصين و المناطق الغربية المتاخمة لحدود الصين. لكن يبدو أن الكاتب متحيزا نوعا ما إلى الصوفية و يبالغ في معظم

حديثه عن دور الصوفية في نشر الإسلام. أفادت هذه الآراء في توسع رقعة النقاش في صفحات البحث.

6- كتاب "Chinese Religion" لمؤلفته Julia Ching

الكاتبة مؤرخة من أصل صيني و تكتب باللغة الانجليزية، مما يجعل كتابها غاية في الأهمية. لقد شعر الباحث بدقة هذه المؤلفة في الكتابة عن تاريخ الصين. فقد ذكرت العديد من الروايات التاريخية التي لم تذكر في المصادر الإسلامية خاصة تلك التي تروي بالتفاصيل الحياة الاجتماعية للمسلمين في الصين. اعتمدت الكاتبة الصينية كثيرا على المصدر الإسلامي " رحلة السيرافي". لقد أوضحت المؤرخة في الكثير من صفحات الكتاب مدى نفوذ المسلمين داخل المجتمع الصيني وتأثر المجتمع الصيني من حولهم بالمسلمين عاداتهم و تقاليدهم.

7- كتاب " Narratives and Letters of the Franciscan Missionaries in Mongolia and China in the Thirteenth and Fourteenth Centuries Narratives and Letters of the Franciscan Missionaries in Mongolia and China in the Thirteenth and Fourteenth Centuries" تحرير Christopher Dawson

تكمن أهمية هذا الكتاب كونه مصدرا تاريخيا ينقل روايات و مذكرات أسفار مجموعة من المبشرين تم إرسالهم من قبل البابا النصراني إلى الصين حيث مكثوا شهورا طويلة في شمال و غرب الصين خاصة في مدينة خانق بالق (بكين اليوم) خلال القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي. وقد استفاد الباحث من هذا الكتاب المترجم من اللاتينية إلى الانجليزية في معرفة الكثير عن استقرار المسلمين في خانق بالق و شمال و غرب الصين. وقد تحدث المبشرون في مواضع عدة من الكتاب عن عرب كانوا قد قابلوهم في الأسواق وقصور الأمراء المغوليين حتى أنهم سجلوا نقاشات بينهم وبين المسلمين. لقد ألقت هذه الروايات و المذكرات الضوء على تفاصيل و نمط حياة المسلمين في الصين في تلك الحقبة. وهنا يود الباحث أن ينوه إلى الرجوع أحيانا لروايات حدثت بعد الإطار الزمني للبحث مثلما حصل مع هذا الكتاب الذي رويت أحداثة خلال القرن الرابع عشر الميلادي. لكن المعلومات و الروايات لها دلالات مهمة عن حياة المسلمين و أوضاعهم و لو قبل قرن من الزمن. إذ أن الأوضاع الاجتماعية و التقاليد والعادات تستمر عادة مدة من الزمن قد تتغير لكن ليس بالكثير.

الفصل الأول

تمهيدي

المسلمون في الصين قبيل عام(131هـ - 748م)

المبحث الأول: الأوضاع السياسية للسملين في الصين

المبحث الثاني: الأوضاع الاقتصادية للمسلمين في الصين

المبحث الثالث: الأوضاع الاجتماعية للمسلمين في الصين

المبحث الرابع: الأوضاع الثقافية للمسلمين في الصين

المبحث الخامس: الأوضاع الدينية للمسلمين في الصين

المبحث الأول

الأوضاع السياسية للمسلمين في الصين

تكونت الجالية الإسلامية في الصين خلال القرن الأول الهجري / السابع الميلادي، من التجار المسلمين الذين كانوا يترددون عليها أو يستقرون فيها، ومن الدعاة المسلمين الذين توجهوا إليها بهدف الدعوة إلى دينهم، وكذلك من الصينيين الذين دخلوا في الإسلام.

وللتعرف على الأوضاع السياسية للمسلمين في الصين لابد من معرفة الأحداث التاريخية المهمة بين الدولة الإسلامية والصين ، وما نتج عنها من سياسات للصين تجاه المسلمين المقيمين فيها، كذلك لا بد من الإطلاع على الأوضاع السياسية داخل الصين وانعكاساتها على المسلمين هناك.

استطاعت جيوش المسلمين في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) السيطرة على بلاد فارس عام 22هـ/ 643م.[1] ورغب يزد جرد ملك الفرس ، بالاستعانة بملك الصين ليقف بجانبه دفاعاً عن بلاده من جيوش المسلمين[2] فأرسل إليه رسولاً، وقد سأل ملك الصين رسول يزدجرد أن يصف له المسلمين وجيوشهم التي فتحت بلاداً واسعة.[3] وبعد سماعه لصفاتهم كتب بكتاب إلى يزد جرد يقول فيه، "إنه لم يمنعني أن أبعث إليك بجيش أوله بمرو وآخره بالصين الجهالة بما يحق عليّ، ولكن هؤلاء القوم ما داموا على ما وصف لي رسولك صفتهم لو يحاربون الجبال لهدوها ولو جئت لنصرك أزالوني ما داموا على ما وصف لي رسولك فسالمهم وارض من المسالمة. [4]

لقد نصح ملك الصين يزد جرد بأن يكف عن مقاتلة جيوش المسلمين لتقديره و اقتناعه بقدرة وقوة الجيوش الإسلامية. فما كان من يزدجرد إلا أن أرسل بكنوزه وأمواله وميراث أبائه إلى ملك الصين طالباً اللجوء عنده ، "ويزد جرد لما رأى من غلبة العرب بعث بخزائنه وكنوزه إلى الصين"[5].

[1] ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، (بيروت، دار صادر، ط1، 1358هـ)، ج2، ص320؛ ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، (بيروت، مكتبة المعارف)، ج7، ص129-130.

[2] ابن الأثير، محمد بن عبد الواحد، الكامل في التاريخ، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1)، ج2، ص434.

[3] ابن كثير، البداية والنهاية، ج7، ص129.

[4] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج2، ص237.

[5] المقدسي، مطهر بن طاهر، البدء والتاريخ، (القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية)، ج5، ص183.

لقد اتخذ ملك الصين قرار عدم المشاركة مع الفرس في محاربة المسلمين، واكتفى بالسماح ليزدجرد باللجوء إلى بلاده لأن بلاده لا تحتاج لأعداء جدد، فقد كان مشغولاً، "بحروب على حدود إمبراطوريته، ولأن بلاد فارس بعيدة ولا خطر يتهدد بلاده من المسلمين".[1]

وقد هرب الكثير من الفرس مع عائلة كسرى إلى الصين بعد الفتح الإسلامي لبلاد الفرس فقد سمح ملك الصين للاجئين الجدد ببناء معابدهم من أجل ديانتهم وهي المجوسية وقد عرفت الصين حينذاك العديد من الديانات الأجنبية، حيث وجدت فيها بعض الكنائس النصرانية و المعابد البوذية وحظيت بحماية رسمية من ملك الصين وحكومته.[2]
استمرت الفتوحات الإسلامية تتجه شرقاً نحو الصين فوصلت جيوش الحجاج إلى الهند والسند، "ووصلت خيوله أيضاً إلى قريب من بلاد الصين."[3]

وكان ظهور القائد الفذ قتيبة بن مسلم الباهلي الذي كلفه الحجاج بن يوسف الثقفي بمهمة الوصول إلى تخوم الصين الغربية، وفي عام (88هـ– 707 م) حيث استطاع قتيبة أن يحقق نصراً "كبيراً" على الجيش الصيني وسط آسيا الذي كان تحت إمرة ابن أخت ملك الصين.[4]

وقد ذكر ابن الجوزي أنه قد عثر في ديوان معاوية بعد موته على كتاب من ملك الصين، "فيه من الصين الذي على مربطه فيل وبنيت داره بلبن من ذهب والفضة ويخدمه بنات ألف والذي له نهران يسقيان الألوة[5] إلى معاوية."[6]

وهذا يعني أنه في الحقبة الأموية كانت هناك علاقات بين الصين ودمشق مركز الخلافة الإسلامية. فمن سياق النص السابق يبدو واضحاً بأن ملك الصين حرص على إظهار عظمة ملكه واتساع ثرائه لخليفة المسلمين آنذاك. ولعل هذا التبادل الرسمي له أثره على نظرة ملك الصين نحو المسلمين عامة والمسلمين الموجودين داخل مملكته.

---

[1] Fitzgeraled , C.P. , Flood Tide in China, (London: The Crescent Press, 1958), P.324
[2] William , Edward , A short History of China, New York, Harper and Brothers, P.139
[3] اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر العباسي، تاريخ اليعقوبي، (بيروت، دار صادر)، ج2، ص289؛ ابن كثير، البداية و النهاية، ج9،ص119.
[4] ابن خياط، خليفة الليثي العصفري أبو عمر، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري، (بيروت، دار القلم، ط2، 1379هـ)، ص301 ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج4، ص186؛ الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قيماز، العبر في خبرمن غبر، تحقيق: صلاح الدين المنجد، (الكويت، مطبعة حكومة الكويت، ط2، 1948م)، ج1، ص103؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج9، ص74؛ ابن العماد، عبد الحي بن أحمد العكري، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، (بيروت، دار الكتب العلمية)، ج1، ص 98 .
[5] الألوة هي العود الذي يستخدم للبخور، ينظر:ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، (بيروت، دار صادر)، جـ4،ص145.
[6] ابن الجوزي، المنتظم، ج5، ص209.

وفي عام (96هـ- 715م) غزا المسلمون تحت قيادة قتيبة بن مسلم الصين،[1] ووصلوا إلى مدينة كاشغر.[2] وقد طلب ملك الصين من قتيبة أن يرسل وفداً للتفاوض، ولمعرفة المزيد عن الإسلام،[3] فأرسل قتيبة وفداً كبيراً بقيادة هبيرة بن المشمرج.[4]

وطلب قتيبة من هبيرة بأن يبلغ ملك الصين رسالته وهي: "أني قد حلفت ألا أنصرف حتى أطأ بلادهم وأختم ملوكهم وأجبي خراجهم."[5]

وصل وفد المسلمين المكون من ثلاثمائة رجل وعلى رأسهم هبيرة إلى عاصمة الصين. وعندما دخلوا على ملك الصين، سألهم عن سبب مجيئهم فأخبروه بأن قتيبة بن مسلم يدعوك إلى الإسلام فإن لم تفعل فالجزية فإن لم تفعل فالحرب.[6] وقد غضب الملك وأمرهم بالمكوث في دار لمدة ثلاثة أيام.[7] وفي اليوم الأخير بعث ملك الصين لهبيرة يهدده وأمره بأن يخبر قائده قتيبة بأن: " ينصرف فإني قد عرفت قلة أصحابه وإلا بعثت إليكم من يهلككم.[8] فما كان من هبيرة إلا أن رد عليه قائلاً: " تقول لقتيبة هذا فكيف يكون قليل الأصحاب من أول خيله في بلادك وآخرها في منابت الزيتون، وكيف يكون حريصاً من خلف الدنيا قادراً عليها وغزاك في بلادك."[9]

ويبدو أن مقولة هبيرة كان لها وقع على ملك الصين، حيث طلب من أعوانه العمل على تلبية شروط قتيبة، فأرسل بتراب من الصين لكي يطأه قتيبة ومعه أربع غلمان من أبناء الملوك ليختمهم وكذلك ذهباً وحريراً[10].

ويتضح لنا من ذلك مدى حرص ملك الصين على ألا يستفز الجيش الإسلامي بقيادة قتيبة. وأن الملك كان على معرفة جيدة بقدرات المسلمين القادمين من أقصى غرب آسيا ليدقوا بوابات أقصى شرق آسيا حاملين رسالة مقدسة للإنسانية. لقد عرف عن ملوك الصين قديماً الحكمة والحنكة. ويمكن القول هنا بأن ملك الصين استخدم حكمة بلاده المعروفة لتفادي الاصطدام بجيوش

[1] الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1)، ج4، ص30؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج17، ص12؛ ابن الأير، الكامل في التاريخ، ج 4، ص189؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج9، ص140.
[2] هي أدنى مدائن الصين، ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ص290.
[3] الطبري، تاريخ الطبري، ج4، ص31.
[4] م.ن.،ج4، ص31.
[5] الطبري، تاريخ الطبري، ج4، ص30؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ،ج4، ص290.
[6] ابن كثير، البداية والنهاية، ج9، ص141.
[7] م.ن، ج9 ، ص141.
[8] ابن الأثير، الكامل في التاريخ،ج4، ص290 .
[9] ابن كثير، البداية والنهاية، ج9، ص142.
[10] م.ن.،ج9، ص142.

المسلمين، ولو كان ذلك على حساب كرامته وكرامة الصين. "فإن مثل هذا الإذلال الذي أصاب ملك الصين يقوم مقام الفتح لهذه البلاد أو يزيد."[1]

ومما يزيد الدهشة والإعجاب في هذا الموقف، تجرؤ جماعة من المسلمين على تهديد الإمبراطورية الصينية القوية التي تعد الشرق بأسره خاصة في تلك الحقبة التاريخية. فلولا إيمان هؤلاء المسلمين وتوكلهم على الله عز وجل، لما ثبتوا أمام ذلك الملك وبلاده العظيمة. وما كان الملك ليذعن لشروطهم لولا ما رأى أمام عينيه من صلابة إيمانهم.

يقول أحد المؤرخين الغربيين المعاصرين معقباً على ذلك الموقف التاريخي للرسل المسلمين أمام ملك الصين: " إنه لشيء عجيب أن يرفض هؤلاء الغرباء الفخورون أداء المراسيم الحاصة بالصينيين داخل القصر الملكي و التي يطلق عليها مراسم كوتاو"[2]. إذ أعلن المسلمون حينها أنهم لا يركعون إلا لله (سبحانه و تعالى) وليس لأي عبد على وجه هذه الأرض، فما كان من الملك إلا أن سمح لهم بالحديث بدون مراسم قصره المعتادة ولكن بامتعاظ. ويشير المؤرخ الغربي إلى حدث شبيه، ولكنه وقع بعد أكثر من ألف عام، عندما حضر وفد بريطاني أمام ملك الصين الذي أصر على الوفد أن ينصاع لمراسيم القصر ومنها الركوع أمام الملك، فانصاعوا لأمره وركعوا.[3]

ويبدو واضحاً بأن موقف وفد المسلمين مخلداً ليس فقط عند المسلمين ومؤرخيهم بل يذكر ويقارن حتى بعد أكثر من ألف عام من قبل مؤرخين غير مسلمين، ويثير مقارنة تاريخية عجيبة. إن عزة الإسلام ليس بعدها عزة، فوفد هبيرة وقف بكل شجاعة وإباء ليعبر عن رسالة واضحة لا شك فيها وهي رسالة العبودية لله وحده.

وكذلك في عهد هشام بن عبد الملك بن مروان، وصلت جيوش المسلمين إلى أرض الصين ودعا ملكها إلى الإسلام.[4]

لقد كان للفتوحات الإسلامية في وسط آسيا وقع مؤثر و كبير على حكام الصين، ولابد أن هذه الفتوحات قد أثرت على تعامل هؤلاء الحكام مع المسلمين بوجه عام، ومع التجار المسلمين المقيمين في الصين و الذين يتعاملون معها.

---

[1] العاوور، صلاح حسن، تاريخ الخلافة الأموية الجهادي والمالي، (رفح، مكتبة إيهاب، ط1، 1994م)، ص72.
[2] Fitzgerald, C.P, Flood Tide in China, P32.
[3] IBID, P. 326
[4] اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج2، ص316؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج1، ص164؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج4، ص292.
4. أحمد، محمد حسن، الإسلام والحضارة العربية في آسيا، ص 75.

لقد ركزت جهود الأمويين بعد قتيبة على تثبيت أقدام المسلمين في آسيا الوسطى ونشر الإسلام فيها.[1] وآسيا الوسطى تعني من الناحية التاريخية والجغرافية أجزاء من الصين والمناطق الأصلية للشعوب والقبائل التركية.[2]

مع بداية القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي، سيطرت أسرة التانغ (Tang) على حكم الصين، وأصبحت الصين خلال هذه الحقبة من أعظم الحضارات وأوسعها نفوذاً وثراء. وأسست أسرة تانغ الحاكمة عاصمة لهم باسم "تشانق آن" (CHANG'AN)، والتي رجح بأنها كانت أكبر مدينة في زمانها. لقد خطط المصممون والمهندسون لهذه المدينة شوارع عظيمة وطويلة تمتد من الشمال إلى الجنوب،[3] فوصل للعاصمة العظيمة تجارا من جميع أنحاء العالم وخاصة من غرب آسيا وعاش الكثير من الأجانب والتجار في هذه العاصمة الحيوية من العرب واليونانيين والهنود والفرس واليابانيين.[4]

كانت العاصمة الإمبراطورية الصينية آنذاك وغيرها من المدن الصينية الكبيرة مزدحمة بالأجانب ومن ضمنهم المسلمين. فحكام التانغ كانوا منفتحين على العالم وأبدوا عهدها اهتماما كبيراً بالأجانب والثقافات المتعددة الموجودة في العاصمة أو في مدن أخرى من الصين. فقد كانت حضارة واثقة من نفسها وخاصة في بداية عهدها،[5] ومن المؤكد أن المسلمين قد استفادوا من هذه السياسة المنفتحة.

لقد تميزت العلاقات بين السلطة الحاكمة والجاليات الأجنبية ومنها المسلمين، "بالسهولة والسلاسة."[6] وبذلك ازدهرت علاقات الصين مع العديد من الدول الأخرى فزادت النشاطات التجارية، وقدمت السفارات الأجنبية لعاصمة الصين محملة بالهدايا والأفكار الجديدة . فانتعشت حياة الأقليات الأجنبية.[7] ويبدو أن الصين اتبعت سياسة حماية الأجانب ومنهم العرب والمسلمين وغيرهم وحسنت معاملتهم لما يحققه ذلك من فائدة تجارية ومكانة مرموقة بين الدول.

1. الجنابي، هيثم، الإسلام في أوراسيا، (بيروت، دار المنتدى للثقافة والنشر، ط1، 2003م)، ص11.
[2] Findling, John,Thackeray, Frank, the History of China (Greenwood Press, 2001)P67
[3] Bowman, John, Columbia Chronology of Asian History and Culture (Columbia University, 2000) P.102

[4] Bowman, John, Columbia Chronology of Asian History and Culture, P.104
[5]Findling , John , The History of China P.69
[6] Holcombe, Charles, Southern Integration: The Sui-Tang (581-907) Reach South. The Historian,66, No.4, 2004, P.4
[7] Williams , Edward, A Short History of China , P.156

كانت الصين في تلك الحقبة تخضع لنظام إداري صارم من قبل الحكومة. فكان هناك أكثر من 18.805 موظف حكومي لإدارة البلاد بمعاشات منتظمة مع تعداد سكاني للصين آنذاك وصـــل لخمسين مليون نسمة.[1]

وكان على كل فرد بما فيهم الأجانب المقيمين تسجيل وتوثيق أسمائهم في أماكن إقامتهم من خلال موظفي الحكومة، وكان على المقيمين الأجانب تسجيل أسمائهم في مكان إقامتهم وأن يحملوا معهم وثائق سفر خصصت لهم.[2]

ومن هذه الحقائق المذكورة سابقاً، نستطيع أن نتصور مدى المدنية التي وصلت إليها الصين خلال عصر التانغ[3]. وعلى الأرجح أن وجود المسلمين في الصين آنذاك قد خضع لمعاملات رسمية حكومية بالإضافة إلى الترحيب الرسمي بالمسلمين وغير المسلمين وذلك رغبة من قبل الحكومـــة باستقطاب التجار الأجانب وتأسيس علاقات رسمية مع دول أخرى لما يعود ذلـــك بالفائـــدة علـــى الصين نفسها.

[1] Hugh, Ray, China: A Macro History,(Armok., NY: M .E. Sharpe.) ,P. 100
[2] Holcombe, Charles, southern Integration, P. 1
[3] ينظر: ملحق 1-1، خريطة الصين خلال عهد التانغ.

المبحث الثاني

الأوضاع الاقتصادية للمسلمين في الصين

أما عن الأوضاع الاقتصادية في الصين قبيل عام 131هـ/ 750م، فقد كانت أسرة التانغ هي الأسرة الحاكمة في الصين وقد أصبحت الصين في عهدها من أعظم دول العالم ازدهاراً ورواجاً للتجارة العالمية.[1]

وكان التجار العرب متمرسين بالسفر إلى الصين، وقد عرفوا جيدا جغرافية المسار والإبحار للصين من الجزيرة العربية.[2] ففي عهد الإمبراطور " شوان زونغ،" (XuanZong)،[3] (93 هـ – 138هـ = 712م إلى 755م)، ارتفع تعداد الشعب الصيني، وأصبح الازدهار الاقتصادي أهم ما يميز عهد الإمبراطور شوان زونغ.[4]

كذلك توسع تجارة هونغ كونغ مع بقية آسيا خاصةً مع بلاد الفرس والهند، ووصلت التجارة إلى أهم مدينة على ساحل الصين الشرقي ألا وهي مدينة كانتون (canton).[5]

كذلك أصبحت عاصمة الصين في عهد التانغ مدينة تشانغ آن(Chang An) مركزا اقتصاديا مهما للمسلمين وغيرهم أسوة بالمدن الساحلية، فقد أسس مسجد للمسلمين التجار و كذلك للنصارى السوريين في العاصمة (Chang An).[6]

لقد كان للتجار المسلمين ميزات اقتصادية واجتماعية و دينية خلال القرن الثاني هجري/ الثامن ميلادي، ومنها السماح لهم ببناء مسجد في العاصمة الصينية والتعامل التجاري مع أهم المدن التجارية الساحلية مثل هونغ كونغ ومدينة كانتون كما ذكر سابقاً .
وفي هذه المدة اشتهر في الصين صناعة الورق، وانتشرت صادرات الورق خارج حدود الصين.

وقد ذكر ابن النديم في كتابه الفهرست عن الورق الصيني والتعامل به من قبل تجار قدموا من الصين.[7] ومع أن عصر ابن النديم أتى لاحقاً بعد القرن الثاني الهجري، إنما يدل على رواج التجارة في الورق الصيني وعلى حركة التجار المسلمين بين الصين والعالم الإسلامي التي كانت نشطة ومتواصلة.

---

[1] Findling, John, The History of China, P.69

[2] خسرو ، ناصر ، سفر نامة ، (بيروت ، دار الكتاب الجديد، ط3)، ص69؛ الطبري، تاريخ الطبري، ج2، ص440.

[3] Bowman, John, Columbia Chronology of Asian History and Culture, P.105.

[4] IBID. P.105

[5] IBID. P.238

[6] IBID. P.104

[7] ابن النديم، محمد بن اسحق، الفهرست، (بيروت،، دار المعرفة)، ص60.

لقد عرف أن التجار الأجانب في تلك الحقبة لم يخضعوا لدفع ضرائب للدولة.[1] وقد يفسر ذلك كسياسة اقتصادية من قبل حكومة الصين لتشجيع التجار المسلمين بالتجارة مع بلادهم وترويج النشاط الاقتصادي المتبادل.

لقد كان طريق الحرير التجاري له دور مهم للغاية في ازدياد الحركة الاقتصادية بين المسلمين والصين في عهد التانغ[2] .كذلك أصبح الدينار الفضي الإسلامي أهم عملة يتعامل بها التجار على طريق الحرير. فشجع هذا النظام المالي الجبايات والضرائب المتزايدة بين الصين والعالم الإسلامي.[3] فعظم نفوذ الدولة الخزرية الواقعة على طريق الحرير ووسعت دولتهم معتمدة على الضرائب المكتسبة من التجار المسلمين وبالتالي وفرت الحماية للقوافل والتجار.[4]

إن اعتماد الدينار الفضي الإسلامي كعمله دولية آنذاك للتعامل بين التجار في طريقهم من وإلى الصين، يعزز من مكانة التجار المسلمين ووجودهم داخل الصين. وقد نعتبر أن الدينار الفضي كان بمثابة العملة الصعبة في تلك الحقبة وهي عملة ترجع للمسلمين مما يجعل للتاجر المسلم ومكانته الإقتصداية التجارية في السوق الصيني ميزة خاصة و اهتمام من قبل التجار الآخرين بالإضافة لمعاملة خاصة أيضا من جانب الحكومة الصينية الطامحة لاقتصاد قومي ونفوذ أوسع لإمبراطوريتها.

---

[1] Fitzgerald, C.P. , Flood Tide in China, P.315
[2] Christian, David, Silk Road or Steppe Road? The silk road in world history, Journal of world history, Vol.11, 2000, P18
[3] IBID. P20
[4] IBID. P.20

المبحث الثالث

الأوضاع الاجتماعية للمسلمين في الصين

أما عن الأوضاع الإجتماعيه للمسلمين في الصين قبل عام 131هـ/ 750م، فقد عرف عن حكام أسرة التانغ خاصة خلال القرن الهجري الأول/ السابع الميلادي بانفتاحهم واهتمامهم بالعالم الخارجي، وكذلك بتقبلهم للجاليات المسلمة و الأجنبية في مجتمعهم.[1]

في القرن الهجري الأول / السابع اليملادي، وصل الكثير من العرب واستقروا في مدينة كانتون الساحلية الشرقية،[2] وقد تم بناء مسجد قبيل منتصف القرن الأول الهجري/ القرن السابع الميلادي.[3] لقد حدث هذا زمن سيطرة العرب على خطوط التجارة البحرية المؤدية للصين، وكذلك على الخط البري الرئيسي وهو طريق الحرير عبر وسط آسيا[4] وقد رحبت عاصمة الإمبراطورية الصينية تشانغ آن بالعرب في مدينتها. ومما عزز تلك العلاقات الاجتماعية في العاصمة نفسها وفى مدينة كانتون كما ذكر سالفاً ، وصول العديد من البعثات الرسمية العربية لبلاط الإمبراطور.[5]

وكانت تلك الحقيقة من عهد تانغ، هي بداية نمو الجالية الإسلامية في الصين فقد ازداد عددهم ونما الإسلام هناك بالطرق السلمية[6] . فلقد عرف عن الإمبراطور الصيني " توفو " (Tufu) (93 هـ- 153 هـ=-712م-770م)، حبه للشعر وكرهه للحروب وتعاطفه مع العامة في مجتمعه.[7] فقد شجعت هذه الأجواء العامة على تخالط الفئات المختلفة من الأجانب بما فيهم المسلمون مع الصينيين ومع بعضهم البعض.[8]

وقد روى عن أحد الرحالة العرب أنه وجد الكثير من المسلمين مستقرين في مدن عدة وأن أوضاعهم كانت مزدهرة وأعدادهم في ازدياد، لكن الرواية تذكر بأن هذا الرحالة لم ير مسلماً من أصل صيني بل هم مسلمون قادمون من بلاد إسلامية.[9] ولانستبعد صحة هذه الرواية التي تشير إلى عدم وجود مسلمين من أصل صيني.

---

[1] Fitzgerald, C.P., Flood Tide In China, P.321
[2] IBID. P139
[3] IBID. P139
[4] IBID .P139
[5] IBID. P.139
[6] Williams, Edward, A Short History of China, P139.
[7] IBID, P.157
[8] IBID. P.157
[9] Fitzgerald, C.P., Flood Tide in China, P.329

فالإسلام وصل الصين مع بداية القرن الأول الهجري / السابع الميلادي. ومن الطبيعي أن يكون هناك مسلمون قدموا من خارج الصين لأن الإسلام لم ينتشر بعد داخل المجتمع الصيني ليصل إلى أجيال جديدة.

وقد عرف عن الصينيين أنهم أولو نزعة " إستعلائيه،" إلا انه في عهد التانغ كانت العلاقات الإجتماعيه قوية مع المسلمين والأجانب عامةً، وتم الترحيب بهم في العاصمة العظيمة وكذلك في أهم المدن الصينية الساحلة التجارية.[1] وقد يبدو هذا مساراً اجتماعياً طبيعياً للعلاقات بين المسلمين والصينيين في عهد التانغ . فالصين كانت تتمتع بمكانة مرموقة بين الأمم وكذلك العالم الإسلامي الذي كان فتياً وفرض نفسه كقوة عظمى سياسية واقتصادية.فليس هناك شك بأن تكون الأوضاع الاجتماعية للمسلمين في الصين في أحسن وجه، بل وقد يحرص الصينيون على العناية والاهتمام بالجالية المسلمة للحفاظ على العلاقات الدولية والمصالح التجارية.إضافة لما تمتع به المجتمع الصيني من ازدهار اقتصادي وثقافي، وبالتالي له الأثر الإيجابي على علاقته بالمسلمين. لقد كان مجتمع التانغ مجتمعاً مستنيراً منفتحاً على العالم، وقد أدى إلى علاقات جيدة مع المسلمين في المجتمع الصيني، وكما قيل فإن المجتمع الصيني لم يشهد مثل هذا الانفتاح إلا في القرن العشرين.[2]

أما من ناحية الكوارث الطبيعية، فقد كان للصين نصيب كبير منها خلال القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي. فقد حدثت فيضانات هائلة في عام 86 هـ= 705م، ودمرت مدن كثيرة ومزارع عديدة.[3] بعدها بسنوات قليلة حدث جفاف ومجاعة عامة في الصين.[4] ففى المدة من (93 هـ- 94 هـ= 712م-713)، حصلت مجاعات شديدة بسبب الجفاف، وقد أثرت على سكان العاصمة الكبيرة تشانق آن.[5] بالرغم من ذلك ، فقد زاد تعداد الشعب الصيني إذ وصل عدد الصينيين في عام 19 هـ= 640م إلي 41.419.712 مليون نسمه. وقد استمرت الزيادة السكانية إلى أن وصل العدد إلى 52.88.488 مليون نسمه عام 137 هـ/754 م.[6]

إن عدد السكان الكبير الذي وصلت إليه الصين يدل على استقرارها و ازدهارها الاقتصادي، فبالرغم من الكوارث الطبيعية التي حلت بالناس، إلا أنها لم تؤثر جذرياً على المجتمع الصيني، ولا تتوفر لدينا المعلومات عن أثر هذه الكوارث على المسلمين في الصين.

---

[1] Fitzgerald, C.P., Flood Tide in China. P.321
[2] Findling, John, The History of China, P.73
[3] Bowman, John, Columbia Chronology, P.105
[4] IBID, P.105
[5] IBID, P.105
[6] IBID, P.105

المبحث الرابع

الأوضاع الثقافية للمسلمين في الصين

عرف العرب والمسلمون عن الصين ومكانتها العلمية من خلال حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، " اطلبوا العلم ولو بالصين. "[1] وفي هذا الحديث إشارة إلى ما تميزت به الصين من علم في ذلك الوقت.

ولننتقل إلى داخل الصين ونتعرف على انجازاتها العلمية والثقافية كما ذكرتها المصادر التاريخية، وكيف تأثر المسلمون أو أسهموا في الحياة الثقافية داخل المجتمع الصيني.

فلقد عرف عن عصر التانغ بأنه كان عصراً زاخراً بالعلوم والإنجازات الفكرية والفنية في الحضارة والصينية.[2]

لقد تميزت هذه الحقبة بانتشار الفنون والرسم والنحت والشعر أكثر من أي حقبة أخرى في تاريخ الصين كما تقبلت أفكاراً أجنبية، ومنها ما أسهم به المسلمون في المجتمع الصيني،[3] وكما ذكر سابقاً، فقد تم بناء مساجد للمسلمين في المدن الرئيسية في الصين. ويعني هذا أن المساجد كانت كما هي عبر العصور، تمثل النواة الرئيسية لنشاط المسلمين دينياً وثقافياً واجتماعياً.

فالمساجد ليست دوراً للعبادة فقط وإنما كانت مدارس للثقافة الإسلامية.[4] ويرى أحد المؤرخين العرب المعاصرين بأن فتوحات قتيبة كانت "جهوداً" أخرى في ميدان الدعوة إلى الإسلام ونشر الثقافة العربية.[5]

وقد نتصور هنا مدى تأثر البعد الإسلامي الثقافي من جراء المزيج الاجتماعي في العاصمة الصينية تشانق آن. وأن الصينيين على المستوى الرسمي أبدوا اهتماماً بالثقافة الجديدة الدينية التي وصلت لهم عبر التجار المسلمين والبعثات الرسمية. بدون شك، هناك أثر ثقافي إسلامي لمسلمي الصين عبر بناء مساجدهم ونشاطهم التجاري المنتشر في أكبر المدن الصينية وأكثرها نفوذاً.

فلقد وصف إمبراطور الصين "سوان تسونغ" بالإمبراطور العبقري في أوائل القرن الثاني الهجري / الثامن ميلادي، وذلك لشغفه الشديد بجميع أنواع الثقافة والفنون والأدب.[6]

---

[1] الكتاني، عبد الحي الإدريسي الحسني، التراتيب الإدارية، (بيروت، دار الكتاب العربي)، ج2، ص348.
[2] Fitzgerald, C.P, Flood Tide in China, P304
[3] IBID. P.339
[4] أحمد، محمد حسن، الإسلام والحضارة العربية في آسيا، ص120
[5] م . ن.، ص120.
[6] William, Edward, A Short History of China, P.149

المبحث الخامس

الأوضاع الدينية للمسلمين في الصين

انتشر الإسلام في مناطق الصين الشمالية الغربية[1] خلال القرن الأول الهجري والنصف الأول من القرن الثاني الهجري.[2] وأصبحت اللغة السائدة في تلك المناطق متأثرة إلى حد بعيد باللغة العربية والتركية.[3]

وكان أول مسجد للمسلمين في الصين قد بني في أوائل القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي في كانتون بجنوب الصين.[4] و ما يزال المسجد والمنارة الملاصقة له موجودان إلى الآن كما توجد مقبرة للمسلمين بجانب المسجد.[5] إن وجود المسجد قائماً إلى زماننا بالرغم من مرور أربعة عشر قرنا على بنائه ليدل على قدم واستمرار الوجود الإسلامي على أرض الصين. ولا عجب أن يكون أول مسجد بني في مدينة كانتون، فهي المدينة التجارية الأولى، وقد وصلها المسلمون، بدون شك، عبر الإبحار من الشرق، فأسسوا مسجد كانتون لممارسة حياتهم الدينية .

وأيضاً كان هناك مسجد في العاصمة الصينية نفسها تشانق آن.[6] وقد عرف عن مدينة تشانق آن انفتاحها على معظم الديانات المتواجدة في الصين أو القادمة من الخارج.[7] وهذا يعني أن مسلمي العاصمة تشانق آن قد واصلوا حياتهم الدينية بحرية في مسجد المدينة. ولأنه لم تصلنا معلومات عن مساجد أخرى في المدينة، فقد يكون ممكناً أنه تم بناء مساجد أخرى من قبل تجار مسلمين أثرياء لكن لم تسجلها كتب التاريخ الأولية. وإن كان هناك مسلمين وتجار عرب في العاصمة، فمن الأرجح أنهم توسعوا بنشاطهم الديني والدعوي لإمكانياتهم المادية الكبيرة وروح التسامح الإسلامية السائدة ولطبيعة حكام الصين المنفتحة آنذاك.

ويبدوا أن حكام الصين في تلك الحقبة قد أسهموا في بناء كنائس للنصارى فقد ذكر أن زوج الإمبراطورة "آو" والذي بنى العديد من الكنائس رغم كونه بوذي متدين.[8] وهنا يقارن أحد المؤرخين الغربيين روح التسامح عند الصينيين بروح التعصب حسب زعمه عند الإسلام، قائلا، " أرغم محمد (صلى الله عليه وسلم) القرآن بالسيف لكي يحول شعوب غرب آسيا للإسلام."[9]

---

[1] Lattimore, Owen, Pivot of Asia, (Boston : Little, Brown & company), P.13
[2] IBID. P.13
[3] IBID. P.13
[4] Ching, Julia, Chinese Religion, (London: Macmillan, 1993), P.178
[5] IBID. P.178
[6] Bowman, John, Columbia Chronology, P.104
[7] IBID. P.104
[8] William, Edward, A Short History of China, P.146
[9] William, Edward, a Short History of China. P.138.

وقد يعجب الإنسان لهذه المقولة المجحفة بحق الواقع التـاريخي وكيـف انتـشر الإسـلام بالسرعة المذهلة خارج الجزيرة العربية. ونقول لو أن القرآن انتشر بقوة السيف كما ذكر المـؤرخ الغربي، فلماذا بقيت هذه الشعوب على الدين الإسلامي في حقب لاحقة ضعف فيها السيف.

إن هذه المقولة، رغم تكرارها في الأدب الغربي، ليست مبنية على حقيقة علمية وتاريخيـة راسخة. فالتاريخ يشهد أن الفاتحين المسلمين قد أعطوا للشعوب أن يختاروا إما الإسلام أو الجزيـة أو الحرب. وأن الشعوب في منطقة غرب آسيا كما في مناطق أخري، قد اختارت الإسلام و بقيت متمسكة بدينها إلى يومنا هذا.

الفصل الثاني

طرق انتشار الإسلام في الصين في العهد العباسي

المبحث الأول: الانتشار المبكر للإسلام في الصين

المبحث الثاني: انتشار الإسلام عن طريق التجارة

المبحث الثالث: أثر الصوفية في انتشار الإسلام

المبحث الرابع: دور العلماء في نشر الإسلام

المبحث الأول

الانتشار المبكر للإسلام في الصين

إن انتشار الإسلام في الصين منذ القرون الهجرية الأولى لـــه علاقـــة مباشـــرة بمعرفـــة المسلمين الجغرافية للصين والطرق المؤدية إليها. فقد ظهرت هذه المعرفـــة فـــي كتـــب التـــاريخ والجغرافيا عند المسلمين، إذ وصف الطبري مدينة الأبله بمرفأ السفن القادمة من الصين[1].

وقال ناصر خسرو واصفاً الوصول إلى الصين بحراً: "وواصل السير في البحر حتى بلغ ساحل اليمن ومن هناك إلى ساحل عدن فإذا جاوزه ينتهي إلى الهند وهكذا في الصين"[2].

وقال ياقوت في وصف هذاً الطريق البحري: " ثم المعبر وهو آخر بلاد الهنـــد ثـــم بـــلاد الصين فأولها الجاوة،، يركب إليها في بحر صعب المسالك سريع المهالك ثم إلـــى صـــريح بـــلاد الصين"[3].

ويذكر لنا يا قوت معلومة مهمة عند ذكر مدينة سمرقند؛ إذ يقول: " مكتوب علـــى بـــاب سمرقند بالحميرية بين هذه المدينة وبين صنعاء ألف فرسخ وبين بغداد وبين أفريقيا ألف فرسخ"[4].

وهذا يعني أن مدينة سمرقند الواقعة في آسيا الوسطى على طريق الصين قد عرفت عنـــد العرب منذ عهد اللغة الحميرية في اليمن. ووصفت الصين، " والإقليم العاشر فيه أعلى بلاد الصين ومن مدنه الشهيرة خانكو[5]"[6].

إن آسيا تنقسم إلى قسمين فهناك آسيا الصغرى وهي العراق وفارس وخراسان، وآســـيا العظمى وهي الهند والصين والترك."[7] وكذا خراسان مشرق لنا ومغـــرب لأهـــل الـــصين." [8] "وممالك الهند المتصلة ببلاد الصين والواقعة في جزر البحر الهندي"[9].

---

1 - الطبري، تاريخ الطبري، ج2، ص440.

2 - خسرو، سفر نامة،ج1، ص 68.

3 - ياقوت، معجم البلدان، (بيروت، دار الفكر)،ج1 صـــ345.

4 - م.ن.، ج3، صـ 148.

5 خانكو وهي مدينة جليلة بديعة البناء بهجة الأسواق حسنة البساتين والرياضات كثيرة الفواكه ويصنع بها الغضار الصيني وثياب الحرير.... وهي على خور كبير يحيط بها ويصعد في هذا الخور إلى عدة من بلاد الصين، ينظر: الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، (بيروت ، عالم الكتب،،ط1، 1989م)،ج1،ص97.

6 - ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي، مقدمة بن خلدون، (بيروت، دار القلم، ط5، 1984)، ج1، صـــ57.

7 - ياقوت، معجم البلدان، ج1، صـــ54 .

8 -ابن جعفر، قدامة، الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق: محمد حسين الزبيدي،(العراق، دار الرشيد، ط1)، ج1، ص159.

9 - القلقشندى، أحمد بن على، صبح الأعشى في صناعة الإنشا،، تحقيق: يوسف على طويل، (بيروت، دار الكتب العلمية)، ج1، ص44.

ومنها بدأ الإسلام يسلك الطرق البحرية والبرية متجهاً شرقاً من الجزيرة العربية ثم عبر آسيا الوسطى ومنها إلى الصين. وكما ذكر سابقاً ، فإن فتوحات قتيبة مهدت لانتشار الإسلام عبر الطرق البرية المؤدية إلى للصين.[1] "إنما يكفيك أن ينادي منادي من أسلم رفعنا عنه الخراج فيأتيك خمسون ألفاً أسمع من هؤلاء وأطوع."[2] وقد ذكر هذا الوصف لدخول الكثير من الناس في الإسلام في بلاد مرو القريبة من الصين.[3] وقد عرفت الإمبراطورية الصينية عن الخلافة العباسية ووصفتهم، " بالعرب ذوو الملابس السوداء،"[4] وأصحاب الأعلام السوداء العباسية.[5] ويعلق أحد المؤرخين الغربيين أن الفتوحات العربية في وسط آسيا وغرب الصين كان لها علاقة مباشرة بانتشار الجاليات المسلمة في الصين وأيضاً روسيا.[6] كذلك يعلق مؤرخ آخر على انتشار الإسلام بأن المسلمين وجدوا ترحاباً وقبولاً من قبل السلطة الحاكمة في الصين خلال القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي.[7] وقد تواجد المسلمون في العاصمة تشانق آن. [8]. فالفتوحات الإسلامية في وسط آسيا فرضت أنواعاً من الاتصال والتواصل مع الصين.[9] ويضيف بأن الإسلام انتشر في
الصين بشكل عام بطرق سلمية. [10] وفي أثناء هذه المراحل انتشر الإسلام في بلاد الترك وفي بلاد ما وراء النهر." [11]

وكانت بلاد ما وراء النهر أرضاً خصبة لتطوير الكثير من الحواضر الإسلامية الثقافية الرفيعة[12] التي أسهمت في انتشار الإسلام و الثقافة العربية. يتبين مما سبق أن انتشار الإسلام مع الفتوحات الإسلامية في بلاد ما وراء النهر قد أسهمت بشكل كبير في وصول الإسلام إلى الصين. وقد استطاع العباسيون فرض الحماية لبلاد ما وراء النهر والطرق المؤدية للصين، مما ساعد بطريق غير مباشرة بتنشيط الدعاة لنشر الإسلام، بالإضافة لنجاح الإدارة العربية في حل المشكلات المحلية، مما رفع قدر الحضارة الإسلامية في نظر الناس. [13]

---

1 - ابن كثير، البداية والنهاية، ج9، ص84.
2 - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 4 ، ص186.
3 - م.، ن.، ج4، ص 168 .
4 - Fitzgerald , c.P, China: A Short Cultural History, P.327
5 - IbID, P.327
6 - ESPDSITO, John, Islam in Asia: Religion, Politics and Society, (New York, Oxford University Press, 1987)
7 - Williams , Edward , A Short History of China , P.139.
8- IBID, P139.
9 - IBID, P139
10 - IBID, P139
11 - الجنابي، الإسلام في أوراسيا، صـ182.
12 - م.ن.، صـ182.
13 - أحمد، محمد حسن، الحضارة والإسلام في آسيا، ص 126.

وصل الإسلام لشرق الصين من خلال الطريق البحري حيث تواجد المسلمون خلال القرنين الأولين الهجريين/السابع والثامن الميلاديين في مدينة كانتون الساحلية.(1) ولقد بني أول مسجد للمسلمين في كانتون مع نهاية القرن الأول الهجري= القرن السابع الميلادي وهو ما يزال موجوداً و يسمى "هاوي شينغ،"[2] ويقال أن من وضع حجر الأساس لهذا المسجد هو الصحابي سعد بن أبي وقاص.[3](4) لكن هذه الرواية لم تؤكد في المصادر العربية التاريخية، مما يجعلنا نرجح أن سبب نسبة المسجد إلى سعد هو أن من بنى هذا المسجد من المسلمين الأوائل في الصين قد أطلقوا عليه اسم هذا الصحابي فظن اللاحقون أن سعداً هو الذي بناه.

لقد سيطر العرب على الطريق البحري المؤدي للصين خلال القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي.(5)

وكانت السفن الكورية نشطة في صناعة النقل البحري على طول آسيا الشرقية،(6) مما جعل البحارة العرب والكوريين يتحكمون بالطرق البحرية التجارية المؤدية للصين.(7) لكن المصادر العربية الأولية لم تذكر شئ عن النشاط الكوري على التحديد.

ولا نستبعد صحة ذلك لوجود نشاط بحري تجاري كوري خاصة في الجزء الشمالي من الخطوط البحرية التجارية في المحيط الهادي، ويرجع ذلك إلى وقوع كوريا في الشمال الشرقي للصين و مشاركتها في الحدود.

أما عن العرب ونفوذهم البحري، فلقد سيطروا على الطرق البحرية المؤدية من سواحل العرب في المحيط الهندي ثم عبر جاوة " اندونيسيا حالياً " ومنه إلى الصين وقد مكن ذلك أعداد كبيرة من المسلمين والعرب خلال القرن الثاني الهجري= الثامن الميلادي من الوصول إلى ميناء كانتون على الأخص، حيث يذكر أن عدد العرب والمسلمين في مدينة كانتون قد بلغ نحو مائة ألف نسمة. وقد تم بناء مسجدين وتعيين موظفين دائمين يشرفون على المسجدين وعلى المسلمين هناك.(8)

---

[1] - Ching, Julia, Chinese Religion , P.178.
[2] IBID.P.139.
[3] سعد ابن أبي وقاص هو سعد بن أبي وقاص واسم أبي وقاص مالك بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة ويكنى أبا إسحاق وأمه حمنة بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، ينظر: ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري، الطبقات الكبرى، (بيروت، دار صادر)، ج3، ص 137.
[4] - Ching, Julia, Chinese Religion, P139.
[5] - Perry , John, Essays on Tang , P.4.
[6] - IBID, P.4.
[7] - IBID, P.4.
[8] - Schedimore, Eliza Ruhamah, China: The long lived Empire, (The Century Company, 1900), P442.

ويتضح هنا أنه مع توسع النشاط التجاري للعالم الإسلامي، و مع استقرار الخلافة العباسية و توطيد سلطتها، قويت التجارة و كذلك السفر إلى الصين بلاد الإبداعات والصناعات الإنتاجيــة، مما شجع أعداداً كبيرة من المسلمين للسفر إلى الصين. فبناء المساجد في حقبة مبكرة مــن صــدر الإسلام في مدينة كانتون مثلا، يعد تطور طبيعي لأي جماعة من المسلمين، حيث أن المسجد يمثل مركز الحياة الروحية والدينية والعلمية للمسلمين. ويفسر ذلك بأن عدد المسلمين قد زاد فعلاً وبنــاء مساجد أخرى هو تلبية للزيادة في عدد المسلمين وانتشار الإسلام، ومن خلال ذلكً دخل العديد من الصينيين في الإسلام[1].

ويعلق أحد المؤرخين الغربيين بأن العقل الصيني قد تقبل الإسلام ولم يتقبل النصرانية، وإن كان لابد للتنصر من سبيل فعلى الصيني أولاً أن يتقبل الإسلام وبعــدها يجــد التنــصير ممكنــاً وأسهل.[2] وهذا رأيه ولكن لم يثبت ذلك بحقيقة تاريخية علمية .فليس سهلاً على الإنسان أن يحول أو يغير دينه مرتين أو ثلاث مرات في سنوات عدة، فالتحول لدين آخر مسألة أساسية ومؤثرة فــي حياة الفرد وليست مجرد تغيير رأي سياسي أو فكري.

وفي أواخر عهد التانغ وبالتحديد في نهاية القرن الثالث الهجري = التاسع المــيلادي، تــم السيطرة على مدينة كانتون[3] من قبل أحد قادة المتمردين الصينيين حيث قتل الآلاف من المسلمين والنصارى واليهود.[4] وقد ذكر في تلك الرواية أن السبب في ذلك كان القحط والجفاف الذي أصاب بلاد الصين آنذاك وتم تحميل الأجانب المقيمين في مدينة كانتون مسؤلية ذلك.[5]

وهذا يدل على تواجد المسلمين وانتشار الإسلام في الصين في مراحل مبكرة. أما لماذا تم قتل المسلمين وغيرهم؟ فقد يرجع السبب في ذلك إلى معتقدات وثنية يؤمن بها أهــل الــصين، إذ عندما تقع بهم مصيبة أو كارثة، يحملون المسئولية إلى الأجانب. أما المسلم فيؤمن أن الابتلاء من الله سبحانه وتعالى وحده.

إن هذه الظاهرة ليست غريبة. فقد حدثت في بداية القرن العشرين شــيء مماثــل عنــدما ضرب زلزال ضخم عاصمة اليابان في عام 1923=1341هــ، فأحرقت منازل بالآلاف، ودمرت

---

[1] - Schedimore, Eliza Ruhamah, China: The long lived Empire, P442.
[2] - IBID, P44.
[3] - هي مدينة كانتون أو قوانزوه (Guangzhou) الحالية والتي أصبحت مكاناً مرموقا للصناعات الصينية في وقتنا المعاصر ، ينظر: Findling, John, The history of China, p.208.
[3] Findling, John, The history of China, p.208.
[4] - Findling, John, The History of China, P.208.
[5] - IBID, P.208.

مباني على نطاق واسع، فانتقم سكان طوكيو من الأقلية الكورية متهمينهم بهذه الكوارث، ولله في خلقه شؤون.[1]

جاء في وصف علم محمد بن جرير الطبري وانتشار كتبه في عصره، " وقال أبو حامد الاسفرابيني الفقيه لو سافر رجل إلى الصين حتى يحصل تفسير محمد بن جرير لم يكن كثيرا."[2]

قد يكون هذا التعبير مجازاً لكنه يدل بشكل واضح أن الأمة الإسلامية على تواصل وتبادل للمعرفة رغم تباعد المسافات والمحيطات، وان تفسير بن جرير قد يوجد في الصين لأهميته وقيمته العلمية عند المسلمين هناك.

عرفت الصين في القرون الأولى من تاريخ الإسلام ديانات عدة حيث دخلت الصين ديانات أخرى متزامنة مع دخول الإسلام، ومن هذه الديانات النصرانية والمجوسية، وقد وصلت في القرون الميلادية السابع والثامن والتاسع= الهجري الأول والثاني و الثالث، لكنها لم تنتشر انتشاراً واسعاً مثل الإسلام.[3]

لكن المؤرخ الغربي الشهير جيب (Gibb) له رأي آخر إذ يشكك في انتشار الإسلام في الصين (Spread of Islam)، ويقول بأنه موضوع محفوف بالغموض[4]. ويقول أن أول وجود فعلى للمسلمين حصل في عهد حكم المغول للصين،[5] وذلك خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين. وهنا نتساءل كيف لمؤرخ كبير مثل جيب أن يلغي قروناً عديدة سبقت عهد المغول حيث تواجدت جاليات إسلامية في مدينة كانتون، ووجد أكثر من ستة آلاف عربي خلال القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، فالإسلام بدأ بداية مبكرة جداً في الصين. فهل الغموض التاريخي عند جيب هو تجاهل لحقائق تاريخية موثقة يتم التعامل معها بانتقائية ذاتية محصورة ضيقة أم هو ادعاء لغموض لا أساس علمي له؟

ونستطيع أن نجيب على جيب بما أورده مؤرخ غربي آخر عن حقيقة انتشار الإسلام في الصين وخاصة في الحقبة المبكرة والمتزامنة مع عهد التانغ إذ يقول: " ليس هناك مقاطعة في الصين بدون مسلمين أو جالية إسلامية ما عدا مقاطعة يونان"[6].

---

[1] Seidensticker, Edward, Tokyo Rising: The City Since the Great Earthquake, (Cambridge, Mass.: Harvard University Press, 1990), P.5.

[2] - الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج2، صـ52 ؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج1، صـ26.

[3] - Lattimore, Owen, Inner Asian Frontier Of China, (New York, American Geographical Society), P.178.

[4] - Gibb, Mohammedanism: A Historical Survey, (London, Oxford University Press, 2 nd ed.) , P.44.

[5] - IBID, P.14.

[6] - Fitzgerald , C.P, China :A Short History, P. 328.

المبحث الثاني

انتشار الإسلام عن طريق التجارة

تزامن مع توسعة رقعة ونفوذ العالم الإسلامي تحت لواء الخلافة العباسية، توسع تجـــاري موازي نحو الشرق وخاصة مع الصين. وقد عرف العرب والمسلمون أهمية التجارة مع الـــصين فأصبحت التجارة معها مقصد معظم التجار من مختلف أنحاء العالم الإسلامي، " وبتجارات الصين تضرب الأمثال ثم قولهم جاءوك تجرا أو ملكا."[1] واشتهرت موانئ عربية وإسلامية عبر تجارتها مع الصين، وسافر التجار أو المسافرون منها إلى بلاد الشرق الأقصى. فمدينة صحار في عمـــان عرفت بخياراتها الكثيرة، " وأهلها في سعة من كل شيء وهو دهليز الصين."[2] وهو وصف يـــدل على أهمية هذا المكان للسفر للصين وكأنه طريق بري لا يبعد كثيراً من صحار إلى الصين.

وكذلك ميناء سيراف العظيم الذي عرف بكثرة إبحار السفن الصينية إليه " وإن المتاع يحمل من البصرة وعمان وغيرها إلى سيراف فيعبأ في السفن الصينية بسيراف."[3] وعندما أراد الخليفـــة أبو جعفر المنصور بناء بغداد عاصمة للخلافة، حاول القائمون على المشروع اختيار موقع بغداد بقولهم: " وتجيئك الميرة في السفن من الصين ومن عدن، "ومنها تسافر مراكـــب الـــسند والهنـــد والصين واليها يجلب متاع الصين."[4] هذه نماذج معدودة للمكانة العالمية التي حظيت بها التجـــارة مع الصين عند العرب والمسلمين، وقد وصفتها تلك المصادر بإسهاب.

وقد دون ابن النديم كيفية وصول التجار المسلمين إلى الصين معبراً عن حركـــة دوريـــة ونشيطة بين بغداد والصين وأن هناك نظاماً محدداً يلتزم به التاجر المسلم عند وصوله إلى الصين.

والمسافر في بلاد الصين منا ومنهم إذا سافر كتب نسبه وحليته ومبلغ سنه ومبلغ ما معـــه ورقيقه وحاشيته والى إن يحصل إلى مقصده ومأمنه خوفا من أي يحدث عليه في بلاد الصين حدث فيكون عيبا على الملك،"[5] ويدل هذا على دقة التعامل مع التاجر العربـــي المـــسلم فـــي الـــصين والاهتمام بشؤونه خوفاً من الإساءة لسمعة الصين عالمياً. فتدوين تلك المعلومات التي ذكرها ابـــن النديم تشبه إلى حد كبير ما يقوم به المسافر في وقتنا المعاصر من تدوين معلومات شخصية علـــى تأشيرة الدخول. لقد تواجد التجار العرب والمسلمون بأعداد كبيرة في ميناء خـــانقو " وهـــو مرفـــأ

---

[1] - المقدسي، محمد بن أحمد، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، (دمشق، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، 1980م)، ج1، صـ107.

[2] - ياقوت، معجم البلدان، ج3، صـــ394.

[3] - السيرافي، رحلة السيرافي، صـــ24 .

[4] - الإدريسي، نزهة المشتاق، ج1، صـــ53.

[5] - ابن النديم، الفهرست، صـــ494.

السفن ومجتمع تجارات العرب وأهل الصين"،[1] فقد سكن مدينة خانقو أو كانتون أجناس أخرى إلا أن الجالية العربية الفارسية حظيت باهتمام كبير، حيث عين مسئول مسلم على الجالية من قبل الحكومة ليعتني بشؤونهم.[2]

إن وجود عدد كبير من التجار في أهم ميناء بالصين، وتعايشهم مع المجتمع الصيني له تأثير مباشر على نشر الإسلام في هذه المدينة المهمة. و خير مثال على ذلك ممارسة التاجر المسلم للصلاة وللصيام ولكافة شعائره اليومية.

ولم يكن تواجد المسلمين مقتصراً على أكبر ميناء في الصين، فهناك مدينة الخنساء التي وصفت بأعظم مدن الصين، " واليها ينتهي وصول التجار المسافرين من بلادنا."[3] وهناك تاجر عراقي اسمه صدر الدين عبد الوهاب بن الحداد البغدادي وصل إلى الخنساء ووصف عظمتها واتساع التجارة فيها.[4] وهناك مدينة صينية الصين في أقصى الصين، "ولا تعد لها مدينة في الكبر وكثرة البضائع واجتماع التجار إليها من سائر الأقطار."[5]

وبالرغم من أنه لم يتم الإشارة في النص السابق إلى تجار مسلمين في تلك المدينة إلا أن تواجد تجار من سائر الأقطار يدل على نشاط تجاري إسلامي. إن وجود تجار بأعداد كبيرة في أكبر مدن الصين وموانئها، يجعلنا نتوقع وجود مساجد يصلى فيها هؤلاء التجار المسلمين، ولقد عقب أحد المؤرخين الغربيين أنه لم يحدث في تاريخ الصين من قبل أن عين قاضي أجنبي يحكم بشريعة أخرى غير الصينية مثلما حدث مع المسلمين.[6]

فلقد أصبحت مدينة كانتون على سبيل المثال، متنوعة الأعراف والأطباع،[7] ووصف الإدريسي مدينة صينية أخرى اشتهرت بالتجارة هي مدينة قطيغورا على البحر، " وهي مدينة جليلة فيها مكاسب ومتاجر."[8] ويصف مدينة خيفون، فيقول: " مدينة عامرة من مدن الصين والقاصد إليها كثير وبها التجارات الكثيرة. "[9] ومن المعروف أن الإدريسي ألف كتابه " نزهة المشتاق" بعد نهاية الخلافة العباسية، لكن ذلك لا يمنعنا منه الاستفادة لمعرفة واقع الصين التجاري وعلاقته

[1] - السيرافي، رحلة الصيرفي، صـ24.
[2] - Schaefer, The Golden Peaches of Samarkand: A Study of Tang exotics (Berkley, CA., University of California Press, 1963) , P20.
[3] - القلقشندي، صبح الأعشى، جـ4، صـ478.
[4] - م. ن
[5] - الإدريسي، نزهة المشتاق، ج1، صـ211.
[6] - Fitzgerald , C.P, Flood Tide in China, P.350
[7] - Ching, Julia, Chinese Religion , P.190
[8] - الإدريسي، نزهة المشتاق، ج1، صـ203.
[9] - م.ن.، ج4، ص203.

بالعالم الإسلامي، لأن هذا الواقع لا يخضع لتغيير سريع بل من الأرجح أن يكون امتـداداً لحقبـة سبقته، وكذلك ينطبق هذا على وصف القلقشندى لمدينة الزيتون الواقعة على المحيط إذ يقـول: " وهي مدينة مشهورة على ألسنة التجار المسافرين إلى تلك البلاد الـصين. "[1] ومـن المؤكـد أن القلقشندى يتحدث هنا عن التجار المسلمين. ويلاحظ أن التجار المسلمين قد وصلوا إلى مدن صينية عدة، وأسس الكثير منهم المحلات التجارية.[2] وكان عدد التجار المسلمين في كانتون كبيـراً وقـد شجعهم ذلك على التواصل مع مسلمين في أماكن أخرى[3].

ويبدو أن مدينة خانقو قد أصبحت ملتقى التجار العرب المسلمين القادمين من وراء البحـار أو من داخل الصين نفسها. فقد وصفها المسعودي بأنها مدينة عظيمة على نهر عظيم أكبر من دجلة أو نحوه يصب في بحر الصين، ويدخل هذا النهر سفن البحر الواردة من بلاد البـصرة وسـيراف وعمان ومدن الهند وجزائر الزابج.[4] ولقد حمل المسلمون مع تجارتهم معتقداتهم وأسـهموا فـي تأسيس مدارس دينية ونشر الإسلام في المناطق ا لواقعة على الطريق التجاري البحـري المـؤدي للصين. ومارسوا الحياة الدينية خلال تواجدهم في المدن الصينية[5].

إذ تأسست خلال العصور الوسطى جاليات تجارية مسلمة على طول الطريق المؤدي إلـى للصين.[6] وقد وصف ابن رضوان وهو أحد التجار المسلمين الثقاة في الصين الأمن الذي يتـوفر للتاجر المسلم هناك فقال: " إن بلاد الصين من آمن البلاد وأحسنها حالاً للمسافرين."[7]

ويذكر ابن رضوان أنه إذا وصل تاجر مسلم إلى الصين يتم تخييره بين الإقامة في فندق أو عند تاجر مسلم مستوطن في المدينة،[8] ويقوم التاجر المسلم المستوطن بإحصاء مال التاجر القـادم "الجديد" ويضمن له ماله، وان نزل التاجر في الفندق يسلم ماله لصاحب الفندق حتى يشتري له مـا يحتاج من أكل، بل يشتري له جارية إن أراد، ويسكنه بدار في الفندق وينفق عليهمـا.[9] وكانـت الحكومة الصينية تسمح للتاجر المسلم بالتزوج من صينية إلا أنه لا يستطيع الـسفر بهـا خـارج الصين، وكذلك كانت السلطات الصينية لا تسمح بإنفاق مال التجار على الفساد خوفاً على سـمعتهم

---

[1] القلقشندى، صبح الأعشى، ج4، ص479

[2]- Schafer, The golden Peaches of Samarkand, P.18

[3] - Ptar , Roderick, From Guangzhou To The Sulu Zone , P.1

[4] ـ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج1، صـ163.

[5] - Lattimore, Pivot of Asia , P.12.

[6] - Ching , Julia , Chinese Religion, P175.

[7] ـ ابن الأزرق، أبو عبد الله، بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق: على سامي النشار،(العراق،وزارة الإعلام،ط1)، ج1، صـ402.

[8] ـابن الأزرق، بدائع السلك، ج1 صـ402.

[9] - م.ن.، ج1 صـ402.

وحرصاً على قدوم المزيد من التجار المسلمين،[1] وهذا يدل على معرفة دقيقة عند الحكومة الصينية بتعاليم الإسلام مما دفعها لاتخاذ منهج صارم ضد وقوع الفساد بين التجار المسلمين.

إن هذه الوسائل المريحة تشجع على سفر التجار المسلمين إلى الصين، مما يساهم في ازدياد معرفة المجتمع الصيني بالتعاليم الإسلامية من خلال الاحتكاك المتزايد بين التجار والعامة وبالتالي يساعد على انتشار الإسلام بين الصينيين. وقد أصدرت الحكومة الصينية سنة 810م=194هـ أوراقاً مالية لأول مرة، وقد أطلق عليها التجار آنذاك، " الفلوس الطائرة، " (Flying money)،(2) و تم تداولها بشكل واسع مما سهل على التجار المسلمين الاحتكاك لتعامل مع قطاع كبير من الصينيين، ونشر الإسلام بينهم.(3)

يعقب احد المؤرخين الغربيين على ذلك بأن انتقال الإسلام في الصين أو على الطريق البحري في المحيط الهندي تم بطريقة، " هادئة وصامتة "(4) من خلال التعامل بالتجارة.

ولقد وثقت بعض المصادر التاريخية أسماء عدد من التجار المسلمين الذين عرفوا بالتدين ونشر الدعوة عبر رحلاتهم التجارية، ومنهم أبو الحسن سعد الخير بن محمد بن سهل الأنصاري الأندلسي المحدث الذي رحل إلى الشرق، وسافر في التجارة إلى الصين، وكان فقيها عالماً متقفاً.(5) وقد تفقه ببغداد على يد الغزالي، ومات فيها عام 41 5هـ=1147م.(6) تبين هذه الرواية نوعية التجار الدعاة المثقفين الذين دخلوا الصين وأسهموا في نشر الإسلام فيها. ويلاحظ أن الرحلات التجارية العربية المسلمة قد تميزت عن غيرها، إذ وصفت بأنها: " قد طهر [الإسلام] أداء هذه الرحلة و حررها من الحرام وامن مسيرتها على الطريق ونشطها تنشيطاً فعالاً ومجدياً من غير حدود."(7)

ويروي المسعودي أنه قابل " ببلخ شيخاً جميلاً ذا رأي وفهم، وقد دخل الصين، "مرارا كثيرا ولم يركب البحر قط."(8) وهو يقصد مقابلته له على طريق الحرير، وبالرغم من أن المسعودي

---

[1] ابن الأزرق، بدائع السلك،ج1، ص402.

[2] - Bowman, Columbia Chronology, P.105.

[3] - IBID,P.105.

[4] - Johns , Anthony , Sufism In South East Asia,: Reflections and Consideration, Journal of South East Asian Studies, 1995, Vol. 26, P.1.

[5] - ابن العماد، شذرات الذهب، ج2، صـ128؛ ابن الجوزي، المنتظم ، ج10، صـ118؛ الذهبي، محمد بن أحمد بن عثان بن قيماز، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط و محمد العرقسوسي، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط9، 1413هـ)، ج20، صـ158؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج4، صـ112؛ ياقوت، معجم البلدان، ج1، صـ491.

[6] - ابن العماد، شذرات الذهب، ج2، صـ128.

[7] - الشامي، صلاح الدين علي، الرحلة عين الجغرافيا البمصرة في الدراسة الميدانية، (الإسكندرية، منشأة المعارف، 1982م)، صـ93.

[8] - المسعودي، مروج الذهب وجوهر المعادن، ج1، صـ185-186.

لم يحدد إن كان الشيخ تاجراً أم لا فمن الأرجح أن زياراته المتكررة إلى الصين كانت لها علاقة بالربح و التجارة.

كما ذكر تاجراً عرف باسم جمال الدين الجبيلي، قال إنه: " من ذوي اليسار المشهورين مع الدين والخير والمروءة، ويقال إنه وصل إلى الصين ثلاث مرات، ومات عام 702هـ= م بمصر." [1] و بالرغم من أن هذه الرواية تأتي بعد الخلافة العباسية فإن المسلمين ذوي التدين والمروءة استمروا بالتجارة في الصين، وكان لهم الأثر الكبير في انتشار الإسلام على مر تلك القرون.

وهناك التاجر المعروف بابن السوملي " السفار الشهير جمع دراهم ودخل في تجارة الصين فتوغل وتمول، وكان ينطوي على دين وكرم وبر واعتقاد في أهل الخير، ومات عام 706هـ= م."[2] وكذلك التاجر عز الدين عبد العزيز، " تاجر وسافر إلى الصين وكان فيه كرم وخير، " [3]وقد توفي عام 713هـ= م،[4] ويتضح لنا مما سبق أن عددا من التجار المسلمين الذين وصلوا، وسكنوا في الصين قد اهتموا اهتماماً كبيراً بأمور الدين، وحرصوا على نشر الإسلام عبر تعاملاتهم اليومية وتجارتهم التي لم تكن وحدها هدفهم، ومن المؤكد أن هؤلاء قد حرصوا على البعد الإسلامي في تجارتهم، إذ أشارت الروايات السابقة إلى تدينهم. ولا شك أن صفات حب الخير والكرم والحرص على الدين لها وقعها وأثرها على الآخرين، ولابد أن هؤلاء التجار قد تركوا أثراً إيجابياً عن الإسلام في أذهان الصينيين وأثروا في سلوكهم أخلاقهم وكسبوا إلى الإسلام الكثير منهم. ويذكر أحد المؤرخين أن التجار المسلمين امتازوا بالأمانة في معاملاتهم وكتبوا العقود التجارية وفقاً لشريعة الإسلام، مما ساعد في التأثير العميق على روح التجارة في الصين وتعزيز الثقة بين التجار المسلمين وغيرهم، وبالتالي إلى المزيد من انتشار الإسلام.[5]

لقد ساعدت هذه الأجواء التجارية على تغلغل الجاليات الإسلامية في أعماق المجتمع الصيني،[6] ولم تكن هذه الجاليات تتكون من مسلمين قادمين من بلاد الإسلام فحسب بل من صينيين دخلوا في الإسلام.[7] يقول الجنابي : " ارتبط انتشار الإسلام بالفتوحات العربية الإسلامية والنشاط

[1] - ابن حجر، أحمد أبو الفضل، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة،، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، (حيدر آباد، الهند، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط2، 1972م)،ج5، صـ245.

[2] - م.ن.، ج1، صـ66.

[3] - الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج 6، صـ75.

[4] - م .ن.،ج6، صـ75.

[5] - Johns , Anthony , Sufism In South East Asia , P.1.

[6] - lattimore , Hugh , Inner Asian Frontier, P. 26.

[7] - IBID , P.26.

التجاري والتأثير الثقافي للحواضر الإسلامية الكبرى."[1] " ويضيف بأن انتشار الإسلام لعب دوراً تاريخياً وثيقاً هائلاً في تذويب الخلافات والصراعات العرفية."[2]

إن للصدق والأمانة في التعامل أثر عميق في النفس البشرية، فالتاجر المسلم الملتزم بدينه صاحب الخلق الإسلامي يؤثر جداً في نفوس الآخرين و يحببهم في الإسلام و يقربهم إليه.

---

[1] - الجنابي، ،الإسلام في أوراسيا، صـ184-185 .
[2] - م.ن.، صـ183 .

المبحث الثالث

أثر الصوفية في انتشار الإسلام

لعبت الصوفية دوراً مهماً في نشر الإسلام في الصين، ولم يقتصر نشاطهم على الصين وحدها بل امتد إلى الطرق البرية والبحرية المؤدية من العالم الإسلامي إلي الصين شرقاً، فعلى سبيل المثال كان دور الصوفية كبيراً في انتشار الإسلام في منطقة آسيا الوسطي. [1] وهي المنطقة المؤدية للصين عبر طريق الحرير، والمتاخمة حدودا لبلاد الصين، وقد قدم لنا ابن بطوطة معلومات حول الزوايا الصوفية والنشاط الصوفي في بعض المناطق داخل الصين. فقد تحدث عن رحلته للصين خلال النصف الأول من القرن الثامن الهجري= الرابع عشر الميلادي، ومشاهداته لأوضاع المسلمين والزوايا.[2] وبالرغم من أن ابن بطوطة قد روى لنا عن المسلمين في الصين وانتشار الإسلام هناك بعد مرور قرن من سقوط الخلافة العباسية، إلا أن ما شاهده ونقله يعد امتداد لواقع امتد سنين طويلة قبل سقوط الخلافة العباسية. وصل ابن بطوطة إلى مدينة صينية الصين، وذكر بأنه وجد بلدة للمسلمين بأحد جهات هذه المدينة " لهم بها مسجد الجامع والزوايا والسوق."[3]

ويضيف ابن بطوطة قائلا: " ولا بد في كل بلد من بلاد الصين من شيخ الإسلام تكون أمور المسلمين كلها راجعة إليه وقاض يقضي بينهم،"[4] وهذا يدل على تكون المجتمعات الإسلامية دلخل الصين عبر أجيال سبقت رحلة ابن بطوطة إذ لا يعقل أن يحصل ذلك عبر جيل أو جيلين فقط. كما يدل وجود زوايا على دور واضح للصوفية في انتشار الإسلام في الصين، وكان ابن بطوطة يبدي في رحلته اهتماماً كبيراً بزيارة الزوايا ويعرب عن تقديره واحترامه للشيوخ القائمين عليها."[5] يقول المؤرخ الشهير جيب(Gibb)، " إن الصوفية أصبحت قوية وفعالة خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين."[6] ويضيف بان الصوفية كانت دوما الرائدة في نشر الإسلام عبر القرون في أماكن العالم مثل الصين وأواسط آسيا واندونيسيا وجنوب شرق أوروبا أيضا.[7] ويتحدث ابن بطوطة عن إحدى الزوايا التي زارها بالقرب من مدينة شهيراز وفيها قبر الشيخ " الصالح ابن إسحاق الكازروني،"[8] فيقول: " فقصدنا زاوية الشيخ ابن إسحاق نفع الله به، وبتنا بها

---

[1] - الجنابي، الإسلام في أوراسيا، صـ184-185 .

[2] - ابن بطوطة، محمد بن عبدالله بن محمد اللواتي، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط4، 1405 هـ)،ج2، صـ20.

[3] - ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج2، صـ723 .

[4] - م.ن.، ج2، صـ723.

[5] م. ن.، ج2، صـ723.

[6] - Gibb, Mohammedanism, P.92.

[7]- IBID, P.10.

[8] - ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج1، صـ236.

تلك الليلة، ومن عاداتهم أن يطعموا الوارد كائنا من كان."[1] ويضيف ابـن بطوطـة أن الـشيخ الصالح ابن إسحاق، " معظم عند أهل الهند والصين، " وان من عادة الركاب في بحر الـصين أن ينذروا لأبى إسحاق إذا وصلوا بر السلامة بعد أيام اواسابيع من أهوال ومخاطر البحار،[2] حتى أن خدام الزاوية يأتون للمركب ليقبضوا من الركاب ما نذروه للشيخ. [3] وتوضح هذه الروايـة مـدى المغالاة في تعظيم شيخ الزاوية، وهذا مخالف للإسلام إلا أنه يدل على مدى تأثير الصوفية ودورها في نشر الإسلام بين المسافرين الصينيين أو الهنود، وبالتالي داخل مجتمعهم أيضاً.

وإن كان هناك زوايا صوفية ومساجد وأسواق للمسلمين في الصين، فإن من المهم أيـضاً معرفة وفهم دور الصوفية على امتداد طريق الحرير التجاري المؤدى للصين. فالزاوية الـصوفية كانت بمثابة محطة مهمة في طريق المسافرين بين قلب العالم الإسلامي في بغداد والصين شرقا.

ورحلة ابن بطوطة خير مثال لتعريفنا على طريق الحرير وانتشار زوايا الـصوفية علـى امتداده، إذ كان ابن بطوطة يذكر اسم المدينة والبلدان وكذلك الزوايا واسم الشيخ القائم عليها، يقول: "وسافرنا إلى مدينه الماجر[4] ... ونزلنا فيها بزاوية الشيخ الصالح العابد المعمر محمد البطـائحى من بطائح العراق."[5] ويقول أيضاً : "ونزلنا من بخارى بربضها المعروف بفتح آباد وقبر الـشيخ الزاهد سيف الدين الباخرزى، وكان من كبار أولياء هذه الزاوية، وهذه الزاويـة المنـسوبة لهـذا الشيخ،"[6] وعند وصوله لمدينه سمرقند يقول: "وبالزاوية مساكن يسكنها الوارد والصادر، ولم يغير الترك أيام كفرهم شيئاً من حال هذا الوضع المبارك، وكانوا يتبركون بـه لمـا يـرون بـه مـن الآيات."[7] ويتضح هنا عدم قبول ابن بطوطة لهذه الظاهرة بالتحديد. و،يعلق مؤرخ غربـي بـأن الصوفية نجحت نجاحاً كبيراً في أواسط آسيا والمناطق المتاخمة للصين لأن الطريقة الصوفية لـم تكن مقيدة بقوانين كثيرة ولأنها استطاعت أن تتأقلم مع عادات وتقاليد السكان المحليين، فلاقت قبولاً أسرع مقارنةً بالتركيبة المعقدة الموجودة في البعثات التبشيرية النصرانية. [8] وهكـذا يـرى هـذا المؤرخ "تأقلم الصوفية بالعادات المحلية. " ويستمر ابن بطوطة في وصف لقاءاته وإقامته بالزوايـا على طريق الحرير، فيصف مدينه ترفد: " وكان نزولنا بها بزاوية الشيخ الصالح عزيزان من كبار

[1] - ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج1، صـ236.
[2] - م.ن.، ج1، صـ236.
[3] - م.ن.، ج1، صـ2
[4] الماجر هي مدينة كبيرة من أحسن مدن الترك على نهر كبير و بها البساتين والفواكه الكثيرة،ينظر: رحلة ابن بطوطة،جـ1، ص 364
[5] - م.ن، ج1، صـ236.
[6] - م.ن.، ج1، صـ409.
[7] - م..ن.، ج1، صـ420.
[8] - Esposito , John, Islam in Asia , P.135.

المشايخ.[1] وكذلك أقمت مدة بزاوية الشيخ فخر الدين بن الشيخ شهاب الدين الكزروني شيخ قالقوط."[2] ويصف ابن بطوطة احد الأمراء بتلك النواحي بأنه، "قد عمر في عمالته نحو أربعين زاوية فيها الطعام للوارد والصادر،"[3] وعندما كلف ابن بطوطة من قبل سلطان الهند بحمل رسالة إلى ملك الصين، أثنى ابن بطوطة على أم السلطان " وهي من أفضل النساء كثيرة الصدقات عمرت زوايا كثيرة."[4]

ويعلق المؤرخ (Gibb) على ظاهرة انتشار الزوايا الصوفية وعلاقتها بانتشار الإسلام في أماكن عدة من العالم ومنها الصين، بأن الزوايا الصوفية مهدت الطريق لانتشار الإسلام عبر شعبيتها المتزايدة بين الناس، وأن الصوفية أثبتت بساطتها في العبادة، وهذا ما أثر كثيراً على جاذبيتها بين الناس.[5] ويذكر (جيب) أن النجاح المتألق للصوفية في نشر الإسلام جعل الفقهاء العلماء يفقدون الأمل في وقف زحف شعبية الصوفية.[6]

وقد لاقت كتابات العالم الصوفي ابن العربي رواجاً كبيراً في أوساط أسيا والمناطق القريبة من الصين.[7] ويؤكد مؤرخ آخر بأن الصوفية قدمت فرصاً عديدة لانتشار الإسلام بين شعوب آسيا، ومنها الصين، لأنها تنوعت وتأقلمت بأشكال عدة حسب " المذاق الروحاني " وحسب التنوع الثقافي في مناطق آسيا، والتي أصبحت أخيراً جزءاً من العالم الإسلامي،[8] حتى أنه تم وصف طرق الصوفية وزواياها وكأنها " شركات عالمية " انتشرت حول العالم وخاصة في آسيا، ولعبت دوراً أساسياً في الحفاظ على العالم الإسلامي[9].

ويؤكد " جيب" على دور الصوفية في نشر الإسلام بأنها كانت دائماً العامل الأكبر في نشره.[10]

---

[1] - ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج1، صـ422.
[2] - م. ن، ج2، صـ650.
[3] - م.ن.، ج1، صـ415.
[4] - م. ن، ج2، صـ573.
[5] - Gibb, Mohammedanism , P.104.
[6] - IBID, P.94 .
[7] - IBID, P.1.
[8] - Johns , Anthony , Sufism in South East Asia , P.1.
[9]- IBID, P.1.
[10] - Gibb, Mohammedanism, P. 90-91.

المبحث الرابع

دور العلماء في نشر الإسلام

لقد كان للعلماء دور كبير في انتشار الإسلام في الصين، فقد ذكرنا سابقاً أن المسلمين هناك استطاعوا تأسيس المساجد والجاليات الإسلامية خلال القرون الأولى من تاريخ الإسلام، وأن القائمين على المساجد من شيوخ وعلماء كانوا يعملون على مصالح المسلمين في بلدات ومدن وموانئ الصين المتواجد بها المسلمون والعرب.

إن دور العلماء والفقهاء مهم للغاية في الحفاظ على الحياة الدينية والعقود الاقتصادية والاجتماعية المبنية على شريعة الإسلام، وبالتالي فإن نشر الإسلام بين غير المسلمين يتطلب وجود علماء وفقهاء مسلمين يعيشون بينهم يعلمونهم، وقد قام علماء المسلمين بهذا الواجب إدراكاً منهم بأهمية الدعوة إلى الإسلام وتعليمه في نشر وترسيخ الإيمان في النفوس، ورغبة في الأجر العظيم الذي ينتظر الدعاة ومعلمي الخير، إذ يقول تعالى: " ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين."[1] ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: " لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من الدنيا و ما فيها."[2] وسوف نذكر في الصفحات التالية بعض أسماء العلماء الذين أسهموا في نشر الإسلام في الصين. ومن هؤلاء إبراهيم بن إسحاق الصيني الذي توفى عام ثلاثين ومائتين هجري،[(3)] وقد عرف أنه كان يتجر للصين.[(4)] ويروى ابن النديم أن رجلاً صينياً كان قد قدم إلى بغداد لتعلم اللغة العربية عند أحد العلماء يدعى محمد بن زكريا الرازي، وقد نجح بتعلم اللغة العربية وأتقنها خلال عام " حتى صار فصيحاً حاذقاً سريع اليد."[(5)]

ويبدو أن علماء الصين قد اهتموا كثيراً بمعرفة اللغة العربية والثقافة العربية الإسلامية، لأن اللغة العربية ليست منفصلة عن ثقافتها، وبالتالي فإن العالم الصيني الذي يتعلم العربية ينقل معرفته وخبرته إلى بلده بعد عودته من بغداد. ومن هؤلاء العلماء التاجر الفقيه سعد الدين بن محمد بن سعد الأنصاري الأندلسي والذي عرف باسم سعد الخير الأندلسي الصيني، لترحله وتعدد أسفاره بين أقطار العالم الإسلامي والصين.[(6)] " وكان من الفقهاء والعلماء." [(7)]

---

[1] سورة فصلت، آية رقم 33.

[2] صحيح البخاري، كتاب الجهاد و السير، باب دعاء النبي للناس إلى الإسلام والنبوة، ص565، رقم الحديث 2942، ينظر: البخاري، أبي عبدالله محمد بن إسماعيل، (الرياض، بيت الإفكار الدولية للنشر والتوزيع، 1998م).

[3] - الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج10، صـ638.

[4] -ياقوت، معجم البلدان، ج3، صـ440.

[5] - ابن النديم، الفهرست، ج1، صـ24 .

[6] - الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج20، صـ158؛ التلمساني، نفح الطيب، ج2، صـ632.

[7] - الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج20، صـ128 .

وقد روي عن رجل يسمع الحديث عند حماد بن سلمي قوله: " فركب إلى الصين فلما رجع أهدى إلى حماد هدية فقال له حماد إن قبلتها لم أحدثك بحديث، وإن لم أقبلها حدثتك، قال لا تقبلها وحدثني."[1] ويدل هذا على مدى اهتمام هذا الرجل بسماع الحديث، ويبدو أنه كان داعية ومارس الدعوة خلال سفره إلى الصين.

وكما ذكرنا سابقاً كيف جعل المسلمون على كل بلد من بلدان الصين شيخاً أطلقوا عليه " شيخ الإسلام"، إضافة إلى قاض.[2] وفي هذا دليل على أهمية دور العلماء والفقهاء في نشر الإسلام و ترسيخه في النفوس.

لقد كان طريق الحرير طريقاً مهماً للتجارة وللعلماء، وقد وصفت " ختن" وهي بلاد بين الصين وتركستان بأنها كثيرة العلماء والفضلاء."[3]
وكذلك هراة مدينة عظيمة مشهورة من أمهات مدن خراسان محشوة بالعلماء، مملوءة بأهل الفضل والثراء.[4]

ويعلق المؤرخ جيب على أن انتشار الإسلام وأسبابه في مناطق الصين وآسيا الوسطي بأنه مع نهاية القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، بدأت المدارس الدينية ودور الفقه تنتشر، وأصبحت مؤسسات رسمية لها إدارة ونفقات على المدرسين والطلبة وتخضع لسيطرة الفقهاء.[5]

ويقول آخر بأن الفقهاء والعلماء استطاعوا أن يؤسسوا ما يعرف بشبكة علاقات عالمية على امتداد العالم الإسلامي وآسيا الوسطي وصولاً إلى الصين، وهي في بدايتها كانت علاقات فردية محدودة، لكنها قويت وتفاعلت بسبب التواصل والتعارف المستمر بين العلماء والفقهاء من أبناء الشعوب التي دخلت الإسلام.[6]

ويعلق مؤرخ عربي قائلاً : " إن بروز علماء من أهل بلاد ما وراء النهر مثل الترمذي والبخاري والفرغاني " أمر لم يتم بين عشيةٍ وضحاها بل لابد أن يكون هذا الجيل من العلماء مسبوق بجيل أخر مهد لظهور أمثال هؤلاء الرجال.[7]

---

[1] - الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبدالله، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، (بيروت، دار الكتاب العربي،ط4، 1405هـ)، ج6، صـ251؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج7، صـ449.
[2] - ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج2، صـ723.
[3] - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج2، صـ116.
[4] - ياقوت، معجم البلدان، ج5، صـ396.
[5] - Gibb, Mohammedanism , P.98
[6] - Johns , Anthony , Sufism In South East Asia , P.10
[7] - محمود، حسن أحمد، الإسلام والحضارة العربية في آسيا، صـ128.

وتابع معلقاً إن انتشار الإسلام وثقافته الإسلامية توطنت وترسخت بين أهل البلاد،[1] خاصة على امتداد الجزء الغربي من الصين المتاخم لتركستان وآسيا الوسطي، وقد ذكر أن السلطان " ملكشاه" الذي توفى عام(485هـ/1092م)، " كان أجمل الناس صورة ومعنى وخطب له من حدود الصين إلى أخر الشام.[2]

وكذلك فإن الخليفة العباسي الناصر لدين الله أحمد بن المستضيء بأمر الله والذي مات عام (622هـ/1225م)، الذي " دانت له السلاطين خطب له ببلاد الأندلس وبلاد الصين."[3]
ويتضح لنا مدى توسع رقعة العالم الإسلامي، ومدى انتشار الإسلام، وأن الخطباء والعلماء خطبوا للخلفاء والسلاطين من الصين وحدود الصين.

إن مشاركة مسلمي الصين في الخطبة لخلفاء المسلمين وسلاطينهم ليؤكد وحدة المسلمين، مهما تباعدت أماكنهم، وأن مسلمي الصين كانوا يعدون أنفسهم جزءاً من العالم الإسلامي. لقد انتشر الإسلام بجهود الدعاة والعلماء انتشاراً واسعاً جعل المؤرخة " جوليا تشنج" ذات الأصل الصيني على الأرجح حسب ما يدل اسمها تقول: " إن الإسلام أصبح الآن ينافس الديانات الأساسية في الصين مثل الكونفيوشية والتاوية، (Confucianism , Taoism)، والبوذية، بل قد يحتل المرتبة الأولى بعد ديانة الصين البوذية."[4]

ويقول جيب: " إن الإسلام بعد ثلاثة عشر قرناً أصبح الديانة الرئيسة على امتداد حزام عريض من الشمال الأفريقي حتى امتداد آسيا الوسطي إلى عمق الصين."[5]

---

1 - محمود، حسن أحمد، الإسلام والحضارة العربية في آسيا، صـ128.

2 - القلقشندي، أحمد بن عبدالله، مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، (الكويت، مطبعة حكومة الكويت،ط 2، 1985م)، ج2 ، صـ3.

3 - الطهراني، أغا بزرك، طبقات أعلام الشيعة- الأنوار الساطعة في المائة السابعة، تحقيق: على نقي منزوي،(بيروت، دار الكتاب العربي، ط1، 1970م)، ج1، ص 4.

4 - Ching , Julia , Chinese Religion, P.170.

5 - Gibb, Mohammedanism, P15.

الفصل الثالث

مراكز استقرار المسلمين في الصين

المبحث الأول: استقرار المسلمين في شرق الصين

أولاً: خانفو (كانتون)

ثانياً: الزيتون

ثالثاً: لو يانغ

المبحث الثاني: مراكز استقرار المسلمين في وسط الصين

أولاً: العاصمة خمدان (تشانق آن)

ثانياً: الخنساء

ثالثاً: مدن أخرى

المبحث الثالث: مراكز استقرار المسلمين في غرب الصين

أولاً: كاشغر

ثانياً: المناطق الحدودية بغرب الصين

المبحث الأول

مراكز استقرار المسلمين في شرق الصين

أشارت المصادر الأولية العربية إلى تواجد المسلمين في أنحاء عديدة من الصين منذ القرن الثاني الهجري = الثامن الميلادي. فقد قال أبو زيد: " وجميع من ببلاد الصين أهلها ومن العــرب وغيرهم لا بد لهم أن ينتموا إلي شيء يعرفون به."[1] " وكانت السلطات الصينية تــسجل أســماء وأعمال السكان." [2]

في هذا دلالة واضحة على وجود سكان من العرب في الصين منذ القرون الهجرية الأولي و أن العرب سكنوا و استقروا في المجتمع الصيني كما تذكر رحلة السيرافي، "أن لصاً لــو دخــل منزل رجل من العرب المتعاملين بالدنانير والدراهم لتهيــأ لـــه حمــل عــشرة آلاف دينـــار."[3] وهذا يؤكد أن العرب و المسلمين سكنوا الصين وكانت لهم فيها منازلهم الخاصة، وأنهم كانوا مــن الأثرياء.

ويذكر اليعقوبي عندما تحدث عن ملوك الصين بأنه عرف عنهم من خلال " الرواة وأهــل العلم ومن سار إلى بلاد الصين فأقام بها الدهر الطويل حتى فهم أمرهم."[4] وهنا استعان اليعقــوبي بالمسلمين الذين أقاموا في بلاد الصين "الدهر الطويل،" كمصدر لمعرفة أخبار ملوك الصين. ويقال أن أول مجموعة من المسلمين أقامت في الصين هم من ذهبــوا لقتــال أحــد المتمــردين علـــى الإمبراطور الصيني، حيث استعان الأخير بالخليفة العباسي أبو جعفر المنصور عام(139 هـــــ= 756 م).[5] فقد تخلف الكثير من المقاتلين العرب في الصين، و تزوجــوا مــن نــساء صــينيات، وحافظوا علي حياتهم الدينية الإسلامية.[6] وقد أشارت بعض الرسومات الفنية من عهد أسرة التانغ عن رسم صور لعرب، كعنصر من المجتمع الصيني .[7] وأشار ابن بطوطة في رحلته إلى تواجد المسلمين في جميع أنحاء الصين، إذ يقول: "وفي كل مدن الصين مدينة للمسلمين ينفردون بها، ولهم فيها المساجد لإقامة الجمعات وسواها"،[8] و ذكرت المؤرخة(تشينج) أن التجار العرب المقيمــين هناك كانوا يسكنون في مناطق خاصة بهم خارج أسوار المدينة الصينية.[9] لكن ابن بطوطة لــم

---

[1] السيرافي، رحلة السيرافي، صـ43 .
[2] م.ن.، صـ43.
[3] م.ن.، صـ57.
[4] تاريخ اليعقوبي، جـ1، صـ180.

[5] Fitzgerald, China : Flood Tide in China, p.327.
[6] IBID, P. 328.
[7] Schafer , The Golden Peaches of Ṣamarkand , p. 310.

[8] ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، جـ2، صـ718 .

[9] Ching,Chinese Religion, p.180

يشر إلى ذلك. وقد وصف بكل وضوح تواجد المسلمين بمدن و أماكن خاصة بهـم، والأرجـح أن المسلمين فضلوا الإقامة حول مساجدهم حتى يتمكنوا من الحفاظ علـى عـاداتهم و تقاليـدهم، ولا يتأثروا بعادات وتقاليد الصينيين المختلفة عنهم، ولا يتأذوا منها، إذ أن الصينيين مولعون بأكل لحم الخنزير. و بالرغم من أن رحلة ابن بطوطة حدثت في القرن الثـامن الهجـري= الرابـع عـشر الميلادي، إلا أنه من المرجح أن المسلمين قد سكنوا المدن و المناطق الصينية قبـل رحلـة ابـن بطوطة بقرون عدة.

وقد روى ابن النديم عن التجار والمسافرين الي الصين أن السلطات الصينية كانت تسجل اسم التاجر ونسبه "ومبلغ سنه ومبلغ ما معه ورقيقه وحاشيته،"[1] وذلك حرصاً على سمعتها في بلاد المسلمين، ورغبة في إظهار أن الصين هي بلاد أمن وأمان. [2] وقد تميز المسلمون الذين انتشروا في جميع أنحاء الصين خلال القرون الهجرية الأولي بالمحافظة على عاداتهم الإسلامية في المأكل و المشرب والزواج و الختان. فقد رفضوا التعامل بالربا وأقاموا المساجد والمـدارس العربيـة.[3] ومن الدلائل الواضحة التي تؤكد استقرار المسلمين في الصين خلال العصر العباسي، أن المـساجد كانت تدعو للخليفة العباسي أو لسلطان مسلم من بلاد المسلمين المجاورة للصين. فقد ذكـر عـن الخليفة العباسي الناصر لدين الله أحمد بن المستضيء بأمر الله الحـسن(575 هــ–622هـ= 1179م–1225 م)،[4] بأنه " خطب له ببلاد الأندلس وبلاد الصين." [5] ويدل ذلك علي أن مـسلمي الصين لم يحرصوا علي الحياة الدينية والتواصل الروحي مع باقي العالم الإسلامي فحـسب، بـل حرصوا أيضاً علي انتمائهم وولائهم للخلافة الإسلامية والدعاء للخليفة، الذي عـدُّوه قائـداً لهـم ورمزاً.

وقد ذكر أيضاً عن السلطان ملكشاه[6] أنه قد "خطب له من حدود الصين إلى آخر الشام."[7] كما ارتبط مسلمو الصين مع باقي مسلمي دولة الخلافة ثقافياً، إذ كانوا ينهلون من كتبهم و يتثقفون على مؤلفاتهم، إذ يقول الذهبي: " لو سافر رجل إلى الصين حتى يحصل تفسير محمد بن جرير لم يكن كثيراً.[8]

---

[1] ابن النديم، الفهرست، جـ1، صـ494.

[2] ابن النديم، الفهرست، جـ1، ص494؛ ابن الأزرق، بدائع السلك، جـ1، صـ402؛ ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، جـ2، صـ721.

[3] Ching, Julia, Chinese Religion, p.181

[4] الخليفة العباسي الناصر لدين الله، بويع لة بالخلافة عام 575هـ، ومات عام 622هـ، ينظر: الطهراني، طبقات أعلام الشيعة، ج1، ص4.

[5] ابن العماد، شذرات الذهب، ج3، ص98.

[6] السلطان ملكشاه، توفي سنة 485 هجري، ينظر: القلقشندي، مآثرالإنافة، ج2، ص3.

[7] أبو شامة، كتاب الروضتين، ج1، ص100؛ القلقشندي، مآثر الإنافة، ج2، ص3.

[8] الذهبي، سير أعلام النبلاء، جـ14، صـ272؛ ابن االعماد، شذرات الذهب، جـ1، صـ260؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر، جـ2، صـ152.

وفي رواية مهمة ذكرها ابن النديم في كتابه الفهرست عن خمسمائة رجل ينتمون لأديان المنانية،(1) حيث أراد أمير خراسان قتلهم فأرسل له ملك الصين يهدده، وقال له "إن في بلادي من المسلمين أضعاف من في بلادك من أهل ديني."(2) وهدد ملك الصين بقوله: " إن قتل واحد منهم قتل الجماعة به، وأخرب المساجد وترك الأرصاد على المسلمين في سائر البلاد."(3) وقد ذكر ابن النديم في روايته أن صاحب خراسان لم يقتل أي أحد من المنانية وقبل الجزيه منهم.(4) وهذه الرواية تؤكد وجود أماكن استقرار للمسلمين في جميع أنحاء الصين.

ومن أهم المدن التي استقر فيها المسلمون والعرب في شرق الصين مدينتي خانفو[5] (كانتون) والزيتونة.[6] فقد ذكرت مدينة خانفو في رحلة السيرافي "أن في خانفو وهو مجمع التجار رجلاً مسلماً يوليه صاحب الصين الحكم بين المسلمين الذين يقصدون إلي تلك الناحية، ويتوخي ملك الصين ذلك، و إذا كان في العيد صلى بالمسلمين وخطب ودعا لسلطان المسلمين."(7)
وقد روى هذه الرواية الرحالة والتاجر المعروف باسم سليمان التاجر،(8)

وترجع في الغالب إلى عام (237 هـ=851 م).(9) وتعد هذه الرحلة مصدراً أساسياً مهماً لمؤرخين يبحثون في تاريخ مدينة خانفو وعلاقتها باستقرار المسلمين والأجانب.(10)

وكان سليمان التاجر قد شاهد بنفسه أحوال مدينة خانفو، وبذلك فقد أصبحت روايته التي سردها لأبي زيد صاحب كتاب رحلة السيرافي من أهم وأوثق المصادر التاريخية التي وصلتنا عن استقرار المسلمين والأجانب في خانفو .

[1] - المنانية، هي إحدى أسماء الفرق التي "كانت بين عيسى عليه السلام ومحمد (صلى الله عليه وسلم)"، ينظر: ابن النديم، الفهرست، جـ1، ص479.
[2] - ابن النديم، الفهرست، ج1، ص47.
[3] -م.ن.،ج1، ص47 .
[4] - م.ن، ج1، ص471.
[5] - خانفو، من بين مدن الصين، وهي المدينة التي يقصدها التجار المسلمين، و بينها و بين البحر مسيرة أيام يسيرة، وهي على واد عظيم و ماء عذب، ينظر: السيرافي، رحلة السيرافي، ص 45؛
Schafer, The Golden Peaches of Samarkand, P.14
[6] الزيتونة، هي من فرض الصين، ينظر: أبو الفداء، تقويم البلدان، ص 394.
[7] - السيرافي، رحلة السيرافي، صـ24.
[8] - لمعرفة المزيد عن سليمان التاجر، ينظر: السيرافي، رحلة السيرافي، ص6؛
Fitzgerald, Flood Tide in China ,p.330; Scott , the golden, p. 13.
[9] - السيرافي، رحلة السيرافي،صـ6.
[10] - علي سبيل المثال هناك؛
William , a short history of china; Schafer, Golden Age of Chinese Art; Ptak, From Quanzhou to Sulu Zone; Ftizgerald, Flood Tide in China, P. 14

وقد ذكر مصدر صيني تاريخي قديم يعرف باسم "تشو كوتان" (Cho Ko Tan) بأنه تـم تعيين قاضي مسلم في مدينة خانفو التي يسكنها التجار المسلمين والعرب وأنه في خطبـة الجمعـة يقوم الخطيب بالدعاء لسلطان المسلمين.[1] وقد أصبحت مدينة خانفو معروفة ومشهورة عند التجار العرب والمسلمين، "ومدينة خانفو التي يقصد إليها تجار العرب. "[2] ووصفها أيضاً، " خانفو هـي المرفأ الأكبر."[3] وقد حدد بن خرداذبة عدد المدن الصينية فقال: "الصين ثلاثمائة مدينة عامرة كلها، منها تسعون مشهورة."[4] فقد ذكرت مصادر صينية قديمة أولية بأنه كان في الصين خلال القـرن الثالث الهجري/ التاسع ميلادي، خمسة وعشرين مدينة حيث عدد سكان كل مدينة أكثر من نـصف مليون نسمة.[5] ويقول المصدر نفسه بأن خانفو لم تكن مدينة كبيرة إلا أنها كانت الأكثر ثراء، حيث سكنها حوالي مائتي ألف أجنبي.[6] وكان العرب والمسلمون يسيطرون علي هذا الميناء الأهم فـي الصين، [7] ويؤكد هنا مؤرخ غربي فيقول: "كانت كل خانفو تقريباً بأيدي العرب."[8]

لقد أطلق الصينيون علي مدينة خانفو مسمي "ميناء كانتون العظيم ... خانفو العـرب ".[9] وكانت هذه المدينة الشهيرة تتميز عن غيرها من المدن الصينية بكثرة عدد العرب المقيمين فيها.[10] وقد وصف أحد قساوسة البوذيين و يدعي "تشاين تشين"(Chien-Chen) مدينتـه خـانفو عـام (130هـ= 748 م)، بأنها محاطة بثلاثة أسوار، وبيوتها من خشب، وسقوفها مغطاة بالقش. ولذلك حدثت حرائق كبيرة إلا أنه في عام (190هـ= 806 م) أمر حاكم المدينة الذكي بأن يبني النـاس أسقف البيوت من القرميد أو الفخار.[11] وتحدث عن أعداد كبيرة من التجار أتوا بالعطور والسجاد وأشياء نادرة، وأشار إلى أن سفنهم كانت مكدسة ببضائع مثل التلال.[12] وذكـر أن المـسئولين الصينيين كانوا يحتجزون بضائع التجار الأجانب في مخازن بمدينة خانفو لمدة ستة أشهر بانتظار تجار آخرين.[13] وقد أكد هذه الرواية أحد التجار المسلمين.[14] وهذا يعني أن التاجر المسلم قد يجد نفسه مضطراً للمكوث في خانفو أطول مما كان يخطط له.

---

[1] Williams, Edward, A short history of China , P.159.

[2] - السيرافي، رحلة السيرافي ،صـ59،

[3] - ابن خردازبة ، عبيدالله تن عبدالله، المسالك والممالك، (مطبعة بريل، ليدن،1889م)، صـ69.

[4] - م. ن.، صـ96.

[5] Schafer, The Golden Peaches of Samarkand,P.14-15

[6] IBID, P. 15

[7] W illiams , A short History of China , P. 159 ; Fitzgerald , China, P. 330

[8] Fitzgerald, Flood Tide in China, P.330

[9] Schafer, The golden peaches of Samarkand, p. 14

[10] IBID,p.14

[11] IBID,p.15

[12] IBID,p.15

[13] William, A Short History of China,p.159

[14] IBID, p.159

ويبدو أن المسلمين فضلوا الاستقرار في مناطق خاصة بهم في مدينة خانفو. وقد أصدرت السلطات الصينية أمراً إمبراطورياً بأن يعيش أجانب مدينة خانفو في المنطقة الجنوبية من المدينة.[1] ويبدو أن التجار المسلمين قد تمتعوا بمعاملة رسمية مميزة من قبل المجتمع والسلطات، "فمدينة خانفو سكنها مواطنون من أمم متحضرة مثل العرب، يعيشون جنباً إلى جنب مع تجار أقل تحضراً مثل الرجل الأبيض الهمجي والرجل الأحمر الهمجي ."[2] ويصف المصدر التاريخي الصيني بأن التجار المسلمين قد تعايشوا مع المجتمع الصيني،[3] وتبادلوا جميع أنواع التجارة في كل أسواق المدينة، [4] ويبين أن معظم التجار المسلمين قد أتوا من سيراف عبر الطريق البحري بين الخليج العربي وساحل الصين.[5]

ويتضح من الروايات السابقة أن التجار العرب والمسلمين قد وجدو مدينة خانفو الأنسب مكاناً والأهم اقتصادياً للاستقرار في الصين. فقد أصبحت بفعل هؤلاء التجار والمسلمين من أهم مصادر المال والجباية والضرائب لحكومة الصين.[6] ومن هنا يتضح لنا أن السلطات الصينية قد خصت المسلمين بمعاملة حسنة ومنحتهم مكانة خاصة لم ينلها غيرهم من الأجانب. وأصبح استقرار المسلمين في أهم موانئ الصين قاطبة مرتبطاً بالشريعة الإسلامية لوجود قاض مسلم بل ومعترف به رسمياً من قبل إمبراطور الصين. وكان المسلم يعرف عند الصينيين بأنه صاحب حضارة رفيعة وعالية' وهذا يدل علي التزام التجار بالقيم الإسلامية. وقد روي أن تاجراً عربياَ تم منحه لقباً مميزاً وخاصاً وهو "السيد النبيل،" (Advanced Gentleman)، أو بالصينية (Chin shih).[7] وقد حدث هذا في منتصف القرن الثالث الهجري=التاسع الميلادي.[8]

وبالإضافة إلي السلوك الحضاري للتجار المسلمين فإن هناك عوامل إقتصادية مهمة أسهمت أيضاً في اهتمام الصينيين بالمسلمين. ولقد روى أبو زيد في رحلة السيرافي قصة ابن وهب القرشي مع ملك الصين. وكان ابن وهب يعرف " بابن وهب من ولد هبار[9] بن الاسود."[10] وقد سافر الي

---

[1] Schafer, The Golden Peaches of Samarkand ,p.15
[2] IBID , P.15
[3] IBID, P.15
[4]- للمزيد عن أنواع التجارة التي تاجر بها العرب إلى الصين،ينظر: Fitzgerald, Flood Tide in China, P.330
[5] - السيرافي، رحلة السيرافي، صـ75؛ Esposito, Islam in China, P. 141
[6] Ptak, From Quanzhou to the Sulu Zone ,P. 20
[7] Schafer , The Golden Peaches of Samarkand, P.23
[8] IBID, P. 23
[9] - هو هبار بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزي بن قصي ، ينظر: أبو الحسن ،عبد الباقي بن قانع ،معجم الصحابة ،المحقق صلاح المصراتي، (مكتبة الغرباء الأثرية ،المدينة المنورة، ط1 ،1418هـ) جـ2، صـ247؛ للمزيد عن هبار بن الأسود، ينظر :الذهبي، سير أعلام النبلاء، جـ2، صـ247.
[10] - السيرافي، رحلة السيرافي، صـ60.

الصين فوصل مدينة خانفو ومنها "سار الي خمدان[1] في مقدار شهرين مـــن المدينـــة المعروفـــة بخانفو."[2] وعند وصول ابن وهب لمدينة خمدان طلب مقابلة ملك الصين، وأقام بباب الملك مـــدة طويلة وكان يقول: "إنه من أهل بيت نبوة العرب."[3] بعد هذه المدة الطويلة كتب الملك إلى الوالي على مدينة خانفو يأمره بالبحث وسؤال التجار العرب والمسلمين عن ما يدعيه ابن وهب من قرابته لنبي العرب. فكتب صاحب خانفو إلى الملك مؤكداً صحة ما قاله ابن وهب.[4] وهذه الرواية توضح أهمية مدينة خانفو التي فيها يستقر معظم عرب ومسلمي الصين، وأن المسلمين في خانفو هم محل ثقة ومصدراً أميناً لملك الصين في معرفة أخبار وأمور العرب والمسلمين. وهناك روايـــة نقلهـــا المؤرخ تشافر (schafer)، وترجمها مباشرة من اللغة الصينية إلى الإنجليزية، ويـــذكر فيهـــا أن التجار العرب والفرس قاموا بإحراق المحلات التجارية وطردوا حاكم مدينـــة خـــانفو.[5] ويعـــود السبب كما ذكر المصدر نفسه أن التجار العرب قد اشتكوا للإمبراطور فساد مـــسؤول ضـــرائب وجمارك الميناء. حدثت هذه الرواية عام(141هـــ= 758 م)، وكانت مدينة خانفو تتمتـــع بنفـــوذ اقتصادي مزدهر. وتذكر الرواية أن التجار اضطروا للهروب من خانفو والتي أصبحت في حالـــة شلل تام بسبب الأحداث والحرائق الناجمة عن غضب التجار المسلمين. فقد هرب الكثيـــر مـــنهم متجهين إلي الجنوب من الصين، حيث أبحروا إلى ميناء هانوي.[6] ويدعم هذه الرواية مؤرخ آخر، ويقول بأن الكثير من المسلمين غادروا إلى جنوب شرق آسيا.[7] ولم يجد الباحث فـــي المـــصادر العربية ما يؤكد تلك الحادثة، ولكن السيرافي أشار بشكل سريع إلى حادث حريق قد وقع بخانفو،[8] دون أن يذكر السبب، أو يتطرق إلى قيام التجار العرب بالاحتجاج على السلطات المحلية وطـــرد حاكم المدينة.

وبالرغم من هذه الأحداث التي تسببت في ركودٍ اقتصاديٍ لمدينة خانفو فقـــد عـــادت لهـــا الحيوية والحياة مرة أخرى خلال العقد الأخير من القرن الثالث الهجري= التاسع الميلادي.[9]

لكن الحدث الأهم في تاريخ استقرار المسلمين في خانفو، والذي ذكر في المصادر العربية الأولية واعتمدت عليه مصادر تاريخية أجنبية لاحقاً، هو قيام أحد القـــادة العـــسكريين المتمـــردين بالهجوم علي مدينة خانفو، وقتله من المسلمين واليهود والنصارى والمجوس مائة وعشرين ألفاً في

---

[1] - اسم المدينة التي يسكنها ملك الصين ،ينظر: المقدسي، البدء والتاريخ، ج4، صـــ61.

[2] - السيرافي، رحلة السيرافي، صـــ61.

[3] - م.ن.، صـــ61.

[4] - م.ن.، صـــ61 ؛ للمزيد عن معرفة الحوار بين ابو وهب و ملك الصين، ينظر: أبو زيد، رحلة السيرافي، ص61 – 63.

[5] -Schafer , The Golden Peaches of Samarkand , P15.

[6]- Schafer, The Golden Peaches of Samarkand., P.16.

[7]- Ptak, From Quanzhou to The Sulu Zone , P 22.

[8] - رحلة السيرافي، صـــ24.

[9] - Schafer , The Golden Peaches of Samarkand , P18

سنة (264هـ=877م)،[1] وقد أكد السيرافي تعدد الضحايا من المسلمين وغيرهم ،" إنما عرفت عدد هذه الملل الأربع لتحصيل أهل الصين بعددهم." [2] أما المسعودي، فقد ذكر عدداً لضحايا هذا التمرد يختلف عما رواه أبو زيد، حيث ذكر بأن العدد مائتا ألف.[3] وبرر هذا الرقم بقوله: "أحصىُ ما ذكرناه من العدد الاول لأن ملوك الصين تحصي من في مملكتها من رعيتها ومن جاورها من الأمم ... في دواوين لها وكتَاب قد وكلوا بإحصاء ذلك، لما يراعون من حيطة من شمله ملكهم."[4]

ويبدو أن المراجع الغربية اعتمدت رواية أبي زيد،[5] حيث ذكرت أن التمرد قام به قائد عسكري يدعي "هوانغ تشاو" في سنة(265هـ= 879 م).[6] أما كتاب رحلة السيرافي، فقد ذكر أن اسمه بابشو.[7]

كانت هذه الحادثة بمثابة الضربة القاصمة لسمعة ونفوذ ميناء خانفو العظيم. فبعد إعدام عشرات الألوف من التجار العرب والمسلمين وهروب الكثير من خانفو، وبدأت هذه المدينة تفقد مكانتها الاقتصادية، ولم تستطع أن تعيد مجدها القديم ففقدت أهميتها ونفوذها.[8]

وقد علل أحد المؤرخين الصينيين هذا الحدث[9] بأن الجنرال المتمرد بابشو أراد أن ينصب نفسه حاكماً عسكرياً على خانفو إلا أن القصر الإمبراطوري رفض طلبه.[10] وعلق مؤرخ آخر بقوله: "أن هذا الجنرال قام بقتل المسلمين وغيرهم من الأجانب في خانفو لأنه حملهم مسئولية المشاكل التي كانت الصين تعيشها آنذلك."[11]

---

1 - السيرافي، رحلة السيرافي، صـ54؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج1، صـ164- 165؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج6، صـ278. للمزيد عن الجنرال المتمرد و صراعه مع ملك الصين، ينظر أبوزيد، رحلة السيرافي، صـ54-56؛

Schafer , The Golden Peaches of Samarkand , P16.

2 - رحلة السيرافي، صـ54.

3 - مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج1، صـ 164 – 165.

4 - م.ن.، ج1، صـ165.

5 - لمعرفة ما ورد من مراجع أجنبية نقلت عن السيرافي في كتابه رحلة السيرافي ينظر :

Ching, Julia , Chinese Religion, P.175; Huang Ray , China , A macro History , P.117

6 - Findlihg , The History of China , P.70; Schafer, The golden peaches of Samarkand , P.16; Huang Ray, China , Amacro History, P.117.

7 - السيرافي، رحلة السيرافي، صـ54.

8 Fitzgerald, China: A short Cultural History ,p.330; Schafer, The Golden Peaches of Samarkand,p.16; Findling, The History of China ,p.70 .

9 - ذكر الباحث بأنه مؤرخ صيني لأن اسمه هوانغ راى (Huang Ray)وعادةً ما يحتفظ الصينيون المعاصرون باسم العائلة الصيني ويغيرون الاسم الاول باسم غربي مثل Ray ، ينظر:

Huang, Ray , China, A Macro History.

10- Huang, Ray , China, A Macro History , p.117 .

11− Findling, The History of China, P.70.

ومن المدن المهمة التي استقر فيها المسلمون في الصين مدينة الزيتون، والتي عرفت بأنها فرضة من فرض الصين،[1] وقد وصفت في المصادر العربية بأنها "مدينة مشهورة علـــى ألـــسنة التجار المسافرين إلى تلك البلاد."[2] وكتب عنها ابن بطوطة: "هي مدينـــة عظيمـــة وكبيـــرة ... ومرساها من أعظم مراسي الدنيا وهو أعظمها."[3] ومدينة الزيتون[4] معروفـــة عنـــد المـــؤرخين الصينيين والغربيين باسم "كوان زو" (Quanzhou)، وهذا الاسم المرادف لمدينة الزيتون ســـتأتي أهميته خلال الصفحات القادمة لاعتماد المؤرخين الصينيين والغـــربيين علـــي مـــصطلح Quanzhou[5]،ولقد ذكر أحد المصادر التاريخية الصينية أن المسلمين وصلوا إلى مدينة الزيتـــون خلال القرن الهجري الأول/السابع الميلادى كدعاة للإسلام.[6] ولقد اكتشفت دراسة حديثة وجود قبر مكتوب عليه باللغة العربية يرجع لعام(399هـــ=1009م).[7] وفي هذا العام نفسه تم بنـــاء مـــسجد ضخم وهو مازال موجوداً في مدينة الزيتون،[8] ومازالت جدرانه القديمة قائمة، ولكن بلا ســـقف، وبجانبه عدد من قبور المسلمين وعليها كتابة باللغة العربية.[9] ويدل هذا على أن مدينة أو مينـــاء الزيتون لها جذور قديمة مرتبطة بالمسلمين والإسلام..ولقد نقل لنا أحد المـــؤرخين مـــن مـــصادر صينية بأنه في عام(602هـــ=1206م) كتب أحد موظفي ميناء الزيتون والذي كان يعمل في مكاتب شؤون الملاحة البحرية لمدينة الزيتون[10] بأن العرب كانوا كثيري الزيارة لمكتب الملاحة البحري في الميناء. [11]

وذكرت رواية أخري بأن أحد التجار العرب وأصله من سيراف، قام ببنـــاء مقبـــرة لكـــل التجار الأجانب المقيمين هناك.[12] لكن المؤرخ الصيني[13] ينتقد هذه الرواية ويدعم وجهة نظـــره بترجمة مباشره من المصدر الصيني مشيراً إلى أن المتبرع ببناء المقبرة لم يكن عربيا بل هو تاجر من احدي مناطق جنوب شرق آسيا، وأن المقبرة تقع في الجزء الشرقي من المدينـــة ولـــيس فـــي

[1] -أبو الفداء، تقويم البلدان، صـ397، القلقشندي، صبح الأعشي، جـ4، صـ479.
[2] -القلقشندي، صبح الأعشي، جـ4، صـ479؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، صـ379.
[3] -ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، جـ2، صـ722.
[4] لمعرفة المزيد عن الوصف الجغرافي الإقليمي لمدينة الزيتون، ينظر: أبو الفداء، تقويم البلدان، صـ397؛ القلقشندي، صبح الأعشي، جـ4، صـ479.
[5] -Huang, Ray, China ,A Macro History ,p.100; Ching, Julia , Chinese Religion ,p.190.
[6] -schafar, the goldin peaches of Samarkand, P. 16.
[7] -Ching, Julia , Chinese Religin,p.180.
[8] -IBID, P.180.
[9] -IBID, P.180.
[10] -Sokee-long, dissolving Hegemony ,or changing trade pattern? Journal of Southeast Asian studies vol.29,1998,P.1.
[11] -IBID.P.1.
[12] - IBID.P.1.
[13] - ينظر: dissolving Hegemony ,or changing trade pattern? Journal of Southeast Asian studies vol.29,1998,p.1

الجنوب من مدينة الزيتون، وأن المقبرة تم بنائها في عام(557هـ= 1162م)، وقد بنيت بجـدران وسقف لحمايتها.[1] وبغض النظر عمن بنى المقبرة ، فإنه من الواضح وجود جالية كبيرة من التجار المقيمين في الزيتون، ومنهم تجار عرب كما ذكر المؤرخ الصيني، ومن المثير هنا أن المؤرخ الصيني يذكر اسم الموظف والسنة التي عين فيها موظفاً في سلطة الملاحة البحرية لميناء الزيتون، فذكر أنه مفتش الميناء وأن اسمه "لين،"[2] (LIN)، وأنه حصل علي الشهادة التأهيلية عام(545هـ=1151م)، وأن لين عمل بأربع وظائف حكومية قبل أن يصبح مفتش لميناء الزيتون.[3] ولم تكتف الرواية بهذا القدر، فقد ذكرت بأن لين كان على معرفة شخصية بالتاجر الذي بني المقبرة للأجانب.[4] وأن هذه المعلومات موجودة فقط في أرشيف مكتب الملاحة البحرية الحكومي لميناء الزيتون، وفي كتب أخري من التاريخ. [5]ومن هذا المصدر المهم نعرف بأن التجار كانوا موجودين ومقيمين في ميناء الزيتون، فقد ذكر مفتش الميناء لين التجار العرب في أول اللائحة قبل التجار من شعوب أخرى.[6] وهذا يدل علي أهميتهم، كما قد يدل على أنهم أكثر تجار هذه المدينة عدداً.

في بداية القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، اشتهرت الجالية المسلمة في مدينة الزيتون حيث عين للمسلمين المقيمين قائد أو قاضي وكانت جالية مزدهرة ونشطة.[7] ومع هذا التطور المتسلسل[8] لاستقرار المسلمين في الزيتون منذ القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي يظهر أن استقرار المسلمين في هذا الميناء هو استقرار سلمي ومتدرج وتطور منذ القرون الأولى منذ تواجد المسلمون في الصين، فتاريخ استقرار المسلمين في الزيتون خلال هذه الحقبة يبدو مختلفاً نوعاً ما مقارنةً بما حدث للمسلمين في ميناء خانفو كما شرحنا سالفا عن أوضاع استقرارهم. لكنه من جهة أخرى، قد لا نعرف عن واقع وأحداث ألمت بالمسلمين في الزيتون لسبب أنه يتم نقلها من قبل تجار مسلمين من الزيتون أو لم يحتفظ بالروايات التاريخية والتي قد يتلفها الزمن الطويل.

ومع بداية القرن الثامن الهجري/القرن الرابع عشر الميلادي، كان التجار المسلمون من أصل صيني أو من المقيمين الأجانب الأكثر غناً وثراءً في ميناء الزيتون.[9] وإلى هؤلاء التجار يعود

---

[1] -Sokee-long, dissolving Hegemony ,or changing trade pattern? Journal of Southeast Asian studies vol.29,1998,P.1
[2] IBID.P.1
[3] IBID,P.1
[4] IBID.P.1
[5] Sokee-long, dissolving Hegemony ,or changing trade pattern? Journal of Southeast Asian studies vol.29,1998, P.1
[6] IBID,.p.1
[7] Ching , Julia , Chinese Religion, p.181.
[8] - لمعرفة المزيد عن أوضاع المسلمين المقيمين بالصين خلال القرن الثالث عشر، وعن إنجازات المسلمين العلمية التي أسهمت في نمو الحضارة الصينية، ينظر: Ching, Julia , Chinese Religion , p.181
[9] Ptak, Roderich, Quanzhou to the Sulu Zone, p.1

الفضل في انتشار الإسلام في مناطق جنوب شرق أسيا مثل بورنيو وجنوب الفلبين والكثير من الموائي علي طول الخط البحري في تلك المناطق، [1] وكان نفوذ التجار المسلمين في الزيتون الأكثر قوة وتوسعاً.[2]

ويتحدث ابن بطوطة عن رحلته إلى ميناء الزيتون ويصف بدقة مشاهداته هناك ومقابلته للعديد من الشخصيات والعلماء المسلمين،[3] فيقول: "والمسلمون ساكنون بمدينة علي حدة."[4] وهذا الوصف لسكن المسلمين ينسجم مع روايتنا السابقة عن المصدر الصيني و التي ذكرت أن إقامة العرب و الأجانب كانت في الجزء الشرقي من المدينة، وبالرغم من أن ابن بطوطة لم يحدد الجهة التي أقاموا فيها إلا أن هناك ما يدل علي أن المسلمين سكنوا واستقروا في الزيتون بمنطقة منفصلة عن الصينيين، ونحن نعرف أن رحلة ابن بطوطة تمت في منتصف القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي. [5] لكن استقرار المسلمين يرجع إلي ما قبل ذلك، وكان ابن بطوطة عند وصوله لمدينة الزيتون، يكتب تفاصيل قدومه ويتحدث عن أحوال المدينة وأهلها، فقد تحدث عن قاضي المسلمين تاج الدين الأردويلي وهو من الأفاضل والكرماء وكذلك شيخ الإسلام كمال الدين عبد الله الأصفهاني، إضافة إلى عدد من كبار التجار ومنهم شرف الدين التبريزي.[6]

وقد أشاد ابن بطوطة بكرم المسلمين المقيمين بالزيتون، حيث أنهم يفرحون لقدوم أي مسلم على المدينة، ويعطونه من زكوات أموالهم، "فيعود غنياً كواحد منهم."[7] ويبدو واضحاً من رواية ابن بطوطة أن مسلمي مدينة الزيتون لهم صفات حميدة مثل الشعور بالأخوة الإسلامية والنخوة و الكرم فهم يفرحون برؤية أي مسلم يقدم إليهم ويعطونه من زكاة أموالهم. كما يفهم من الرواية أن مسلمي الزيتون كانوا أغنياء، إذ يصبح القادم غنياً من خلال زكواتهم، وقد أكدت ذلك رواية صينية ذكرت سابقاً.

لقد روى أحد المبشرين النصاري في عام (726هـ=1326م) معلومات عن استقرار العرب والمسلمين في مدينة الزيتون. ففي رسالة مكتوبة باللغة اللاتينية من القس فان دن وينقرت Van (Den Wyngaert)[8] إلى البابا يصف له الجالية الأجنبية المقيمة في مدينة الزيتون فيقول: "في

---

[1] Ptak, Roderich, Quanzhou to the Sulu Zone ,.p.1
[2] IBID,.p.1

[3] - ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، جـ2، صـ722.
[4] - م .ن.، جـ2، صـ722.
[5] - م. ن، جـ2، صـ722.
[6] - م.ن.، جـ2، صـ722.
[7] - م.ن.، جـ2، صـ722.
[8] -Dawson, Christopher, The Mongol Mission : Narratives and letters of the Franciscan missionaries in Mongolia and China in the 13 the and 14th centuries , AMS Press , 1980, p. 31

هذه الامبراطوية (الصين) الواسعة يوجد بالتأكيد رجال من جميع أمم العالم ... والكل يعيش طبقا لدينه، وهم يعتقدون بأنهم سيرحمون بدينهم وهذا خطأهم، ونحن نقوم بعملنا في التبشير بكل حرية إلا أن العرب واليهود لا يغيروا دينهم أبدا." [1] ويتضح من هذه الرواية استقرار المـــسلمين فـــي الزيتون وتمسكهم بدينهم. وقد تحدث ابن بطوطة في روايته السابقة عن تدين مـــسلمي الزيتـــون، ويتضح كذلك من تاريخ الروايتين بأنهما تقريبا حدثتا في الزمن نفسه، ولا تخلو رواية القس مـــن العنصرية وعدم الإحساس بالتسامح الديني.

[1] Dawson, Christopher, The Mongol Mission : Narratives and letters of the Franciscan missionaries in Mongolia and China in the 13 the and 14th centuries , AMS Press , 1980, p. 235 - 237

المبحث الثاني

مراكز استقرار المسلمين في وسط الصين

مع بداية القرن الثاني الهجري= الثامن الميلادي، أصبحت العاصمة الصينية تشانق آن (Chang An) من أعظم مدن العالم من حيث الحجم وعدد السكان والثروة والفنون، و اشتهرت هذه المدينة بمخططها المدني وبشوارعها الأنيقة المتناسقة هندسياً، فقد كان لها أربعة عشر شارعاً رئيساً من الشمال إلى الجنوب وأحد عشر شارعاً تقطعها من الشرق إلى الغرب.[1]

كما اشتهرت تشانق آن بالتنوع الثقافي وتعدد الفنون في مختلف مجالات الحياة، وقد وصل إليها التجار من جميع أنحاء العالم، وانتشرت البضائع المتنوعة القادمة من أماكن بعيدة، وكذلك ازدهرت فنون وثقافات متنوعة مثل الرسم والشعر والرقص الصيني الشهير المعروف عنه بالعروض البهلوانية الرياضية الشهيرة. وسمح للأجانب في تشانق آن ببناء كنائسهم ودور عبادتهم. وقد بنى المسلمون في بداية القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، مسجداً في المدينة.[(2)] وبنى نصارى سوريون كنسية لهم، وتم بناء دورعبادة لأديان أخرى، كما بنيت العديد من الحدائق.[(3)]

لقد حاول الباحث أن يجد اسم المدينة "تشانق آن" في المصادر الإسلامية التاريخية الأولية، فلم يعثرعلى ذكر لهذا الاسم، لكن المصادر الإسلامية التي تتحدث عن الصين في القرن الثالث الهجري=التاسع الميلادي وأوائل القرن الرابع الهجري=العاشر الميلادي تحدثت عن مدينة وصفتها بأنها عاصمة الصين، وأطلقت عليها اسم خمدان. إذ يقول السيرافي: " مدينة خمدان ومقر الملك."[(4)] ويقول المسعودي ناقلاً عن السيرافي: " مدينة خمدان التي بها الملك وصفتها ونعتها."[(5)] ويقول ابن حوقل: "مملكة الصين كلها منسوبة الي صاحب الصين المقيم بخمدان."[(6)] ويرجح الباحث أن خمدان[7] التي ذكرتها مصادرنا هي نفسها" تشانق آن" (Chang An). لكن التعريب الذي يحدثه العرب في كثير من الأحيان على أسماء المدن هو الذي حولها إلى خمدان. يؤكد ذلك أن مصادرنا

---

[1] Bowman, John , Columbia Chronologies of Asian History and Culture, p.104

[2] للمزيد عن معرفة أوضاع العاصمة تشانق آن خلال القرن الثاني هجري/ الثامن ميلادى، ينظر:
Bowman, John , Columbia Chronologies of Asian History and culture
و يحتوي هذا الكتاب الضخم على أهم أحداث تاريخ الصين، حيث جمعت المعلومات التاريخية من قبل عدة مؤرخين عملوا كمستشارين باحثين في المصادر الأولية الصينية و مترجمين مباشرة من اللغة الصينية القديمة.

[3] Bowman, John, Columbia Chronologies of Asian History and Culture, P104

[4] - رحلة السيرافي ،صـ64

[5] - المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، جـ1، صـ172.

[6] - ابن حوقل، أبي القاسم النصيبي، كتاب صورة الارض، (بيروت، دار مكتبة الحياة، 1992م)، صـ23؛ المقدسي، البدء والتاريخ، جـ4، صـ61.

[7] ينظر: ملحق 1-3، خريطة تاريخية لمدينة خمدان خلال عصر التانغ، ص139

ذكرت أنها كانت العاصمة، وأن الجزء الأخير من كلمة "خمدان"، هو نفسه الموجود في آخر كلمة تشانق آن.

كانت مدينة خمدان (تشانق آن) منقسمة الي قسمين، أما القسم الأيمن فيقيم به الملك وحاشيته وقاضي القضاة، وأما القسم الأيسر فيسكنه الرعية والتجار وتوجد فيه الأسواق، وقد اشتهرت المدينة بأنهارها المتعددة وطبيعتها الخلابة.[1] "وأن بهذا البلد من كل نزهة وغيضة حسنة وأنهار مطردة إلا النخل فإنه معدوم."[2] ولم تذكر رحلة السيرافي معلومات عن أحوال المسلمين في مدينة خمدان غير وجود تجار في الشق الأيسر من المدينة. وكما أن هذة الحقبة من تاريخ الصين والاسلام مهمة وغنية بالتبادل التجاري، فإنه علي الأرجح بأن التجار الذين ذكروا في رحله السيرافي، كان من بينهم تجار عرب ومسلمون. لأن خانفو كانت الميناء الأكبر في الصين وكان يقطنها عشرات الآلاف من التجار المسلمين، ومن الطبيعي أن يقصد العاصمة المسلمون لأغراض رسمية أو تجارية.

يعد الصينيون عهد أسرة التانغ بالأخص القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي هو العهد الذهبي في تاريخ الصين. وكانت العاصمة تشانق آن بمثابة الجوهرة في التاج بسبب ما آلت إليه المدينة من حضارة ورقي في جميع الفنون والإنجازات الحضارية للشعب الصيني، فقد فهم الصينيون من شعوب العالم بأن العاصمة خمدان كانت أعظم مدينة في العالم.[3]

لذلك من الطبيعي أن يأتي لهذه المدينة أجناس أخرى من تجار وسفراء ووفود رسمية وزوار وغيرهم من أجل أغراض اقتصادية وثقافية وتجارية. ومما ساعد على توافد الأجانب ومنهم المسلمون هو تميز مدينة خمدان بالانفتاح على المسلمين وغيرهم، بل والاهتمام بما يقدمه زوارها من أفكار وفنون وبضائع تجارية.[4]

ومقارنة مع مدينة و ميناء خانفو، كانت خمدان ذات كثافة سكانية أكثر بعشرات المرات من ميناء خانفو.[5] فقد وصل عدد سكان عاصمة الصين في منتصف القرن الثاني الهجري=الثامن الميلادي أكثر من مليوني نسمة، وكانوا جميعهم مواطنون يدفعون ضرائب في ظل حياة مزدهرة واقتصاد قوي نشط.[6] وفي عام (125هـ=743م)، قامت السلطات المحلية الصينية

---

[1] - السيرافي، رحلة السيرافي، صـ64؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، جـ1، صـ172

[2] - م.ن.، صـ64.

[3] - Fitzgerald , floode Tide in China, p.338; Bowman, Colombia Chronology , p. 104

[4] - Findling , John , The History of China ,P.79

[5] -Schafer , The Golden Peaches of samarkand, p. 20.

[6] -Scot, Hugh, The Golden Age of Chinese Art , p. 13 ; Schafer, the golden peaches of Samarkand, p,20

ببناء بحيرة صناعية على الطرف الشرقي من مدينة خمدان مع قناة صناعية[1]، بهدف ربط العاصمة بميناء خانفو البحري الشهير مما أسهم بزيادة عظيمة في حركة انتقال الناس و التجار الصينيين وغيرهم بين أهم مكانين في الصين العاصمة خمدان وميناء خانفو، فتغير المثل الصيني الشائع آنذاك " قوارب في الجنوب و خيول في الشمال."[2]

ويقصد هنا بالجنوب ميناء خانفو الواقع في الساحل الشرقي من الصين الذي ربط مائياً بالعاصمة خمدان. ولقد ازداد النشاط التجاري وأدى إلى زيادة في عدد الأجانب المقمين في تشانغ آن.[3]

كان هناك اختلاف ملحوظ بين الأجانب المقيمين في تشانق آن وبين أولئك المقيمين في ميناء خانفو. ففي الشمال حيث العاصمة تشانق آن بدا واضحاً وجود أجانب من أصل تركي، ومغول، وأجناس أخرى من الشعوب المجاورة للشمال، والغرب من حدود الصين. بالإضافة إلى هذا كان هناك عرب وفرس وهنود مقيمين في العاصمة. أما في خانفو فقد تواجد فيها مقيمون أجانب ينتمون إلى شعوب، قريبة من شعوب كمبوديا وفيتنام و جنوب شرق آسيا مثل جزر الملايو، وميندناو، وجافا، ومالقا. إضافةً لأعداد كبيرة من المسلمين من عرب وفرس.[4] ونظراً لأهمية الجالية المسلمة في العاصمة تشانق آن فقد قامت السلطات الصينية بتعيين شخص مسلم من أصل فارسي كقائد أو مسؤول عن مصالح الجالية المسلمة في العاصمة، وأطلقت علية لقب "قائد القافلة "(caravan leader)،[5] وعرف باللغة الصينية "سات باو".[6] ونذكر هنا أن تعداد الشعب الصيني قد وصل في منتصف القرن الثاني الهجري= الثامن الميلادى إلي أكثر من 40 مليون نسمة، ولم تحدد المصادر الصينية تعداد السكان المسلمين في العاصمة في تلك الحقبة، إلا أنهم تواجدوا وكان لهم مسجداً.

و في القرن الثالث الهجري= التاسع الميلادي، ازدهرت الجاليات الأجنبية ومنها الجالية المسلمة المكونة أساساً من تجار عرب وفرس، وقد ساعد في ازدهار وازدياد عدد المسلمين في العاصمة بناء القناة الصناعية التي ربطت ميناء خانفو بالعاصمة خمدان، حيث زاد التواصل مع مسلمي خانفو ذوي الأعداد الكبيرة و الملتزمين بدينهم. فانتعشت الحياة الدينية للمسلمين المقيمين في

[1] ينظر: ملحق 2-3، صورة القناة العظيمة في الصين، ص140

[2] - Schafer , The Golden Peaches of Samarkand ,p.20

[3] - IBID ,p.20.

[4] -IBID, p.20.

[5] -IBID, p.20.

[6]-IBID, p.284.

المدينة.[1] وفي هذه الحقبة اتسعت المدينة مساحةً وسكاناً. فكان طول المدينة ستة أميال وعرضها خمسة أميال.[2] لقد نجحت الحكومة الصينية في إنجاز المشاريع الضخمة مثل بناء البحيرة الصناعية وكذلك القناة الصناعية من أجل تجقيق الازدهار التجاري والاقتصادي، وفي الوقت نفسه سمحت للمسلمين ببناء المساجد وذلك للأهمية الكبيرة التي عبرت عنها الحكومة الصينية في حسن المعاملة للمسلمين.

و قد تحدث أحد المؤرخين عن العثور علي بعض الآثار المهمة التي تعود إلى أول مسجد بني في مدينة خمدان في بداية القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادى. وتعد هذه الآثار جزء من المسجد الكبير أو أهم مسجد لمدينة خمدان آنذاك.[3] وهذا ما يجعل الصلة التاريخية بين هذه المدينة وتاريخ المسلمين في الصين غاية في الأهمية. فالصينيون يعدونها أعظم حاضرة في تاريخ الصين. وشاء القدر أن يتلاقى النمو الصيني الحضاري في القرن الثاني الهجري /الثامن الميلادي مع الصعود التاريخي للحضارة الإسلامية شرقاً وغرباً. وانتشر التجار المسلمون والزوار في الصين وخاصة العاصمة خمدان فتركوا تاريخاً حافلاً من التعايش والتبادل الحضاري بين الإسلام والصين. وكان لهؤلاء التجار المقيمين في خمدان وغيرهم من المسلمين مثل العلماء والزوار النصيب الأكبر في هذا الإنجاز الحضارى والتاريخي مع الصين. وليس فقط كتب التاريخ تشهد علي ذلك، بل إن الكثير من الفنون الصينية مثل الفخار الصيني والرسومات الشهيرة للصين تظهر أشكالاً ورسومات لعرب وفرس كانوا مقيمين في خمدان.[4] مما جعل العرب والمسلمين في تلك الحقبة جزءاً لا يتجزأ من تاريخ و حضارة الشعب الصيني.

لم يدم طويلا العصر الذهبي لعاصمة الصين العظيمة خمدان، بل انحصر نفوذها التجاري والتبادل العالمي بعد انتهاء عهد أسرة التانغ وقدوم عهد جديد متمثلاً بأسرة حاكمة جديدة للصين تدعى أسرة السونغ.[5] فقد قررت أسرة السونغ[6] نقل النشاط التجاري إلى طول الساحل الصيني الشرقي مما أثر بشكل سلبي و كبير علي عاصمة أو حاضرة الصين العظيمة مدينة خمدان، وبدأ نفوذها يضمحل وإشعاعها العالمي ينطفئ تدريجيا. فتحولت أنظار التجار المسلمين وغيرهم من تجار أجانب إلى ميناء هانجزو (Hangzou) التجاري الواقع علي الساحل الشرقي للصين.[7]

---

[1] -Lattimore , Pivot of Asia: Sinkiang and the Inner Asian Frontiers of China and Russia, (Boston: Little, Brown and Company, 2006), P.12; Findling , The History of China, p. 29.

[2] -Fitzgerald, Flood Tide in China, p. 316.

[3] - IBID,p.329.

[4] -Scott , The Golden Age of Chinese Art, p.13.

[5] -Findling , The Golden Age of Chinese Art, p.79.

[6] ينظر: ملحق 3-3، صورة للإمبراطور مؤسس عصر السونغ.

[7] - Findling, The Golden Age of Chinese Art, P.79.

وخلال حقبة حكم السونغ للصين[1]، زاد التعداد السكاني للشعب الصيني بشكل ملحوظ حتي وصل الي مائة مليون نسمة مع بداية القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي. فقد توسعت المدن الصينية وتضاعف عدد سكانها حتي أن عاصمة السونغ ميناء هانجزو وصل عدد سكانه إلى أربعة ملايين نسمة. وقد حظي المسلمون بتواجد ملحوظ ومهم في هذه المدينة الا أن سلطات السونغ لم تتعامل بسياسة التانغ المتعاطفة و المتعاونة مع المسلمين والأجانب. فحكومة السونغ كانت حذرة وخائفة من الأجانب وذلك لعدم الإحساس بالاستقرار.[(2)]

ومن مدن الصين المهمة التي استوطنها المسلمون مدينة الخنساء وقد عرفت بمساحتها الكبيرة وعمرانها المتناثر علي مساحات كبيرة.[(3)] وصفها ابن بطوطة خلال رحلته الشهيرة بقوله:" أكبر مدينة رأيتها علي وجه الارض".[(4)] واشتهرت الخنساء بأسواقها العديدة ومبانيها الجميلة والحدائق والمتنزهات المتواجدة في أماكن عدة.[(5)] وكانت الخنساء غاية في الأهمية للتجار العرب والمسلمين، " واليها ينتهي وصول التجار المسافرين من بلادنا."[(6)] ويبدو أن هناك تناقضاً في تحديد الخنساء كما ظهر عند تعريف مدينة الخنساء، فقد ذكر أبو الفدا أن الخنساء هي خانقو.[(7)] ولكن ابن بطوطة بين في رحلته أن خانقو هي مدينة خانق بالق.[(8)] وهي بكين الآن، إذ أن مدينة الخنساء تبعد عشرات الأيام عن خانق بالق.[(9)] وهذا يوضح بأن مدينة الخنساء بعيدة جدا عن خانق بالق (بكين). وأن رواية ابن بطوطة هي الأرجح و الأقرب إلى الصواب، وذلك لكونه سافر إلى هناك. وقد تحدث ابن بطوطة في وصف رائع وبرهان واضح عن استقرار المسلمين بهذه المدينة الضخمة والمهمة في الصين، فروى أنها كانت منقسمة إلى ست مدن، وأن المدينة الثالثة منهم كان يسكنها المسلمون،" ومدينتهم حسنة الأسواق مرتبة كترتيبها في بلاد الاسلام، وبها المساجد والمؤذنون سمعناهم يؤذنون بالظهر عند دخولنا.[(10)] وبين الوصف مدى الاستقرار الذي كان يتمتع به المسلمون من حيث تصميم مكان استقرارهم علي غرار المدن الإسلامية، وبناء المساجد وكذلك أسواقهم. وبالرغم من أن هذا الوصف قد دون في القرن الثامن الهجري= الرابع عشر الميلادى إلا أنه من الطبيعي أن يكون الاستقرار يرجع إلى سنين طويلة قبل ذلك.

---

[1] ينظر: ملحق 4-3، خريطة الصين خلال عصر السونغ.

[2] - Findling, The Golden Age of Chinese Art,P.83.

[3] - ابن بطوطة، رحلة أبن بطوطة، جـ2، صـ728؛ القلقشندي، صبح الأعشى، جـ4، صـ478.

[4] - ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، جـ2، صـ72.

[5] - القلقشندي، صبح الأعشى، جـ4، صـ478.

[6] - م.ن.، جـ4، صـ478.

[7] - م.ن.، صـ394.

[8] - ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، جـ2، صـ733.

[9] - القلقشندي، صبح الأعشى، جـ4، صـ478؛ ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، جـ2، صـ733.

[10] - ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، جـ2، صـ728.

و قد عرفنا ابن بطوطة على قاضي المدينة المسلم فخر الدين، وعلى شيخ الإسلام بها، وكذلك على وجهاء وكبار المسلمين في المدينة، مثل أولاد عثمان بن عفان المصري، وذكر ابن بطوطة كيف خرج أولاد عثمان المصري ومعهم تاجر المدينة، وهم يحملون علماً أبيض ومعهم الأطبال والأنفار والأبواق حتى أن أمير المدينة خرج في الموكب لاستقبال ابن بطوطة مع عساكره وحاشيته.[1] وكان من أجمل ما ذكره ابن بطوطة عن مدينة الخنساء حديثه عن كثرة أعداد المسلمين فيها، وأن التجار الأغنياء المسلمين ومن بينهم أولاد عثمان بن عفان المصري كانوا يكثرون من النفقات علي الفقراء والمحتاجين. وأن هناك زاوية عرفت باسم العثمانية ولها أوقاف كثيرة، هذا بالإضافة إلى أن التاجر الشهير عثمان قد بنى المسجد الجامع في مدينة الخنساء.[2] وقد مكث ابن بطوطة خمسة عشر يوماً، "فكنا كل يوم وليلة في دعوة جديدة ولا يزالون يختلفون في أطعمتهم ويركبون معنا كل يوم للنزهة في أقطار المدينة."[3]

وهذا يوضح لنا أن المسلمين قد استقروا وعلي مدى أجيال في مدينة الخنساء بالإضافة إلى قوة نفوذهم الاقتصادي. وأن وجود قاض للمدينة يحكم بالشريعة الإسلامية بين المسلمين المقيمين لهو دليل على الحرية الممنوحة للمسلمين الذين اختاروا الحياة في الصين لكنهم حافظوا علي هويتهم الإسلامية متمسكين بالعادات والتقاليد المستمدة من الإسلام.

أما عن مدينة خانق بالق، فقد وصفها ابن بطوطة فقال : "من أعظم مدن الدنيا."[4] وأن هذه المدينة اختلفت في التصميم عن باقي المدن الصينية. وذلك أن البيوت والحدائق صممت خارج الأسوار وليس داخلها كما في بقية المدن الصينية. وقد ذكر ابن بطوطة أن القان " قد عين مسلماً ليكون مسؤولاً عن باقي المسلمين، وتمت مخاطبته بصدر الجهان."[5]

وقد جاء وصف المسلمين في مدينة خانق بالق في إحدى الرسائل من أحد القساوسة النصارى خلال رحله تبشيرية في شهر (رجب 705هـ= فبراير 1306م).[6] فقد ذكر القسيس اسم بكين علي هذه المدينة ورأى فيها عرب ومسلمين، وأنه حاول التبشير في أحد المساجد في المدينة،[7] لكنه فوجئ بقوة نفوذ العرب والمسلمين بعاداتهم وتقاليدهم، وتأثيرهم حتى في النصارى المقيمين في المدينة، فقد لاحظ أن بعض النصارى كانوا يقلدون المسلمين والعرب في أطباعهم مثل

---

1 - ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، جـ2، صـ728.
2 -م.ن.، جـ2.، صـ728.
3 - م.ن، جـ2، صـ728.
4 م.ن.،جـ2،ص733
5 - م.ن.، جـ2، صـ733.

6 -Dawson , The Mongol Mission, p.230.
7 -IBID , p, 233-234.

"غسل أقدامهم قبل الدخول للكنيسة، وأكل اللحوم يوم الجمعة، بل وجعل الجمعة يوم عطلة أسبوعية تقليداً وتطبعاً بالعرب المقيمين في المدينة.[1]

ومن المدن الأخرى التي استقر فيها المسلمون مدينة صينية الصين.[2] وهي مدينة كبيرة وعامرة يأتيها التجار من جميع أنحاء العالم،[3] وقد أخبرنا ابن بطوطة عن إقامته في هذه المدينة حيث مكث فيها حوالي أربعة عشر يوما ضيفا على أحد التجار المسلمين والذي كان أكثرهم ثراء، ويدعى أوحد الدين السنجاري. كما ذكر ابن بطوطة أن في كل بلد من بلاد الصين يوجد مسلمون، وهم حريصون على وجود قاضي يتولى أمور القضاء، ويرجعون إليه في الدين، وأمور الدنيا، بالإضافة إلى وجود المساجد، وبالأخص المسجد الجامع والزاوية والسوق.[4] كما يصف ابن بطوطة استقبال مسلمي صينية الصين له حيث أكرموه وأحسنوا استقباله، " وأقمت عند (السنجاري) أربعة عشر يوماً، وتحف القاضي وسائر المسلمين تتوالي علي وكل يوم يصنعون دعوة جديدة."[5] ويبدو من وصف ابن بطوطة، أن الإكرام و الكرم وحسن المعاملة بين المسلمين تتكرر في أماكن عدة زارها.

إن هذه المعاملة للضيوف القادمين من بلاد العرب والإسلام لتدل على حرص مسلمي الصين على التواصل بإخوانهم المسلمين، وحبهم و تعلقهم بالدولة الإسلامية في المشرق.

---

[1] - Dawson , The Mongol Mission p, 233-234.

[2] - مدينة صينية تقع في أقصي الصين من المناطق الشرقية، ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، جـ1، صـ210.

[3] ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، جـ2، صـ723؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، جـ1، صـ211 .

[4] - ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، جـ2، صـ743.

[5] - م.ن.، جـ2، صـ723.

المبحث الثالث

مراكز استقرار المسلمين في غرب الصين

أما عن استقرار المسلمين في غرب الصين فإن مناطق الصين الغربية تعد من أهم الأماكن التي استقرفيها المسلمون وخاصة مدينة كاشغر[1] الواقعة في أقصي غرب الصين.[2] ونعلم أن القائد العربي الكبير قتيبة بن مسلم الباهلي[3] كان قد وصل فاتحاً إلى مناطق غرب الصين القريبة من كاشغر. وفي السنين اللاحقة اشتهرت مدينة كاشغر كونها من أهم المدن الواقعة علي طريق تجارة الحرير الشهير الممتد من غرب آسيا في البلاد العربية إلى أواسط الصين وأشهر مدنها التجارية.[4] فاكتسبت أهمية بالغة في التاريخ الإسلامي والصيني . فمن المعروف عن كاشغر أنها واقعة بين العالم الصيني والعالم التركي المكون من قبائل عديدة مثل الخزر والتغرغر.[5] وقد أدى هذا الاحتكاك إلى حروب أسهمت في تغيير واقع المناطق الغربية للصين وعلي رأسها كاشغر. ففي عام (333هـ=944 م)، سيطر ملك تركي مسلم اسمه شهاب الدولة هارون بن سليمان أيلك المعروف ببغراخان التركي علي مدينة كاشغر.[6] وفي عام (435هـ=1143م)، أسلمت الكثير من القبائل التركية المتاخمة لحدود الصين . فقد كانت هذه القبائل تهدد المسلمين في تلك المناطق، ويرجع ذلك إلى قوة وبأس القائد التركي المسلم شرف الدولة والذي كان يسيطر علي مدينة كاشغر. ففي ذلك العام روي أن الذين تحولوا إلى الإسلام قد ضحوا " بعشرين ألف رأس غنم وكفى الله المسلمين شرهم."[7]

دخلت جيوش السلطان الكبير ملكشاه [8] إلى غرب الصين، حيث تحركت من بخارى وسمرقند، وعبرت ما وراء النهر لكي تخضع كاشغر في عام (482هـ=1189م).[9] وقد نجح ملكشاه في ترسيخ حكمه، واستقرار مملكته الممتدة عبر أواساط آسيا، وخطب له " من حدود الصين الي آخر الشام."[10] وقد عرف عن مدينة كاشغر بأنها مدينة كبيرة فيها الجامع ومصلى العيد،

---

[1] - كاشغر: هي مدينة و قرى و رساتيق يسافر إليها من سمرقند وتلك النواحي وهي في وسط بلاد الترك وأهلها مسلمون، ينظر: ياقوت، معجم البلدان، ج4، ص430.

[2] - الإدريسي، نزهة المشتاق، جـ1، صـ517؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، جـ1، صـ 64.

[3] - قتيبة بن مسلم الباهلي، ولي سنة 86 هـ، واستشهد عام 96 هـ في خراسان، ينظر: ابن العماد، شذرات الذهب،ج1، ص 96 وص 112.

[4] - Schafer , Edward , The Golden Peaches of samarkand p.21

[5] ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، جـ1، صـ64.

[6] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ7، صـ461.

[7] - م.ن.، جـ8، صـ265.

[8] - هو جلال الدولة أبو الفتح ملشكاه بن سلطان ابن أرسلان محمد السلجوكي التركي، ينظر : الذهبي، سير أعلام النبلاء، جـ19، صـ 55-54

[9] - الذهبي، سير أعلام النبلاء، جـ19، صـ57.

[10] - م.. ن.، جـ19، صـ57.

وأسواقها كثيرة ولها أبواب عديدة.[1] واستقرت بها أعداد كبيرة من المسلمين القادمين مـــن بـــلاد إسلامية عبر طريق الحرير الشهير الذي يمر بكاشغر والمناطق المحيطة بها، وأقاموا جنبـــاً إلـــى جنب مع الكثير من الشعوب المجاورة والتي أصبحت ديانتها الإسلام. وقد استمرت ظاهرة أســـلمة كاشغر والمناطق الغربية من الصين وكذلك مناطق تركستان خلال الحقبة الممتدة من القرن الثاني إلى القرن الرابع الهجري/الثامن إلى العاشر الميلادي.[2] فعلي مر هذه القرون الثلاثـــة، حاولـــت ديانات أخرى مثل النصرانية والمجوسية التوغل في مناطق غرب الصين إلا أنها لم تنجح كثيـــراً مثلما نجح الإسلام الذي كان الأكثر انتشاراً وتوغلاً في مناطق الصين. إذ تحولت قبائل عديدة من أصل صيني وتركي إلى الإسلام الذي جعل منهم شعوباً تنتمي إلى هوية توحد كيانهم أكثر من تلك التي كان النظام الرسمي الصيني يحاول أن يحققها بينهم في تلك الحقبة.[3]

استمرت كاشغر تحتل مكانة رفيعة بين المسلمين كونها مدينة مهمة علي طريق الحريـــر، ولاستقرار عدد كبير من المسلمين فيها. فمع بداية القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، بدأ الإسلام ينتشر بشكل سريع إلى أن اضمحلت الديانة الرئيسة في تلك المنطقة وهي البوذية. وأصبح الإسلام الدين الأقوى والمسيطر علي كاشغر والمناطق الغربية من الصين وكذلك تركستان والقبائل التركية.[4] ومع نهاية القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، تحولت شعوب التتار والمغول في غرب الصين وتركستان المجاورة لها الي الإسلام ومعها تبنوا اللغة التركية وديانتهم الرســـمية أصبحت الإسلام.[5] ومع سقوط الإمبراطورية المغولية في القرن الثامن الهجري/ الرابـــع عـــشر الميلادى، أصبح الإسلام يمثل الكيان السياسي الرئيس لجميع شعوب المنطقة، وبذلك لم يعد النظام السياسي الصيني يسيطر علي تلك المنطقة ذات الشعوب الإسلامية كما كان سابقاً. فكـــون مـــسلمو كاشغر والشعوب الإسلامية المجاورة هوية إسلامية، بل ومرجعية سياسية تجمع مـــصالحهم علـــي مساحات شاسعة مترامية الأطراف في وسط آسيا.[6]

وأخيراً، تحدثت بعض المصادر العربية القديمة عن وصول المسلمين واســـتقرارهم فـــي مناطق أقصى شرق الصين.[7] وقد أطلق على هذه المناطق الواقعة فـــي أقـــصي شـــرق الـــصين مسميات منها الشيلا،[8] والسلا،[9] والأشبيلا.[10] وقد وصفها أبو الفدا في تقويم البلدان فقال: "وهي

---

[1] - ابن حوقل، كتاب صورة الأرض، صـ421.

[2] - Lattimore, Inner Asian Frontier , p.192 ; Schafer , The Golden Peaches of Samarkand, P.22

[3] - - Lattimore, Inner Asian Frontier ,p.179-180

[4] -- Fitzgerald, Floode Tide in China, p. 329; Lattimore, Inner Asian Frontier ,P.180.

[5] -Lattimore, Inner Asian Frontier, P.192.

[6] - Paul , The Mongol Empire , p. 333 ; Lattimore, Inner Asian Frontier ,p.181

[7] - ابن خرداذبة، المسالك والممالك، صـ68 ؛ ابو الفدا، تقويم البلدان، صـ397-396.

[8] - بن خرداذبة، المسالك والممالك، صـ68.

[9] - ابو الفدا، تقويم البلدان، صـ396.

[10] - ابن الجوزي، المنتظم، جـــ1، صــــ134.

من أعالي الصين من الشرق، وقلما يسلك إليها في البحر وهي من جزائر في بحـــر الـــشرق."[1] ويتضح هنا أن بلاد الشيلا والسيلا هي كوريا الآن، والتي تقع شمال شرق الصين كما وصفت في تقويم البلدان. ويبدو أنها اشتهرت بالذهب حسبما ورد في المـــسالك و الممالـــك " وفيهـــا الـــذهب الكثير."[2] و كما ورد في المنتظم " بها الذهب الكثير."[3] "و سكن بها المسلمون ومن دخلهـــا مـــن المسلمين استوطنها لطيبها."[4] ويبدو أن هذه هي المصادر العربية الأولية التي ذكرت جزر كوريا واستقرار المسلمين فيها.

---

[1] - ابو الفدا، تقويم البلدان، صـ396.
[2] - بن خرداذبة، المسالك والممالك، صـ68.
[3] - - ابن الجوزي، المنتظم، جـــ1، صـــ134.
[4] - - بن خرداذبة، المسالك والممالك، صـ68.

الفصل الرابع

الحياة السياسية للمسلمين في الصين

المبحث الأول: العلاقات بين مسلمي الصين و السلطة الحاكمة

المبحث الثاني: العلاقات الصينية مع الخلافة العباسية في دورها الأول عصر القــوة والازدهار

المبحث الثالث: العلاقات الصينية مع الخلافة العباسية في دورها الثاني عصر الضعف والانحلال ودور مسلمي الصين في هذه العلاقات

المبحث الأول

العلاقات بين مسلمي الصين و السلطة الحاكمة

أصبحت الصين خلال حكم أسرة التانغ (618م – 907م= 618م–294هـ) من أعظم وأقوى دول العالم. و قد اهتم الناس من كل مكان بالسفر والتجارة مع الصين خاصة من العالم الإسلامي. وكانت العاصمة تشانق آن من أكثر مدن العالم تنوعاً بالثقافات والديانات التي تواجدت وتعايشت مع المجتمع الصيني.[1] فقد ذكر أحد شعراء الصين العاصمة تشانق أن في القرن الثاني الهجري = الثامن الميلادي وقال إن " الرجل ليتمنى أن يتوج حياته بالموت في تشانق[2] أن."

لقد افتخر الصينيون بإنجازاتهم الحضارية خلال حقبة التانغ، فعدوا هذا العصر العصر الذهبي في تاريخهم، ومن أهم مميزاته الشعور بالقوة والثقة عند الطبقة الحاكمة للصين خصوصاً في تعاملهم مع العالم الخارجي. بل إنهم أثبتوا مهارة عالية وفطنة في التعامل مع الثقافات الأخرى تجارياً واجتماعياً. مما جعل عهد التانغ في الصين يعرف بأكثر العهود تسامحاً وتقرباً للأجانب والزوار والمقيمين من شعوب أخرى.[3]

ومع سياسة الانفتاح لحكومة الصين في عهد التانغ، وحسن المعاملة للتجار المسلمين والأجانب ازدهرت وتنوعت الثقافة والفنون جراء اختلاط الأجناس والتجار من جميع أنحاء العالم. فكان هناك الآلاف من الطلبة اليابانيين والكوريين والفيتناميين والكمبوديين يقصدون مدينة تشانق آن لتلقي العلم على أيدي أساتذتهم الصينيين. مما جعل أشهر مدن اليابان وأقدمها متشابهة تماماً مع مدينة تشانق آن وغيرها من مدن الصين الشهيرة.[4] لقد أصبحت الصين محط أنظار العالم وخاصة شعوب الشرق الأقصى من خلال رحلات مستمرة بدون انقطاع من أجل العلم والتجارة وتبادل السفارات الرسمية. وهذه كانت سياسة التانغ المنفتحة على العالم الخارجي.[5] فقد أقرت حكومة التانغ في القرن الثاني الهجري= الثامن الميلادي السماح للأجانب والتجار المقيمين ببناء دور العبادة على اختلاف دياناتهم، فقام المسلمون ببناء المساجد وبقرار رسمي من الإمبراطور الذي أقر بمرسوم خاص حماية دور العبادة بما فيها المساجد.[6]

---

[1] Findling, The History of China, P.69; Schafer, the Golden Peaches, P.170; Williams, A short History of china. P141.

[2] Schafer, The Golden Peaches, P.17.

[3] Williams, A Short History of China, P.141.

[4] IBID, P.141.

[5] Findling, The History of China, P.69.

[6] Williams, A Short History of China, P.139.

لقد اهتمت حكومة التانغ في الصين اهتماماً كبيراً بقوى العالم الإسلامي في غرب آسـيا.[1] وحرصت على تبادل السفارات والسماح لرجال الدين والدعوة والتجارة بالسفر داخل الصين أينمـا أرادوا[2]. فأبدت الطبقة الحاكمة تعاطفاً وتفهماً لمبادئ الدين الإسلامي بالإضافة إلى الاهتمام بما جلبه المسلمون من بضائع غريبة وجديدة وفنون مختلفة إلى المجتمع الصيني.[3]

لقد وجد المسلمون أنفسهم في مجتمع يحترم هو وحكامه الآخر، فتوثقـت علاقـاتهم مـع السلطة الحاكمة.

وقد اشتهرت الحكومة آنذاك بإدارة فعالة وقوية فهناك وزارة الشؤون الدينية والتي عنيـت بالأمور الدينية للدولة، وكذلك وزارة العقاب(Ministry of Punishment) والتي أدارت تطبيـق القانون وحل المشاكل المدنية والتجارية،[4] فكان أكثر ما يميز حكومة التانغ هو تطبيقهـا الـصارم للقانون، وفرض هيبة الدولة في معاملاتها مع الأجانب، فعلى سبيل المثال أقرت إحدى المحاكم في عام(92هـ=711م)، البدء بالتحقيق مع رجال أثرياء حاولوا التهرب من ضرائب الدولة، وذلك عن طريق تسجيل أنفسهم كرهبان بوذيين، وبعد ثلاث سنين في عام(95هـ=714م)، أصدرت المحكمة قراراً في حق ثلاثين ألف راهب وراهبة بالعودة إلى الحياة الطبيعية وترك المعابد ليبـدأوا بـدفع الضرائب المستحقة عليهم.[5]

وكانت السلطات الحاكمة تصدر القرارات المتعلقة بالترخيص لبناء المعابد الدينيـة داخـل الصين،[6] ويبدو أن السلطات الحاكمة وقراراتها كانت تخضع إلى نظام إداري قوي ومركزي ممـا جعل علاقة المقيمين الأجانب ومنهم المسلمين علاقة مرتبطة بقوانين وأنظمة الحكم المركزي فـي الصين.[7]

مع بداية القرن الثاني الهجري=الثامن الميلادي، توطدت العلاقات بين المسلمين المقيمـين في الصين و السلطة الحاكمة. فقد ازدادت أماكن استقرار المسلمين فـي مـوانئ ومـدن الـصين الرئيسة، وسكن مدينة خانفو خلال القرن الثاني الهجري= الثامن الميلادي عـشرات الآلاف مـن

---

[1] Fitzgerald, China: A Short Cultural History, P.321.
[2] IBID, P321.
[3] Huang, China: A Macro History, P.101; Fitzgerald, China: A short cultural History , P.321.
[4] IBID, P.312.
[5] Bowman, Colombia Chronology, P.87.
[6] Fitzgerald, Flood Tide in China, P.330 ; Bowman, Columbia Chronology P.87.
[7] لمعرفة المزيد من أنواع الوزارات وخدماتها في المجتمع الصيني آنذاك، ينظر:
Fitzgerald, China: A Short Cultural History.

المسلمين وكانوا يملكون نفوذا قويا على المستويين الاقتصادي والسياسي، وقد أصــدر إمبراطــور الصين مرسوماً بتعيين قاضي مسلم يتولى أمور المسلمين في ميناء خانفو.[1]

وهنا يتضح حقيقة الأمر باهتمام الإمبراطور بتعيين قاض مسلم ليكون موضع ثقة و احترام عند السلطات الصينية. و يعلق أحد المؤرخين الصينيين على ذلك بأن القادة المــسلمين فــي ذلــك الوقت حرصوا كل الحرص على حماية حقوق مواطنيهم في الخارج مثلما حفظوا حقوق الأقليــات في مجتمعاتهم.[2]
ويعد هذا التعيين من قبل الإمبراطور بحق المسلمين الأول من نوعه في تاريخ الصين.[3]

ولقد نال هذا القاضي المسلم اسما تشريفياً مرموقا ضمن العادات والتقاليد الصينية فــأطلق عليه لقب "الرجل النبيل"(chin shih).[4] ولقد أطلق الصينيون القدامى مثل هذه الألقــاب الــشريفة والنادرة على من ينتمون إلى الشعوب المتحضرة مثل العرب.[5] وقد صنف الــصينيون الأجانــب المقيمين في مجتمعهم حسب أوطانهم، ويتضح أن العرب والمسلمين تمتعوا بمكانة رفيعة، وحظــوا باحترام كبير عند السلطة الحاكمة للصين.

ومما أسهم في كسب احترام وتقدير السلطة الحاكمة للمسلمين التــزام المــسلمين بالــدين الإسلامي خلال تواجدهم في الصين. فقد ذكر في كتاب السيرافي "أن التجار العراقيين لا ينكــرون من ولايته (القاضي) شيئاً في أحكامه وعمله بالحق وبما في كتاب الله عز وجل وأحكام الإسلام."[6]

ولقد أشارت مصادر عربية تاريخية إلى مدى عدل وإنصاف ملوك الصين.[7] وقد عرف أن قاضي القضاة بالصين له مناد ينادي في الناس هل من مظلوم وذلك لاحترامهم للعدل وتولي الحاكم بالحق وبذلك يدوم الملك.[8] وقد وصف المسعودي ملوك الصين، قائلا: "وليس في ملوك العالم أكثر رعاية وتفقداً من ملك الصين لرعيته."[9] قد يكون في هذا شيء من المبالغة لكن هذا الوصف يــدل على عدل يعرفه الرحالة و المؤرخون المسلمون عن ملوك الصين.

---

[1] السيرافي، رحلة السيرافي، ص24.

[2] Shih, Shun Lin, Extraterritoriality, P.50; Fitzgerald, China: A Short Cultural History, p.33; Schafer, The Golden Peaches, p.22 (لقد اهتمت مراجع غربية و صينية بهذه الحقيقة التاريخية و هناك تعليقات مهمة على هذه المسألة.)

[3] Fitzgerald, Flood Tide in China, P. 330

[4] Schafer, the Golden peaches, P.23

[5] IBID, P15

[6] السيرافي، رحلة السيرافي، ص24.

[7] أبو زيد، رحلة السيرافي، ص43؛ المسعودي، مروج الذهب وجوهر المعادن، ج1، ص19؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ج1، ص212؛ أبو عبد الله شمس الدين، محمد بن محمد بن عبدالكريم بن رضوان، حسن السلوك الحافظ لدولة الملوك، تحقيق: فؤاد عبدالمنعم، (الرياض، دار الوطن، ط1، 1416هـ)، ج1 ، ص111.

[8] السيرافي، رحلة السيرافي، ص75.

[9] المسعودي، مروج الذهب، ج1، ص19.

وروي أن أحد التجار المسلمين من خراسان[1] قد ذهب إلى قصر الملك في مدينـــة خمـــدان ليشكوا عن سوء معاملة قابلها في ميناء خانفو من أحد خدام الملك،[2] وكانت العادة عند قدوم المتظلم لقصر الملك أن يضرب ناقوساً على باب القصر بسلسلة. وعند سماع الملك ضرب الناقوس يسمح للمتظلم بالمثول أمام الملك وسرد قصته عليه، وعندما سمع الملك رواية التاجر الخراساني، أرســل إلى أعوانه في خانفو ليتحققوا من رواية هذا التاجر. ووصلت الكتب تؤكد ما قاله، فغضب الملــك من خادمه وقال له: " كان حقك القتل إذ عرضتني لرجل قد سلك خراسان وهي على حد مملكتــي وصار إلى بلاد العرب، ومنها إلى ممالك الهند ثم إلى بلدي طلباً للفضل ... ومن فيها فيقول إنــي ظلمت ببلاد الصين وغضب حالي،"[3] فما كان من الملك إلا أن عاقب خادمه بخلعه من منصبه في خانفو، وعينه حارساً لإحدى مقابر الملوك قائلاً له: "أوليك تدبير الموتى إذ عجــزت عــن تــدبير الأحياء."[4]

وتشير هذه الرواية إلى العلاقة الحسنة بين التجار المسلمين والسلطة الحاكمة في الصين . ويبدو أن ملك الصين كان حريصاً على الحفاظ على سمعته عالمياً بأنه ملك عادل ويرد الحقوق إلى أصحابها.

ويبدو أنه مثل هذه السمعة والشهرة عن ملك الصين، قد وصلت إلى الأوطان الإســلامية. فهناك رواية مشهورة حدثت أيام الخليفة المنصور (136 هـــ- 158 هـــ=753 م- 774م) حينما كان يقوم بالحج في مكة. فبينما كان يطوف حول الكعبة سمع رجلاً يشكو لله الفساد والظلــم في الأرض.[5]

فأرسل المنصور إلى هذا الرجل وأحضره ليسمع منه، وطلب هذا الرجل الأمان على نفسه إن أفصح بما يشكو منه، فأمنه الخليفة، فبدأ الرجل يشكو للخليفة عل الظلم في جمع أموال المسلمين بالقوة، ومنع العامة من الوصول للخليفة ليشكوا له ظلم عمال الملك الذين أفسدوا في الأرض،[6] وهنا روى هذا الرجل قصته للخليفة عندما سافر إلى الصين، قائلا: "ولقد كنت يا أمير المؤمنين أســافر

[1] خراسان، بلاد واسعة أول حدودها مما يلي العراق أزاذوار قصبة جوين وبيهق وآخر حدودها مما يلي الهند طخارستان وغزنة وسجستان وكرمان وليس ذلك منها إنما هو أطراف حدودها وتشتمل على أمهات من البلاد منها نيسابور وهراة ومرو وهي كانت قصبتها وبلخ وطالقان ونسا وأبيورد وسرخس وما يتخلل ذلك من المدن التي دون نهر جيحون، ينظر: ياقوت، معجم البلدان، ح2، ص351.

[2] السيرافي، رحلة السيرافي، ص72-74؛ المسعودي، مروج الذهب، ج1، ص166-167.

[3] السيرافي، رحلة السيرافي، ص72؛ المسعودي، مروج الذهب، ج1، ص 167-168.

[4] السيرافي، رحلة السيرافي، ص74.

[5] ابن الجوزي، المنتظم، ج8، ص 50؛ بن جعف، الخراج، ج1، ص319؛ الشيرزي، عبد الرحمن بن عبدالله بن نصر، المنهج المسلوك في سياسة الملوك، تحقيق: على عبدالله الموسى، (الزرقاء، مكتبة المنار، ط1، 1987م)،ج1، ص 734.

[6] الشيرزي، المنهج المسلوك في سياسة الملوك،ج1، ص734.

إلى بلاد الصين، و بها ملك قد ذهب سمعه، فجعل يبكي، فقال له وزراؤه لا بكت عيناك أيها الملك، مم بكاؤك، فقال لست أبكي على ذهاب سمعي، وإنما أبكي لأن المظلوم يقف بالباب يصرخ فلا أسمعه، ثم قال لئن كان ذهب سمعي فما ذهب بصري نادوا في الناس لا يلبس ثوباً أحمر إلا مظلوم،"[1] وقال الرجل أن ملك الصين كان يركب الفيل كل يوم ويخرج ليرى مظلوماً، "هذا يا أمير المؤمنين مشرك بالله تعالى قد غلبت عليه الرأفة على المشركين، وأنت مؤمن بالله تعالى وابن عم نبيه لا تغلبنك رأفتك بالمسلمين على شح نفسك، فما تقول إذا نزع الله منك ملك الدنيا ودعاك إلى الحساب هل ينفعك الندم إذا زلت بك القدم"[2]. فما كان من الخليفة المنصور إلا أن بكى وأعلى النحيب.[3]

أما عن معاملة السلطات الصينية للتجار المسلمين عند قدومهم لموانئهم، فقد روي أن سلطات الموانئ الصينية كانت تجبر المراكب القادمة بالانتظار لحين وصول مراكب أخرى، ويتم التعامل معهم على نحو هذه الطريقة.[4]

ومن ناحية العقاب والأحكام ضد الخارجين عن القانون عند السلطة الحاكمة في الصين، فيبدو أن أحكامهم وتطبيقها كانت صارمة وقوية ضد من وقف في وجه القانون. فكانت عقوبة القتل هي الأكثر شيوعاً في تطبيق الأحكام[5] .فقد وصف في رحلة السيرافي أن السرقة كانت جريمة عقوبتها القتل، "والسرقة في جميع بلاد الصين والهند في القليل منه والكثير القتل."[6] وكذلك، "ومن سرق على زيادة ثلاثمائة فلس وقيمتها عشرة دراهم قتل."[7] لكن هذه الأحكام لم تكن عشوائية، بل خضعت لنظام معين حيث يقوم السارق بكتابة كتاب يسرد فيه جريمته ويقرأه على الملأ من المشايخ والصلحاء.[8]

وهنا إشارة واضحة لمدى جدية السلطة الحاكمة في تطبيق القانون والعقوبات ضد المجرمين، مما يجعل عنصر القانون وقرارات الدولة من جهة مهم في نوع العلاقة بين المواطنين الصينيين والأجانب المقيمين في الصين بما فيهم المسلمين وبين المسلمين والسلطات الحاكمة في الصين من جهة أخرى.

---

[1] ابن الجوزي، المنتظم، ج8، ص50؛ بن جعفر، الخراج، ج1، ص319؛ الشيرزي، المنهج المسلوك في سياسة الملوك ، ج1، ص734.
[2] الشيرزي، المنهج المسلوك في سياسة الملوك،ج1، ص734.
[3] م.ن.،ج1، ص734.
[4] السيرافي، رحلة السيرافي، ص39.
[5] م.ن.،، ص56؛ المقدسي، البدء والتاريخ،ج4، ص21.
[6] السيرافي، رحلة السيرافي، ص48.
[7] المقدسي، البدء والتاريخ، ج4، ص 19.
[8] م.ن.، ج4، ص19.

فبالنسبة للمسلمين المقيمين في الصين وخاصة التجار منهم، قد يجدوا في دولة القانون والأحكام القاسية ضد المجرمين والخارجين عن القانون حافزاً مشجعاً للسفر للصين والإقامة فيها بل الاستقرار فيها إذا تطلب الأمر ذلك. فالبلد الذي يسوده القانون سواءً إسلامياً أو غيره، فإن المغتربين به والتجار المسافرين إليه يجدون طمأنينة وثقة بالسفر إليها والتعامل معها تجارياً أو ثقافياً. وهذا ما يجعلنا ننظر إلى كثرة تواجد المسلمين المقيمين في الصين من زاوية أخرى، وهي أن السلطات الحاكمة الصينية كانت تفرض قوانينها بكل قوة، وإلى حد بعيد بالعدل، مما يجعل المقيم الأجنبي بما فيه المسلم يشعر بالطمأنينة.

أما عن الصينيين أنفسهم، فقد خضعوا وأطاعوا قوانين بلادهم حيث وصف أحد المؤرخين المعاصرين بأن الصينيين التقليديين يتمتعون بالخصائص العامة لنموذج الشخصيات الخاضعة للسلطة.[1] وأنه من السهل جداً قبول الصينيين للسلطة والإيمان بها.[2]

ولقد كانت السلطات الصينية لها قوانين وإجراءات معينة تطبقها عند قدوم التجار المسلمين والعرب وأيضاً على آخرين من شعوب أخرى. وقد اشتهر عن السلطات الصينية توثيقها المفصل والدقيق لكل تاجر وزائر أجنبي قادم إلى بلادها، فكان التجار المسلمون يقومون بتدوين أسمائهم ونسبهم ومكان إقامتهم وتقديم تقرير بالمبالغ التي يحملونها إلى السلطات المحلية الصينية.[3] وهذا يشبه إلى حد بعيد ما يقوم به أي مسافر في زيارة إلى دولة أخرى في وقتنا المعاصر، فهو يقديم طلب الدخول إلى بلد معين. لقدشرح صاحب رحلة السيرافي كيف أن المسافر يأخذ كتابين من الملك، ومن عامل الملك المحلي سواء في الميناء أو في أي مدينة أخرى في الصين، "فأما كتاب الملك فللطريق، باسم الرجل، واسم من معه، وكم معه، ومن أي قبيلة هو، وجميع من ببلاد الصين وأهلها ومن العرب وغيرهم لابد أن ينتموا إلى شيء يعرفون به."[4] فكتاب الملك هو بمثابة وثيقة رسمية تطبق على الصينيين والمسلمين سواءً كما تفهم من رواية السيرافي. "وأما كتاب الخصي، فبالمال وما معه من متاع."[5]

رواية السيرافى توضح بالتفصيل وجود وثيقتين كان يجب على التاجر أو الزائر المسلم حملهما أينما سافر داخل الصين . فالوثيقة الصادرة عن الملك هي بمثابة بطاقة تعريف، أو

---

[1] روبين، ترجمة عبد العزيز حمدي، الصينيون المعاصرون، ص 153.
[2] م.ن.، ص153.
[3] السيرافي، رحلة السيرافي، ص43؛ ابن النديم، الفهرست،ج1، ص414؛ ابن الأزرق، بدائع السلك،ج1، ص 402؛ ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج2، ص 321؛ Holcombe, Southern Integration, P.1
[4] السيرافي، رحلة السيرافي، ص43.
[5] م.ن.، ص43.

بالأحرى جواز سفر يحمله الزائر أو المسلم في الصين خلال أسفاره فيها، وأما وثيقة عامل الملك أو المسئول المحلى فهي بمثابة وثيقة جمركية توثق ما يملكه التاجر من أموال ومتاع.

وقد حرصت السلطات الحاكمة على تأمين المسافرين المسلمين في الصين فروى ابن النديم " والمسافر في بلاد الصين منا ومنهم إذا سافر كتب نسبه وحليته ومبلغ ما معه ورقيقه وحاشيته وإلى أن يصل إلى مقصده ومأمنه خوفاً من أن يحدث عليه في بلاد الصين حدث فيكون عيباً على الملك."[1]

ويروى ابن بطوطة عن عصور لاحقة لكن روايته لها دلالتها المهمة في تعامل السلطات الحاكمة مع المسلمين، " وبلاد الصين آمن البلاد، وأحسنها حالاً للمسافرين، فإن الإنسان يسافر منفرداً مسيرة تسعة أشهر وتكون معه الأموال الطائلة فلا يخاف عليها."[2]

ولم تقف إجراءات السلطات الحاكمة عند هذا الحد في تأمين السفر والإقامة داخل الصين. فقد فرضت السلطات على الصينيين وغيرهم بإعادة تسجيل المعلومات الشخصية عند حدوث تغيير في العدد والمتاع. ولهذا الغرض، قامت السلطات المحلية ببناء ونشر محطات بريدية ضمن شبكة اتصالات أقرها إمبراطور الصين مع بداية القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي.[3]

وتم فرض قانون حمل الوثيقة والسفر لكل من يسافر من منطقة إلى منطقة داخل بلاد الصين.[4] وهى الوثيقة التي تكلم عنها أبو زيد في رحلة السيرافي على الأرجح . فإنه من المثير حقاً أن مثل هذا النظام الإداري يتبع إدارة مركزية إمبراطورية وشبكة اتصال تغطي بلاد الصين كلها وذلك من أجل فرض القانون وتسهيل السفر والتجارة للمسلمين المقيمين والأجانب وكذلك للمواطنين الصينيين.

لم تكن دائماً علاقة السلطات الحاكمة في الصين مع المسلمين علاقات يسودها الصفو وحسن المعاملة، فقد حدثت بعض الحوادث الكبرى التي عكرت صفو العلاقات، وهذا ما سنتكلم عنه في الصفحات المقبلة .

وقعت جريمة تاريخية خطيرة ضد المسلمين والعرب في الصين أثرت على استقرار المسلمين بشكل لم يسبق له مثيل. فقد استطاع أمير متمرد ضد الإمبراطور عرف باسم بابشو أن يجمع له جيشاً ويتجه نحو خانفو في عام (237هـ=899م). وهناك قام هذا الأمير بالقتل والحرق

[1] ابن النديم، الفهرست، ص1، ص492.
[2] ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص2، ص721.
[3] Holcombe, Charles, Southern Integration, The Historian Journal, P.1
[4] Holcombe, Charles, Southern Integration, The Historian Journal, P.1

والتدمير، حتى أنه قتل أكثر من مائتين وعشرين ألفا من المسلمين والنصارى واليهود والمجوس،[1] ويقول السيرافي مؤكدا هذا الرقم من القتلى " فذكر أهل الخبرة بأمورهم، أنه قتل مـــن المـــسلمين واليهود والنصارى والمجوس سوى من قتل من أهل الصين مائة وعشرين ألف رجل كانوا تبوؤوا بهذه المدينة فصاروا بها تجاراً ، وإنما عرف مقدار عدد هذه الملل الأربع لتحصيل أهــل الــصين بعددهم."[2]

وقد يكون هناك مبالغة في ذكر عدد القتلى، ولكنه يدل على مدى الدمار والتخريب الــذي أحدثه هذا الأمير المتمرد والذي عرف باسم مختلف قليلا عند الصينيين و المصادر الغربية هوانغ تشاو (huang chaw)،[3] ولم يتوقف الأمير المتمرد عند خراب خانفو ، بل استمر في الزحــف على خمدان، وهزم الملك شر هزيمة، فهرب الملك إلى أطراف الصين الشمالية. وفي خمدان، أقدم الأمير على نشر القتل والنهب والخراب وسفك الدماء.[4] ويفسر المسعودي ما فعله هــذا الأميــر، قائلا: " وعلم ألاَ قوام له بالملك إذ كان ليس من أهله، فأمعن في خــراب الــبلاد."[5] ويعلــق أحــد المؤرخين بأن الصين واجهت في ذلك الوقت جفافاً ومجاعات واضطرابات داخلية مما جعل هــذا المتمرد يقتل الأجانب في ميناء خانفو ومنهم المسلمين كنوع من وضع اللوم على الأجانب، وأنهــم السبب في أوضاع الصين السيئة آنذاك.[6] ويعقب آخر على حقيقة ذكر اليهود في حادثة خانفو هذه، بأن رواية أبي زيد هي الأولى من نوعها التي سجلت ووثقت وجود جالية يهودية في الصين، فلــم تتحدث المصادر الصينية عن أي تواجد لليهود في الصين قبل ذلك، وأن رواية السيرافي هــي أول رواية تاريخية تدون وجود اليهود في الصين.[7]

ويقول مؤرخ صيني معلقاً على سبب قيام المتمرد الصيني بابشو بتدمير كانتون بأنه طلب من القصر الملكي تولي محافظة خانفو الشهيرة بمينائها العالمي كقائد عسكري للمحافظة. لكن طلبه هذا رفض من قبل القصر، فقام بابشو بالانتقام.[8] بعد هذه الحادثة لم تستطع خانفو الرجــوع إلــى سابق عهدها المتألق فانحصر نفوذها، وتقلصت مساحتها وعدد سكانها.[9]

---

[1] السيرافي، رحلة السيرافي، ص55؛ المسعودي، مروج الذهب، ج1، ص 164-165؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج6، ص278؛
Ching, Julia, Chinese Religion, P175; Fitzgerald, Flood Tide in China, P. 330; Findling, The History of China, P. 76; Huang, China: A Macro History, P. 117.

[2] السيرافي، رحلة السيرافي، ص55.

[3] Ching, Chinese Religion, P.175; Findling, The History of China, P.70

[4] المسعودي، مروج الذهب، ج1، ص165.

[5] م.ن.، ج1، ص165.

[6] Findling, The History of China, P. 208

[7] Fitzgerald, Flood Tide in China, P. 330

[8] Hunag, Ray, China: A Macro History, p.117

[9] Fitzgerald, Flood Tide in China, P.330; Hunag, Ray, China: A Macro History, P.117; Findling, The History of China, P.70

قد تكون الأسباب التي ذكرت من قبل المؤرخين السابقين فيها شيء من الدقة والصواب إلا ان مـا يهمنا هو أن الكثير من المؤرخين الغربيين والصينيين اعتمدوا على رواية السيرافي في توثيق هذه الحادثة المهمة والخطيرة في تاريخ العلاقات بين السلطة الحاكمة الصينية والجاليات الأجنبية فـي الصين وبالأخص المسلمين والعرب . ويتضح أن العرب والمسلمين دفعوا ثمناً تاريخياً فـي تلـك الواقعة المأساوية فقد أزهقت عشرات الآلاف من الأرواح، وتوقفت التجارة والمـصالح المميـزة للعرب في خانفو، إذ دمر الميناء شر تدمير، ولم تعد خانفو تذكر في التاريخ بعد ذلك.

وقد تحدثت روايات المصادر الصينية[1] عن حادثة تاريخية مهمة حصلت في منتصف القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، وبالتحديد في عام (143 هـ=760م). حينها كان يـسكن مينـاء خانفو عشرات الآلاف من المسلمين ومن العرب والفرس، وقد أعربوا عن شكواهم للإمبراطور من سوء معاملة مسئول الجمارك والضرائب في الميناء، وكان يلقب رسمياً " بالمندوب الرسمي للسفن التجارية،"[2] وكانت أكثر الشكاوي تتعلق بفساد المسئولين الـصينيين القـائمين علـى الـضرائب والجمارك في الميناء، فزادت حوادث السرقات، وأصبح الوضع العام في الميناء من أسوا الأحوال، ولم تستجب السلطات المركزية في خمدان لمطالب التجار المسلمين من أجل تحسين الأوضاع فـي خانفو، فما كان من التجار المسلمين إلا أن قاموا بحرق المباني الحكومية، وتخريب وحرق المخازن في الميناء، وأخيراً قاموا بطرد حاكم ميناء خانفو.[3]

وقد رحلوا على الفور من الميناء، وركبوا سفنهم متجهين إلى جزيرة تسمى هينـان (hai nan) قريبة من الساحل الصيني الشرقي، وأصبح ميناء خانفو مهملاً، ويكاد لا يذكر لمدة نصف قرن تقريباً. و استبدلت مكانة ميناء خانفو بميناء يقع في الجنوب من الصين يسمى ميناء هانوي في فيتنام حالياً. وتعد هذه الحادثة بمثابة كارثة في تاريخ ميناء خانفو الشهير، فلقد حاولـت الـسلطات المركزية في خمدان السيطرة على الأوضاع وتدبير الأمور الضريبية والحياتية إلى مستوى أفضل. فقام الإمبراطور بتعيين مسئول أفضل على ميناء خانفو عرف بالنزاهة والعدل . وفي هذا الصدد، ذكر في السجلات الصينية الأولية آنذاك ، بأن الإمبراطور نفى عدداً كبيـراً مـن الفاسـدين فـي العاصمة خمدان إلى ميناء خانفو لأن هؤلاء الفاسدين قد أنهكوا خزينة العاصمة بالتبذير والإسراف. وما إن وصلوا إلى منفاهم في خانفو حتى تسلطوا على التجار الأجانب وأخذوا يـضايقونهم فـي تجارتهم وحياتهم.[4] ويلاحظ أن خراب أكبر ميناء تجاري بالصين في منتصف القرن الثاني الهجري

[1] للمزيد عن معرفة تلك المصادر و النصوص المترجمة للغة الإنجليزية و المنقولة مباشرة من المصادر التاريخية الصينية و موثقة توثيقا كاملا لهذه الحادثة، ينظر:

Schafer, The Golden Peaches, PP. 14-20.

[2] Schafer, The Golden Peaches, P.16.

[3] IBID, P.16.

[4] Schafer, The Golden Peaches , P.16

/الثامن الميلادي، كان في الأساس على أيدي مسئولين فاسدين جلبوا الهلاك للتجار المسلمين وبالتالي تسببوا بكارثة اجتماعية واقتصادية على ميناء خانفو.

بعد هذه الحادثة بنصف قرن تقريباً وبالتحديد في عام (228 هـ=843م)، قامت حكومة الصين بتدمير آلاف المعابد البوذية ومعابد تتبع ديانة تسمى ال(Manicheans)، وتم إعدام الآلاف من القساوسة البوذيين وصادرت الأراضي الزراعية التابعة لهم.[1] وقد فسر ذلك بأن البوذية كانت تنافس الديانة الرسمية للصين وهي التاوية، فانتقم الإمبراطور منهم.[2] ولم يرد أي ذكر للمسلمين في هذه الحادثة، ولم يتعرض أحد منهم للأذى، وهنا يتساءل أحد المؤرخين الغربيين عن سبب سلامة المسلمين، وعدم تعرضهم للأذى، ويعلل ذلك بأن خليفة المسلمين خلال منتصف القرن الثالث الهجري= التاسع الميلادي كان قوياً جداً، فخاف إمبراطور الصين من استثارة غضبه ضده، ويضيف بأن مسلمي الصين آنذاك معظمهم أجانب مقيمين لذا فالإمبراطور تركهم وشأنهم.[3]

وقد يكون السببان السابقان مكملان لبعضهما البعض، فالخلافة العباسية في ذلك الوقت كانت تتمتع بأوج نفوذها وقوتها، والمسلمون المقيمون في الصين مر عليهم أكثر من قرن ونصف منذ بدء استقرارهم الأول في الصين فتزاوجوا واختلطوا في المجتمع الصيني.

بدأ عهد أسرة التانغ يفقد قوته مع بداية القرن الرابع الهجري= العاشر الميلادي، بعد أن استطاعت خلال القرون السابقة للقرن الرابع الهجري أن تؤسس نفسها كمركز للحضارة والعلم والثقافة لشرق آسيا. وافتخر الصينيون بأن العالم قصد بلادهم من أجل التجارة والمعرفة، وتوافدت السفارات والبعثات الدراسية القادمة من البلاد المجاورة من أجل العلم و المعرفة وترجمة علوم الصين إلى اليابانية وغيرها من لغات الدول المجاورة.[4]

لكن مع بداية القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، وقعت الصين تحت سيطرة حكام مستبدين أسهموا في تدمير النظم الإدارية والتجارية المتفوقة التي أسست منذ بداية عهد التانغ، فانتشرت المجاعات بين السكان، حتى تأثر حاشية الإمبراطور بتلك المجاعات، فانتقلت العاصمة من مدينة خمدان إلى مدينة ساحلية شرقية تسمى لويانغ (Loyang).[5] وفي عام (349 هـ=960 م)، بدأ عهد جديد في الصين يسمى السونغ.[6]

[1] Williams, A Short History of China, P.154 – 155 ; Bowman, Colombia chronology P.87 ; Fitzgerald, Flood Tide in China, P.334
[2] Williams, A Short History of China, P. 155
[3] Fitzgerald, Flood Tide in China, p.329
[4] Perry, John, Essays on Tang :The Interplay of Social, Political and Economic Forces,(Leiden, Netherlands: E. J. Brill. Book, 2006) , P8.
[5] Fitzgerald, Flood Tide in China, P.319.
[6] Findling, The History of china, P.74 ; Fitzgerald, Flood Tide in China, P.377

وقد أسس هذه الأسرة الحاكمة مؤسس إمبراطورية السونغ "تشاو كوانغ ين" (ZAHO KUANGYIN).[1] واستمرت هذه الحقبة من تاريخ الصين من عام (349هـ-678هـ= 960م-1279م)،[2] وعرف عن السلطة الحاكمة في عهد السونغ بأنها غير منفتحة على العالم الخارجي، ولم تبد الاهتمام والرعاية للأجانب المقيمين في بلادها، كما كان الحال عليه في عهد التانغ،[3] فانحصر التبادل التجاري والثقافي، بل إن سلطات السونغ أبدت تخوفاً من الأجانب المقيمين عندها،[4] مما أثر على الأرجح في علاقات السلطة الحاكمة بالجاليات الإسلامية التي تواجدت في مدن صينية عدة، و يعلل هذا الخوف من الجاليات الأجنبية المقيمة في الصين بضعف دولة السونغ، وكذلك كثرة التهديدات، والمعارك المستمرة على الحدود الشمالية.[5]

لقد اتخذت إدارة السونغ إجراءات صارمة وقوية ضد انتشار الأديان الأخرى في بلادها، ففي عام (524هـ=1130م)، أصدرت السلطات الحاكمة قراراً بوجوب الحصول على ترخيص لبناء المعابد. [6]

---

[1] Findling, The History of china, P74.
[2] IBID, P.74.
[3] IBID, P.79.
[4] IBID, P.79.
[5] IBID, P.78.
[6] Bowman, Columbia Chronology, P.88

المبحث الثاني

العلاقات الصينية مع الخلافة العباسية في دورها الأول

لقد كانت حقبة الخلافة العباسية في دورها الأول عصر القوة (132هـ–247هـ=750م–861م)[1] متوازنة مع عهد أسرة التانغ في الصين، وهاتان الحقبتان من تاريخ الإسلام والصين هما من العصور الذهبية لكلا العالمين الإسلامي والصيني، فقد تميز عصر الخلافة العباسية الأول بقوة الخلفاء وسيطرتهم التامة على الحكم وبسط نفوذهم في أواسط آسيا.[2] وخلال هذا العصر استطاع العرب أن يوطدوا سيطرتهم على شعوب آسيا التركية المتاخمة للصين بعد انتصارهم في معارك عديدة.[3]

وقد تحدثت الكثير من المراجع الغربية المترجمة عن مصادر تاريخية صينية عن أهمية العلاقة بين الصين و الخلافة العباسية الأولى خلال عهد حكم أسرة التانغ[4].

إن العلاقة بين القوتين العظميين في بغداد وخمدان كان لها أثر مهم في تحسين وتمهيد العلاقات العملية مثل التجارة ونشر الإسلام في الصين. فقد كانت الخلافة العباسية وعاصمتها بغداد تعد القوة الأولى الدافعة للإقتصاد العالمي في القرنيين الثاني والثالث الهجريين= الثامن والتاسع الميلاديين.[5] وكان لهذا الواقع العالمي الاقتصادي أثر كبير على أوضاع المسلمين في الصين. فالخلافة مؤسسة عالمية تشمل جميع المسلمين، ومسلمو الصين أدركوا أثر هذه الحقيقة المهمة في تطور العلاقات السياسية العالمية والاقتصاد الدولي آنذاك.

وقد ترتب على ذلك، تبادل العلاقات الرسمية والسفارات بين الصين في عهد التانغ والخلافة العباسية خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين، فاستقبلت عاصمة الإمبراطورية الصينية خمدان الوفود العربية القادمة من بغداد.[6] وقد أثرت هذه البعثات الرسمية في توسع التجارة بين بغداد وخمدان، وأدت إلى معرفة الصينيين بالدين الإسلامي،[7] لدرجة أن إمبراطور الصين قام

---

[1] أحمد، محمد حسن، الإسلام والحضارة العربية في آسيا، ص 123.

[2] م.ن.، ص74.

[3] أحمد ، محمد حسن، الإسلام والحضارة العربية في آسيا، ص123.

[4] ينظر: إلى المراجع التالية التي أوضحت الكثير من جوانب العلاقات بين الصين والخلافة العباسية الأولى وتأثير ذلك على المسلمين المقيمين في الصين،

Huang, Ray, China. A Macro History; Fitzgerald, Flood Tide in China; Williams, A short History of china; Schafer, The Golden Peaches.

[5] Frank, Andre, The Centrality of Central Asia, P.65.

[6] Huang, Ray, China: A Macro History, P.101; Williams, a Short History of China, P.156; Schafer, the Golden Peaches, P.26.

[7] Williams, A short History of China, P.156.

بتأسيس مكتبة في قصره عن الدين الإسلامي وديانات أخرى من غرب آسيا.[1] وتابع الإمبراطــور الأحداث والأوضاع في منطقة غرب آسيا عن طريق البعثات الدبلوماسية.[2]

لقد شهدت عاصمة الصين تشانق آن زيارات وبعثات رسمية من الخلافــة العباســية فــي أواخر القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، وكان لهذه الزيارات أثر كبير على المسلمين والعرب المقيمين في الصين . وقد تحدثت المصادر الصينية المترجمة عن طبيعة هذه الزيارات مــن قبــل الخلافة العباسية، فالسفارات القادمة من بغداد والهند كان يتم استضافتها لمدة ستة أشهر مقيمة فــي العاصمة وبالتحديد بالغرب من القصر الملكي،[3] ويتولى مكتب ملكي توفير نفقــات الــسفارة مــدة الإقامة بأكملها، إذ يتولى العناية بأعضاء السفارة العربية خلال هذه المــدة، ويــسمى هونــغ لــو (Hung-lu)،[4] وهذا المكتب الرسمي مسئول عن العناية بالسفارات الأجنبية، إلى جانــب ترتيــب مراسيم الدفن لأعضاء البلاط الملكي، وخلال إقامة البعثة الإسلامية أو غيرها يــستطيع أعــضاء البعثة التجول في العاصمة لمعرفة المزيد عن أوضاع البلاد الحياتية اليومية،[5] وقد عد الــصينيون هذه البعثات المقيمة مهمة للغاية، لذلك حرص المسئولون الصينيون على جمــع قــدر كبيــر مــن المعلومات عن البلاد التي قدم منها السفراء.[6] ويتضح من ذلك أن زيارة البعثات الإسلامية كانــت تستغرق مدة طويلة فيتسنى لأعضاء السفارة الإسلامية العيش ولو مؤقتاً في العاصــمة تــشانق آن لمعرفة المزيد عن أحوال وأوضاع المسلمين المقيمين هناك. وكان المسلمون قد اســتقروا فــي خانفو و تشانق آن في مناطق خاصة بهم وأسسوا المساجد وعينوا لهم قاضي مسلم يتــولى أمــور حياتهم اليومية، فعلى الأرجح أن أعضاء الوفود الرسمية الإسلامية قــد زارت أمــاكن اســتقرار المسلمين ولو على الأقل في العاصمة تشانق آن، وقام أعضاء البعثة الإســلامية علــى الأرجــح بالصلاة يوم الجمعة في أحد مساجد المدينة، وهناك يتم التعارف وتبــادل الأخبــار و الآراء مــع المسلمين المقيمين في الصين، فالمسافة بين بغداد وخمدان بعيدة جداً ومن الطبيعي أن يتلقف مسلمو خمدان أخبار قدوم وفود إسلامية باهتمام وشغف شديد.

ويبدو أن السفارات الإسلامية القادمة من بغداد كانت تولي نفسها اهتماماً كبيراً كونها تمثل قوة عالمية عظمى، فقد رويَ أن سفيراً عربيًا وصل إلى بوابة القصر متزامنا مع وصــول ســفير (Uighrs) في تاريخ (31 محرم 141هـ=11 يونيو 758م)، فتشاجر السفيران مــن يــدخل أولاً وأصدر قصر الملك قراراً بالسماح للسفيرين بالدخول من بوابتين منفصلتين كل بمفرده.[7]

[1] Fitzgerald, Flood Tide in China, P.336
[2] IBID, P.336
[3] Schafer, the Golden Peaches, P.27.
[4] IBID, P.27
[5] IBID, P.27
[6] IBID, P.27
[7] IBID, P. 27

المبحث الثالث

العلاقات الصينية مع الخلافة العباسية في دورها الثاني و دور مسلمي الصين في هذه العلاقات

مع بداية القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، بدأت قوة التتار الجديدة تظهر و تسيطر على الصين تحت قيادة جنكيز خان،[1] [2] وامتدت إمبراطورية التتار من الصين إلى جنوب روسيا،[3] وأصبحت هذه الإمبراطورية من أعظم الإمبراطوريات التي حكمت الصين وأواسط آسيا.[4] لقد عرف جنكيز خان الكثير عن العالم الإسلامي، وذلك لأن المسلمين قدموا للعالم آنذاك المنتجات الشهيرة والصناعات القيمة، مثل أدوات الحروب والقتال والتي كانت تعتبر من أجود الأنواع في الأسواق العالمية. [5] وبهذا عرف المغول عن المسلمين أكثر مما عرفه المسلمون عن المغول وبلادهم .

وكانت بداية علاقة جنكيز خان بالمسلمين، إرسال جنكيز خان سفارةً إلى محمد خوارزم شاه عام (615 هـ=1218م)، يطلب منه الهدنة والمسالمة،[6] وكان على رأس بعثة جنكيز خان مسلم يدعى محمود الخوارزمي،[7] وعرف أيضاً باسم محمود يلفادش وكان تاجراً معروفاً.[8]

أراد جنكيز خان تأسيس علاقة مع المسلمين وذلك لأنه عرف أن المسلمين قوةً كبيرة ممتدة وواسعة. فقد جاء في الرسالة التي بعثها جنكيز خان مع محمود الخوارزمي إلى السلطان خوارزم شاه، " أنا أعلم يقيناً حجم قوتك وسلطانك. أنت ملك الغرب وأنا ملك الشرق، نحن بإمكاننا العيش مع بعضنا البعض وبعلاقات طيبة، حدودنا تتلاقى ومن المفيد أن نعمل على توفير حرية الحركة لتجارنا في كلا البلدين."[9] لقد كانت كل سفارة جنكيز خان من المسلمين ولا أحد منهم من التتار، وتم معاملتهم واستقبالهم استقبالاً كبيراً وكريماً رغم ما عرف عن خوارزم شاه من استعلاء على الشعوب المحاذية شرقاً من بلاده.[10]

---

[1] ياقوت، معجم البلدان، ج1، ص179؛ Lattimore, Owen, Pivot of Asia, P.14

[2] جنكيز خان، هو ملك التتار وسلطانهم الأول .. أذعنت له جميع التتار وأطاعوه. أول ما ظهر في عام 596هـ، ومات في رمضان 624هـ، واسمه الأصلي تمرجين، ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج22، ص243.

[3] Lattimore , Pivot of Asia , P.14

[4] IBID, P.195

[5] Cedar, The Mongolian Empire, P.150

[6] ابن العماد، شذرات الذهب، ج3، ص61؛ Paul, cedar, The Mongol Empire, P.150

[7] ابن العماد، شذرات من الذهب، ج3، ص61.

[8] Cedar, The Mongolian Empire, P150

[9] IBID, P. 150

[10] IBID, P150

إذ قدمت سفارة جنكيز خان الهدايا العديدة لخوارزم شاه،[1] ويبدو أن جنكيز خان كان يعـي تماماً قوة ونفوذ العالم الإسلامي، ولهذا وجد جنكيز خان منفعة لبلاده في الحصول على هدنة مـع سلطان مسلم عظيم مثل خوارزم شاه، وقد تكون سياسة جنكيز خان هذه شراءً للوقت لكي يتسنى له تثبيت قواعد إمبراطوريته الجديدة بعد احتلال الصين ومناطق شاسعة من وسـط آسـيا وجنـوب روسيا، أو أنه تخوف من قوة المسلمين، وأراد أن يعرف المزيد عن خوارزم شاه وقوته العسكرية. وخلال زيارة سفارة جنكيز خان بقيادة محمود الخوارزمي ، قام خوارزم شاه بجهد كبير في استمالة محمود الخوارزمي ليكشف سر جنكيز خان ومدى قوة جيوشه ونفوذه في الصين. [2] لقـد اعتبـر خوارزم شاه رئيس البعثة المغولية مسلماً ومن بلاده أيضا، فقال له : " أنت منا وإلينا."[3] ثم قال له : " أصدقني أيملك جنكيز خان الصين."[4] أجابه قائد البعثة بأن جنكيز خان يملـك الـصين، ونـصح خوارزم شاه بقبول الهدنة.[5] وقد تمت الهدنة وسر جنكيز خان بإتمام الهدنة.[6]

بعد عامين من هذه الهدنة، أرسل جنكيز جماعة من التجار في عام (617هـ=1220م) إلى إحدى ولايات خوارزم شاه الواقعة في الشمال من بلاده ليشتروا كسوة له.[7] فقام الوالي بإلقاء القبض على التجار التتار وأرسل رسلاً لخوارزم شاه يبلغه بما وقع وأنهم جاءوا ليتجسسوا، فما كان مـن خوارزم شاه إلا أن أمر بقتل الرسل وأخذ أموالهم.[8]

بدأ التتار يحاربون عساكر خوارزم شاه فقام خوارزم شاه بمنع التعامل مع التجار التتـار ومنع الميرة والكسوات.[9] وعند التأمل في هذه الرواية، يبدو ولأول وهلة أن السبب هو قتل تجـار التتار، غير أنه من الصعب التصور بأن حادثة واحدة كتلك تكون السبب في اشتعال الحروب بـين جنكيز خان والمسلمين، لقد عرف عن جنكيز خان بأطماعه وطموحاته لتدمير أعدائِه سـواءً فـي الشرق أو في الغرب. لقد كان قائدا عسكريا يطمع في إخضاع العالم تحت سيطرته، وبسط نفـوذ إمبراطوريته المغولية عسكريا على امتداد آسيا من الشرق إلى الغرب، و مـن الأرجـح أن تلـك الحادثة للتجار التتار ناتجة عن وجود شكوك عميقة تولدت آنذاك بين إمبراطورية عسكرية مغولية صاعدة أكلت الأخضر واليابس في الصين، وبين دولة إسلامية جذورها عميقة في حـضارة تلـك البلاد، بدأت تقلق وتتخوف من تهديد مغولي جديد قادم من الشرق.

---

[1] Cedar the Mongolian Empire , P.150.
[2] IBID, P150.
[3] ابن العماد، شذرات الذهب، ج3، ص61.
[4] م.ن.، ج3، ص61.
[5] م.ن.، ج3، ص61.
[6] م.ن.، ج3، ص61.
[7] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص401.
[8] ابن العماد، شذرات الذهب، ج3، ص61؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص401.
[9] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص401؛ ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج1، ص408.

في عام (656هـ=1258م)، تحدث أحد قادة جيش التتار عن تدمير بغداد وكان من أصل صيني،[1] وقال إنه كان في الجيش ألف مهندس صيني عملوا فقط على تنفيذ عمل المجانيق التي كانت ترسل قذائف مشتعلة على بغداد.[2]

وفي عهد جينكز خان، كانت الحروب والمعارك مستمرة بين المغول والعالم الإسلامي. ولم يشهد طريق الحرير حقبة أسوأ من تلك الأوقات، إذ امتد الدمار على أيدي التتار من حدود الصين شرقا إلى بغداد غربا.

وبعد عشرات السنيين من الحروب المتواصلة، استطاع المغول في عام (670 هـ=1271م)، تأسيس دولة المغول على يد قبلاي خان، وعرف عصر المغول عند الصينيين بعهد يوان (Yuan)، وتم السيطرة على الصين كلها.[3]

[1] Huang, ,Ray, China: A Marco History, p.158.
[2] IBID, P.158.
[3] IBID P.158.

الفصل الخامس

الحياة الاقتصادية للمسلمين في الصين

المبحث الأول: التجارة

المبحث الثاني: الصناعة

المبحث الثالث: الزراعة

المبحث الرابع: المهن الأخرى

المبحث الأول
التجارة

لقد كانت التجارة من أهم مظاهر الحياة الاقتصادية للمسلمين المقيمين في الصين خاصة خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين/ الثامن و التاسع الميلاديين وهو عهد أسرة التانغ، وكان العرب والمسلمون يسيطرون على طرق التجارة العالمية البحرية والبرية،[1] وسيتبين لاحقاً كيف استفاد التجار المسلمون المقيمون في الصين من ذلك النفوذ الإسلامي العالمي الذي سيطر على طرق التجارة العالمية. حتى أن الصينيين كانوا يبدون إعجاباً بحجم المراكب التجارية والبضائع القادمة لموانئهم من البلاد العربية.[2] ومع تزايد التجارة الإسلامية مع الصين، وقدوم السفن العربية من ميناء سيراف وغيره من السواحل العربية، أسس التجار المسلمون أسواقاً لهم في الموانئ الصينية والعاصمة خمدان.[3] فقد عرف أنه كان في العاصمة الصينية في عهد التانغ سوقين رئيسيين، كل سوق يحتوي على عدد من الأسواق الأصغر حجماً،[4] وكان المسلمون والأجانب يعملون في السوق الغربي من المدينة.[5]

وقد فرضت السلطات الصينية على كل سوق مسئول حكومي يدعى هانق تون (hang t'on) يشرف على إدارة السوق، وكان على التجار العرب والمسلمين أن يضعوا علامة أو إشارة على مدخل السوق تدل على البضاعة السائدة داخل هذا السوق، فعلى سبيل المثال كان هناك سوق الملابس وسوق الحدادة وسوق الحرير وسوق العطارين، ومع منتصف القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، أصبح لهذه الأسواق رواج كبير عند الشعب الصيني.[6]

ويبدو أن التجار العرب والمسلمين المقيمين في خمدان قد حظوا بحقبة تعد الحقبة الذهبية للاقتصاد الصيني المرتبط بالتجارة العالمية ارتباطا قويا حيث النفوذ العالمي الكبيرللتجارة الإسلامية والعربية في تلك الحقبة، وقد أبدى الشعب الصيني استعداداً وتقبلاً للأسواق الإسلامية والأجنبية المقيمة في مدنهم وخاصة في عاصمة الإمبراطورية. وليس غريباً أن تصبح عاصمة الصين خمدان (تشانق آن) إحدى أكبر المدن استقطاباً للتجار المسلمين إلى درجة تأسيس أسواق عربية داخل الصين.

---

[1] William , A Short History of China , p.160; Scott , Hugh ,The Golden Age of Chinese Art p.12-13.

[2] Scott , Hugh ,The Golden Age of Chinese Art p.12-13.

[3] Schafer ,Edward ,The golden Peaches of Samarkand ,p.20.

[4] IBID, P.20.

[5] IBID, P.20.

[6] IBID, p.20.

وقد قررت حكومة التانغ عدم فرض ضرائب حكومية على التجار الأجانب المقيمين في الصين.[1] مما شجع التجار العرب والمسلمين على ممارسة مهنة التجارة في المدن الصينية. ولا شك أن هذا قراراً حكيماً يعود بالفائدة الكبيرة على البلد المضيف للتجار المسلمين.

ومن العوامل المهمة التي شجعت على تمسك العرب والمسلمين بمزاولة التجارة إنشاء القناة الصناعية بين ميناء خانفو العظيم والعاصمة خمدان في عام (125 هـ= 743م)، الذي جعلن البضائع تأتي من جميع أنحاء الصين شرقاً وغرباً لتنتقل عبر هذه القناة إلى أهم المدن وبالأخص عاصمة الإمبراطورية خمدان، ولا شك أن اتصال ميناء خانفو بمدينة تشانق آن عبر هذه القناة الصناعية كان له الأثر العظيم على حياة التجار المسلمين والعرب في نقل بضائعهم القادمة من دول العالم إلى قلب الصين، مما أسهم في ازدهار تجارتهم وتوسعها عبر الصين كلها .

ولقد بينت الكثير من الفنون الصينية القديمة مثل فنون الخزف الصيني الشهير عن رسومات وأشكال لوجوه عربية وفارسية مرسومة على تلك الأواني الفنية.[2] فالأسواق العربية التي انتشرت في الصين وعرفها الصينيون خير المعرفة جعلت من نفسها واقعاً متجسداً في الحياة الصينية اليومية مما ترك انطباعاً راسخاً في أذهان الفنانين الصينيين ليقوموا بهذه الرسومات التي أصبحت خير دليل على نمط الحياة التجارية اليومية في المدن الصينية.

فقد لاقت البضائع العربية قبولاً واستحساناً عند المجتمع الصيني، إذ قدم التجار العرب ولأول مرة في تاريخ الصين بضائع جديدة ونادرة مثل الياسمين والحنة والورود وبذورالأفيون التي استخدمت للدواء.[3]

وكذلك قدم التجار العرب اللؤلؤ والعاج والعقود والبخور والزجاج الملون وماء الورد والمياه المعطرة ذات النكهات المختلفة،[4] وهكذا عرفت الأسواق العربية في الصين أصنافاً جديدة من البضائع التي كانت تأتيها باستمرار عن طريق البحر والبر معاً.

ومن العوامل التي أسهمت في تنشيط الحياة التجارية للمسلمين في الصين، النظام المالي والعملات التي تم التداول بها في عهد التانغ، فلقد أسست الحكومة الصينية في عام (194 هـ=810م) نظاماً مالياً جديداً تشجيعياً وتحفيزياً للتجارة داخل الصين وهو ما عرف باسم الأموال

---

1 Fitzgerald, Flood Tide in China, p.315.
2 Scott, Hugh, The Golden age of Chinese Art, p.136; William, A Short History of China p.159.
3 Williams, A Short History of China p.159
4 So Kee-long , Dissolving Hegemony .p.1.

الطائرة (Flying Money)[1] ، وهي عبارة عن صكوك[2] يتبادلها التجار عند عقد صفقات البيع والشراء، ولقد أثبتت هذه الطريقة فائدة عظيمة للتجار، فعند بيع بضاعة معينة في مكان ما يتم استلام المبلغ من المكان الذي يعود إليه التاجر بدلا من حمل النقود المعدنية والتعرض لخطر السرقة والسطو في طريق العودة.[3]

ولقد انتشرت طريقة تبادل الصكوك بين التجار إلا أن العملات المعدنية استمرت كعملة رئيسية في التداول بين الناس والعامة. وقد أطلق عليها اسم الفلوس في رحلة السيرافي عند وصفه لعملات الصين، وهي مصنوعة من النحاس[4] ومختلطة مع معادن أخرى ويوجد ثقب في وسطها،[5] " وقيمة كل ألف فلس منها مثقال من الذهب."[6] وفي عام (387 هـ=997م)، قامت الصين بإنتاج 800 مليون قطعة من العملة الصينية سنوياً.[7]

واستمرت الصين في تطوير نظامها المالي إلى أن وصل الأمر بإنتاج العملات الورقية مع منتصف القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي.[8] و انتشرت العملات الورقية لتشمل جميع أنحاء الصين في المعاملات التجارية والأسواق العامة،[9] وفي وقت لاحق، وصف لنا ابن بطوطة العملة الصينية بقوله، "وإنما بيعهم [أهل الصين] وشراؤهم بقطع كاغد، كأن كل قطعة منها بقدر الكف مطبوعة بطابع السلطات، وتسمى الخمس والعشرون قطعة منها بالشت وهو بمعنى الدينار عندنا."[10] وقد تحملت الحكومة الصينية مسؤولية تلف هذه العملة فقامت بتجديد ما قدم وتلف منها، وكانت هذه الخدمة تتم في دار السكة مجانا، [11]ويدل هذا على أن الصينيين عملوا على تطوير نظامهم المالي على مر القرون، مما جعل الحياة التجارية أكثر فعالية و نشاطاً داخل الصين. وبالتالي انعكس هذا النظام المالي على من يقوم بالتجارة سواء من المسلمين المقيمين في الصين أو الصينيين أنفسهم.

[1] Bowman , Columbia Chronology , p.105 ; Huang , Ray , China ,a Macro history p.151.

[2] ينظر: ملحق1-5، صورة لأوراق نقدية صينية قديمة.

[3] Huang , Ray , China , a Macro History ,p.151.

[4] ينظر: ملحق 2-5، لإحدى العملات المعدنية التاريخية الموجودة في المتحف ببكين، والتي تعود إلى عهد التانغ.

[5] السيرافي، رحلة السيرافي، ص57-58.

[6] م.ن.، ص57-58.

[7] Bowman, Columbia Chronology , p.105.

[8] Findling , John , The History of China , p.83 ; Huang , Ray , China , a Macro History , p.151.

[9] Huang , Ray , China , a Macro History , p.151.

[10] ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج2، ص 719.

[11] م.ن.،ج2، ص719.

ومع مجيء عهد حكم أسرة السونغ[1] أصبحت الصين أكثر قوة من الناحية الاقتصادية ولكنها كانت ضعيفة سياسيا،[2] إذ انقسمت الصين بين سونغ شمالي وسونغ جنوبي، وتقلصت مساحة الصين الإمبراطورية، ولكن النفوذ الاقتصادي والتجاري استمر في الازدهار.[3] وتمتع التجار الصينيون بنفوذ بحري لم يسبق له مثيل خلال عهد السونغ على مدى طول الساحل الشرقي للصين، ومعها ازدادت التجارات العالمية مع الصين وبالأخص مع مسلمي جنوب شرق آسيا مثل جافا وميندناو.[4]

ولقد أشارت إحصائيات الصين الرسمية في عام (518هـ=1124م) بأن عدد سكان الصين ارتفع بشكل ملحوظ وسريع حتى وصل إلى مئة مليون نسمة. [5]

وهذا العدد الكبير في زيادة السكان يعود إلى الأوضاع الاقتصادية المزدهرة التي عاشتها البلاد آنذاك إضافة إلى الاستقرار الداخلي الذي تمتع به الشعب الصيني.[6] وقد وجدت الجاليات الإسلامية التي استقرت في الصين والتي عملت في مجال التجارة منفعة كبيرة في انتعاش البلاد اقتصادياً وسكانياً، فالمنفعة متبادلة.

كما استفادت سلطات السونغ من هذا الازدهار الاقتصادي الكبير، فأصبحت أهم موارد الدولة تأتي من أرباح التجارة مع العالم الخارجي،[7] وإن أهم مناطق التجارة في الصين كانت ميناء الصين الشهير خلال حقبة السونغ ألا وهو كوانغ زو Quangzhou)، إضافة إلى طريق الحرير في غرب الصين.[8]

ولقد وجد التجار المسلمون المقيمون في الصين الفرص المتاحة للتجارة حيث عرفوا بقدرتهم على نقل بضائعهم وتوزيعها في العاصمة الإمبراطورية وغيرها من مدن الصين الشهيرة آنذاك. واعتمدوا في نقل بضائعهم على القوارب والجمال والبغال والعربات التي تجرها الثيران. [9]

ولقد نقلت إحدى اللوحات الفنية القديمة مشهدا حياً من حياة السوق والتجار الأجانب ومنهم العرب والفرس.ففي بداية القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، رسم الفنان

---

[1] حكمت أسرة السونغ الصين من 960 م إلى1275م، وقد انقسمت الصين إلى قسمين شمالي وجنوبي رغم السيطرة السياسية الشكلية الموحدة على الصين، ينظر: Findling , John , The History of China . p.74

[2] Frank Andre , The Centrality of Central Asia , p.70.

[3] Bowman, Columbia Chronology, p106; Fitzgerald, China: A short Cultural history ,p.392 ; Frank Andre , The Centrality of Central Asia ,p70.

[4] Ptak , Roderick , From Quanzhou to the Sulu zone p.1

[5] Fitzgerald, China, p.392.

[6] IBID, P.392.

[7] Ptak, Roderick, From Quangzhou to the Sulu Zone , p.1.

[8] IBID, P.1.

[9] Huang , Ray, China: A Macro History, p.147.

الصيني(zhang zeduan) لوحة عظيمة طولها ثمانية عشر قدماً تصور مشهد إحدى أسواق مدينة كانينغ. ولقد أطلق الفنان اسماً على اللوحة عرفت باسم "Spring Time" أي وقت الربيع، حيث تجسدت في اللوحة أكثر من 500 صورة شخص مع مطاعم ومشاهد لتجار يحملون بضائعهم على العربات والجمال،[1] وكان هناك صور لأكثر من عشرين قارباً ينتظرون في النهر لإخلاء البضائع في السوق المحلي، والمطاعم منتشرة على جانبي الطريق مع مشاهد لباعة متجولين يبيعون أنواعاً من الأطعمة، و في اللوحة نفسها يوجد صور لبعض الحيوانات غير المألوفة في الصين مثل الجمال والبغال الكبيرة، مما يدل على وجود تجار مسلمين أتوا عن طريق الحرير[2].

وفي منتصف القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، انتعشت التجارة بشكل ملحوظ على طول طريق الحرير التجاري الشهير. ويعود السبب لرواج وازدهار التجارة في مناطق غرب الصين إلى اتصالها المباشر مع طريق الحرير وإلى قيام السلطات المغولية الجديدة[3] بتوفير الحماية والرعاية للتجار على طول طريق الحرير نفسه.[4] وكانت مدينة قراقوم [5] أهم محطة تجارية على طول طريق الحرير التجاري.[6]

وقد زار قسيس مدينة قراقوم في منتصف القرن السابع الهجري= الثالث عشر الميلادي وتحدث عن أسواق المدينة ووصف الأحياء العربية فيها وذكر أن أسواقها التجارية مليئة بالبضائع المتعددة المستوردة.[7]

ولقد ساعد على رواج وازدهار تجارة الصين القادمة من طريق الحرير نظام الفنادق والبريد السريع حيث قامت السلطات المغولية بتطويره ورعايته بشكل كبير، فقد بنت الجسور، وشقت الطرق، وأسست محطات وفنادق للإقامة عند كل 35 ميلاً، وكانت كل محطة للإقامة تتسع لأربع مائة حصان، وجميع ما يلزم من طعام ووسائل راحة.[8] وقد شملت هذه الخدمات مناطق شاسعة داخل الصين أيضاً، فقد وصلت عدد المحطات على الطرق في الصين إلى أكثر من عشرة آلاف محطة يخدمها ثلاث مائة ألف حصان تعمل جميعها من أجل التجارة مع جميع أرجاء الصين،[9] ولم تكتف السلطات بهذا النظام فحسب بل قامت بتأسيس نظام بريد سريع يعمل ليلاً

---

[1] Huang , Ray, China: A Macro History, P.147.
[2] Huang , Ray, China: A Macro History, p.147.
[3] ينظر: ملحق 3-5، خريطة الصين خلال العهد المغولي ص 145
[4] Christian , David, Silk Roads or Steppe Roads? the Silk Roads in World History. Journal of World History, V. 11, No.1, 2000, p.18.
[5] وهي من مدن الصين الشهيرة، وكانت قاعدة التوتر، ينظر: القلقشندى، صبح الأعشى، جـ4، ص478.
[6] Christian , David, Silk Road or Steppe Roads , p.18.
[7] Dawson , The Mongol Mission , p.177.
[8] Paul , Cedar , The Mongol Empire , p.330 .
[9] IBID, P.330.

ونهاراً. وقد سمي ساعي البريد باسم " الرسول السهم"،[1] فكان يسافر بسرعة على حصان معلقاً عليه أجراس وعند سماع صوت الأجراس من بعيد يتم إعداد أفضل حصان لهذه المهمة، ويقوم ساعي البريد بالقفز من حصان إلى حصان ليكمل طريقه على أسرع وجه.[2]

ولا شك أن هذا النظام الحكومي الذي وفر الخدمات اللازمة لتأمين طرق التجارة والسفر داخل الصين، له أثره المهم على حياة التجار المسلمين في الصين، فقد جعل التجارة من أهم مصادر دخلهم.

أما على الساحل الشرقي للصين فقد كان التجار المسلمون المقيمون في الموانئ الساحلية للصين مع بداية القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي أكثر التجار ثراءً ونفوذاً في الصين.[3] وعرف عن التجار المسلمين تضامنهم مع بعضهم البعض، فقد كانوا يفضلون التعامل مع تجار مسلمين آخرين سواءً من المقيمين في الصين أم من القادمين من جنوب شرق آسيا أو من بلاد الخليج العربي،[4] وهذا يعني أن التجار المسلمين حافظوا على نفوذهم وقوتهم الاقتصادية مدة طويلة امتدت إلى نهاية القرن الثامن الهجري/ الرابع عشرالميلادي، وأن التجارة هي مصدر الرزق الرئيس الذي اختاروه لكسب العيش والسعي نحو الثراء وحياة أفضل.

ومن الشخصيات العربية المسلمة التي اشتهرت بالثراء الواسع جمال الدين إبراهيم ابن محمد السوملي العراقي وقد أقام بالصين وعاش هناك حيث تاجر باللؤلؤ وكسب أموالا طائلة،[5] وقد توفي هذا التاجر الكبير في عام (706هـ=1307م).[6] وهناك التاجر محمد بن عبد الرحمن بن إسماعيل الجزيري، وقد أقام في الصين وحصل على ثروة كبيرة من خلال عمله بالتجارة وتوفي عام (702هـ=1303م).[7]

---

[1] Paul, Cedar, The Mongol Empire, P.330.
[2] IBID,P.330.
[3] Ptak , Roderick , From Quangzhou to the Sulu Zone , p.1.
[4] IBID, P.1.
[5] ابن خلدون، ديوان المبتدأ في خبر العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، جـ6، ص35.
[6] م.ن.، جـ6، ص35.
[7] ابن حجر، أحمد، الدرر الكامنة، جـ5، ص245.

المبحث الثاني
الصناعة

اشتهر الصينيون منذ القدم ببراعتهم في الصناعة وحبهم لها، فميدان الصناعة هو أبرز خصائص الحضارة الصينية، وقد عرف العالم عن قدرتهم في التطور الصناعي منذ زمن طويل.

وعرف العرب والمسلمون خير المعرفة قوة ومهارة أهل الصين في الصناعات المختلفة، " وأما أهل الصين فمن أحذق خلق الله كفاً بنقش وصناعة وكل عمل لا يتقدمهم فيه أحد من سائر الأمم. "[1]

فصناعة الأشياء مهنة تحظى بجدية واحترام عميق عند الصينيين، " والرجل منهم يصنع بيده ما يُقدر أن غيره يعجز عنه."[2] فهذا يدل على فخر واعتزاز من قبل الشخص الصانع لما تقدمه يداه من منتوج أو مصنوع . ففي هذه الثقافة الصناعية والإنتاجية التي يعتز بها أهل الصين، عاشت الجالية العربية الإسلامية في المجتمع الصيني متأثرة بقدرة الصينيين على الصناعة، حتى أن السلطات الصينية والإمبراطور نفسه شجعوا الصناع على الإبداع والصناعة، فقد روي لنا أن أي شخص يبدع في صناعة شيء ما، يطلب من الملك مكافأة على صناعته.[3] فيقوم الملك بعرض ما تم صنعه مدة سنة أمام باب الملك لكي يتفقد الناس هذا المنتج وإن كان هناك عيباً فيه، يتم رفض مكافأة الصانع.

وفي رواية شهيرة أن أحد الصينيين رسم صورة سنبلة عليها عصفور مرسومة على ثوب حرير. فقام أحد المارة فانتقد الصورة لأن السنبلة التي عليها العصفور كانت منتصبة وليس بها ميل، وانتقد الرجل منطق الصورة لأن على المصمم أن يميل السنبلة بسبب ثقل العصفور.[4]

لقد عرف العرب مبكراً مهارة الصينيين في الصناعة حتى قالوا: "إن الحكمة نزلت من السماء على ثلاثة أعضاء من أهل الأرض، على أدمغة اليونان وأيدي أهل الصين وألسنة العرب."[5] واستمرت الصين في تطوير صناعاتها في عصر أسرة السونغ حتى عرف بعصر الإبداعات التقنية في الصين.[6] فقد ذكرت المصادر الصينية التاريخية أن أول طباعة آلية صنعت في عام (479 هـ= 1086م). بالإضافة إلى الساعة الفلكية التي استعملت في عام (481 هـ=1088م)، وجهاز

---

1 السيرافي، رحلة السيرافي، ص60 ؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، جـ1، ص 173-174.
2 السيرافي، رحلة السيرافي، ص60؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، جـ1، ص173-174.
3 السرافي، رحلة السيرافي، ص60؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، جـ1، ص173- 174.
4 السيرافي، رحلة السيرافي، ص60.
5 الذهبي، أبو عبد الله، معرفة القراء الكبار، جـ5، ص157.
6 Huang , Ray , China : A Macro History , p.152.

الإبحار، والقذائف المتفجرة في عام(558هـ=1161م).[1] ويجدر بنا أن نشير إلى أن هذا الجو العام من الإبداعات التقنية والفنية في الصين قد أسهم في التأثير على المسلمين المقيمين في الصين خاصة في مجال العاملين في ميدان الصناعات المختلفة. فلا بد وأن يتأثر الصناع على اختلاف مذاقهم و فنونهم بالتقدم التقني للمجتمع المقيمين فيه.

وكان أكثر الصناعات الصينية أهمية على الإطلاق صناعة الورق والطباعة، وقد وصف أحد المؤرخين بأن صناعة الورق والطباعة كانت أعظم هدية من عصر التانغ في الصين إلى العالم أجمع.[2]

وقد حرصت السلطات الصينية على مدى قرون بالحفاظ على سر صناعة الورق والطباعة،[3] إلى أن قامت أول مواجهة عسكرية بين جيش عربي وصيني في عام (133 هـ=751م)،[4] فبعد هذه المعركة نقل العرب فن صناعة الورق من خلال السجناء الصينيين الذين تم نقلهم إلى بغداد،[5] وهذا يدل على معرفة مبكرة لصناعة الورق عند العرب وبدايتها منذ القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، وكان العرب قد تعرفوا على أنواع عديدة لأساليب الكتابة الموجودة عند أمم مختلفة مثل الكتابة على الحرير في الهند، والكتابة على ورق البردي عند المصريين وكذلك الكتابة على الورق عند الصينيين،[6] وذكر ابن النديم في الفهرست أن الصينيين صنعوا الورق من الحشيش.[7]

ولقد تم طباعة أول كتاب في الصين باستخدام ألواح خشبية للطباعة على الورق خلال القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، وكان هذا الكتاب لأعمال بوذية يسمى دايموند سوترا "Diamond Sutra"،[8] وفي القرن الخامس الهجري= الحادي عشرالميلادي انتشرت الكتب المطبوعة على المستوى الشعبي لأول مرة في العالم.[9]

---

[1] IBID, P.152.
[2] William , Edward , A Short History of China , p.160.
[3] Findling , John , The History of China , p.65.
[4] EL-Hibri , Reinterpreting Islamic History , p.8 ; Findling , John , The History of China , p.65.
[5] Findling , The History of China, p.65; EL-Hibri , Reinterpreting Islamic History, p.8.
[6] ابن النديم، الفهرست، جـ1، ص31؛ القلقشندى، صبح الأعشى، جـ2، ص515.
[7] ابن النديم، الفهرست، جـ1، القلقشندى؛صبح الأعشى، جـ2، ص515.
[8] William, A Short History of China, p.160.
[9] Bowman, Columbia Chronology, p.88.

ويعلق المؤرخ الحسن الفاسي على علاقة المسلمين بصناعة الورق، فيقول: " كان ابتداء هذه الصناعة في أهل الصين، ولكن الإسلاميين اهتموا في إصلاحها، وبلغوها إلى غاية كمالها، ونشروها في الأقطار، وكثروها في الأمصار، ومنهم انتقلت إلى أوروبا."[1]

لم تتحدث المصادر التاريخية عن دور مسلمي الصين في صناعة الورق داخل المجتمع الصيني، إلا أن اهتمام العرب والمسلمين في الورق والطباعة كان ملحوظاً وواضحاً، فنشر الدعوة الإسلامية على سبيل المثال يتطلب نشر الكتب و المنشورات وإيصالها إلى مناطق بعيدة داخل الصين، ومما لا شك فيه أن مسلمي الصين حرصوا على شرح دينهم وتعريفه لبقية الناس في مجتمعهم، ولا شك أن ذلك قد زاد من اهتمامهم بصناعة الورق و الطباعة.

كما تعد صناعة الحرير والنسيج الفاخر من معالم الحضارة الصينية، وقد مدح أبوزيد الحسن في كتابه "رحلة السيرافي" صناعة الحرير في الصين، ووصفها بأنها من أعجب الصناعات الصينية، ومن هذا الحرير يعمل أفخم أنواع الملابس.[2] لقد أصبحت صناعة الحرير والملابس المصنوعة منه تمثل الهوية الأولى للاقتصاد الصيني في عهد أسرة التانغ.[3] وقد عرف عن أحد تجار الصين تملكه لمصنع حرير[4] يتكون من خمس مائة آلة لصنع الحرير.[5]

وقد تحدث ابن بطوطة عن صناعات النسيج المتقدمة في مدينة الزيتون خلال رحلته هناك ووصفها بثياب الكمخا والأطلس،[6] وذكر كذلك أنواعا أخرى من الثياب المصنوعة مثل الثياب الخنساوية والخبنالقية.[7]
و اشتهرت مدينة قراقوم بصناعة النسيج ووصف نسيجها " بالقماش الفاخر."[8]

ولقد عرفنا سابقاً بأن هذه المدينة كان يقطنها الكثير من المسلمين، حيث انتشرت محلاتهم في أكبر سوق للمدينة، من الأرجح بأن الكثير من الصناع المهرة في تصنيع القماش الفاخر كانوا من المسلمين المقيمين هناك، إذ كان الكثير منهم يتمتعون بالنفوذ و الثراء، ولابد أنهم حصلوا على ذلك من خلال مزاولتهم لهذه الصناعة الشهيرة التي تحدث عنها ابن بطوطة في رحلته، حيث ذكر الثياب الخنساوية المصنوعة على أيدي "الحذاق" من الصناع،[9] وذكرها الإدريسي فقال :" ويصنع

---

[1] الكتاني، التراتيب الإدارية، جـ2، ص242.
[2] السيرافي، رحلة السيرافي، ص54.
[3] Holcombe , Charles , South Integration, The Historian p.1
[4] ينظر: ملحق 4-5، لوحة فنية تاريخية لصناعة الحرير في الصين.
[5] Holcombe , Charles , South Integration, The Historian, P.1
[6] ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة،ج2، ص 54.
[7] م.ن.، جـ2، ص722.
[8] القلقشندى، صبح الأعشى، جـ4 ، ص478.
[9] ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، جـ2 ، ص731.

بها الثياب الطوخية من الحرير القسي، ولها قيمة وافرة ويتجهز بها إلى سائر البلاد وهي ثياب مطرفة كالثياب العتابية ويعمر الثوب منها كثيراً."[1]

وأما عن صناعة الفخار الصيني، فقد عرفت مدينة صينية الصين بشهرتها الواسعة في صناعة الفخار والأواني الصينية الفاخرة،[2] ولقد عرفنا في صفحات سابقة بأن المسلمين سكنوا وتواجدوا في هذه المدينة العظيمة من الصين، فهي تعد من أكبر مدن الصين أسواقاً، وقد عاش بها الكثير من المسلمين، حيث سكنوا أحياء خاصة بهم، فيها الأسواق والمساجد والزوايا والقضاة والفقهاء.[3] وكان الفخار من أهم صناعات هذه المدينة،[4] وكانت مدينة صينية الصين تعد المركز الرئيسي لتصدير الأواني الفخارية لبقية الصين والعالم بأسره.[5]

وقد وصف ابن بطوطة كيفية صنع الفخار في الصين، فذكر أن الفحم في الصين هو على هيئة تراب يعملون منه قطع كقطع الفحم، ويشعلون النار فيه، ثم يعجنون رماد الفحم بالماء، ويطبخون ويكررون هذا العمل حتى يصبح مادة جاهزة وقوية لصنع الأواني الفخارية.[6]

كما اهتم حكام الصين وملوكهم بإنشاء القصور الفخمة والحدائق الواسعة التي تميزت بتصاميم متنوعة تعبر عن ذوق رفيع ورقي وحضارة في فن التصميم العمراني والبناء الجميل وذلك على مر العصور،[7] واعتمد الملوك في عصر التانغ والسونغ في بناء القصور والمتنزهات الملكية على مهندسين عرب وفرس وغيرهم،[8] وكانت تلك القصور التي أسهم في تصميمها وبنائها مسلمون غاية في الجمال وعجيبة عمرانية، فقد تم تطبيق أجمل ما يملكه ذلك الزمان من فنون البناء والتصاميم المبدعة، ويبدو أنه قد تم استخدام المعماريين المسلمين في الصين على نطاق واسع في بناء القصور الملكية للصينيين وليس على بناء المنازل لعامة الناس.

وقد يكون هؤلاء المصممون من مسلمي الصين نفسها، أو تم جلبهم من العالم الإسلامي، فمن المنطق أن مثل هؤلاء المعماريين يكلفون أموالا باهظة لا يستطيع توفيرها إلا أبناء الطبقة الملكية.

---

[1] نزهة المشتاق ، جـ1، ص 206.
[2] الإدريسي، نزهة المشتاق ، جـ1، ص 211 ؛ ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة، جـ2، ص723.
[3] ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، جـ2، ص723.
[4] الإدريسي، نزهة المشتاق، جـ1، ص211؛ ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، جـ2، ص723.
[5] ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، جـ2، ص723.
[6] ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، جـ2، ص719.
[7] Schidomore , China : The Long Lived Empire, (New York: The Century Company, 1900), P.87.
[8] IBID, P.87.

وقد عرف عن مدينة الزيتون ومدينة صينية الصين[1] شهرتهما الواسعة في بناء السفن، وقد تحدث ابن بطوطة كشاهد عيان على عملية بناء السفن الصينية الشهيرة الضخمة التي جابت المحيطات، وقطعت المساحات الشاسعة بين العالم العربي والصين، لكنه لم يذكر أن المسلمين هم الذين بنوا هذه السفن العظيمة،

والتي أطلق عليها اسم الجنوك، [2] وكل سفينة تسمى جنك وهي سفينة ضخمة جداً يخدمها ألف رجل، منهم ستمائة من البحرية والباقي أربعمائة من المقاتلين من أجل الحماية.[3] ويحتوي هذا المركب الضخم على طوابق عدة فيها البيوت والغرف من أجل التجارة والغرف المؤجرة للمسافرين وأجنحة خاصة لكبار التجار الذين يسافرون مع غلمانهم وجواريهم،[4] وقد شاهد ابن بطوطة إحدى هذه السفن ورأى بها أحواضاً خشبية لزراعة الخضراوات والبقول والزنجبيل،[5] وقد لاقت هذه السفن رواجاً عالمياً من أجل السفر الطويل عبر المحيطات مما جلب ثراءً عظيماً لأصحاب تلك السفن.[6]

---

[1] صينية الصين، هي، "في أقصى الصين ولا تعدلها مدينة في الكبر وكثرة العامر وسعة التجارات وكثرة البضائع واجتماع التجار إليها من سائر الأقطار ومن بعض المدن الهندية المجاورة للصين،" ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، جـ1، ص 211.

[2] وصف ابن بطوطة الجنوك كالتالي: " ومراكب الصين ثلاثة أصناف و الكبار منها تسمى جنوك واحدها جنك"، ينظر: ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، جـ2، ص645.

[3] ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، جـ2، ص645.

[4] م.ن.، جـ2، ص645.

[5] م.ن.، جـ2، ص645.

[6] م.ن.، جـ2، ص645.

المبحث الثالث

الزراعة

لقد وصف الإدريسي الحياة الزراعية في مدن عدة من الصين، وذكر الكثير من المحاصيل الزراعية و المنتجات الحيوانية التي اشتهرت بها الصين.[1] فعن أهل الصين يقول الإدريسي : "وأهلها يأكلون الأرز والألبان والنارجيلة[2] وقصب السكر."[3] وتحدث أيضاً عن الزراعة قرب عاصمة الصين، فقال: " وبها جميع الفواكه والبقول والحنطة والشعير والأرز."[4] ويضيف ابن بطوطة مادحاً نوعية المنتجات الزراعية في الصين وطعمها الشهي فيقول : "وببلاد الصين السكر الكثير مما يضاهي المصري، بل يفضله والأعناب والأجاص، وكنت أظن أن الأجاص العثماني الذي بدمشق لا نظير له، حتى رأيت الأجاص الذي بالصين، وبها البطيخ العجيب يشبه بطيخ خوارزم وأصفهان وكل ما ببلادنا من الفواكه فإن بها ما هو مثله وأحسن منه والقمح بها كثير جداً ولم أر قمحاً أطيب منه وكذلك العدس والحمص."[5]

إن هذا الإطراء الذي أورده ابن بطوطة يشير إلى مدى تقدم الزراعة وإلى الإنتاج الوفير في الصين. لقد مكث هذا الرحالة العربي مدة طويلة في الصين ضيفاً على الكثير من مسلمي الصين المقيمين هناك سواءً في بيوت لأحد التجار المسلمين أو في إحدى الزوايا الصوفية كما ذكرنا سابقاً، إلا أن ابن بطوطة لم ينوه إلى عمل مسلمي الصين في الزراعة بشكل مباشر، لكن خصوبة أرض الصين وتنوع محاصيلها، ربما شجعت المسلمين على العمل في مجال الزراعة،[6] خاصة وأن الكثير من أسماء المدن التي تواجد فيها المسلمون ، كانت غنية بالزراعة مثل جالق بالق والخنساء،[7] ومدينة خمدان "التي فيها الفواكه الكثيرة والشعير والأرز والعنب والسكر،"[8] وعن مدينة خان بالق التي " بها الكثير من الزرع والجمال والخيل والبقر والغنم ما لا يدخل تحت الإحصاء."[9]

لقد تواجد المسلمون في هذه المدن بكثرة لأن الزراعة من أهم ركائز الاقتصاد المحلي فيها، ولوفرة المحاصيل الزراعية الناتجة عن خصوبة الأرض، ولابد أن المسلمين في هذه المدن قد عملوا في المجال الزراعي المهم مثلما فعل كثير من السكان.

---

[1] الإدريسي، نزهة المشتاق، جـ1، ص84.

[2] النارجيل: واحدته نارجيلة وأن شجرته مثل النخلة، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج11،ص656.

[3] الإدريسي، نزهة المشتاق، جـ1، ص84.

[4] م.ن.، جـ1، ص84.

[5] م.ن.، جـ2، ص717.

[6] Dawson, the Mongol Mission, P. 21-22.

[7] القلقشندى، صبح الأعشى، جـ4، ص481.

[8] م.ن.، جـ4، ص480.

[9] القلقشندى، صبح الأعشى، جـ4، ص477.

المبحث الرابع
المهن الأخرى

كما عمل مسلمو الصين في مهن أخرى خلال عهد أسرة التانغ وأسرة السونغ، فقد عملوا في مجال الخدمات الفندقية وفي الحمامات الإسلامية،[1] وكجزارين، ومنهم من وجد عملاً مربحاً في تداول وبيع الأحجار الكريمة والعود والمسك وصناعة الأواني الفخارية العريقة التي اشتهرت بها الصين.[2]

فمنذ أن تواجد المسلمون في الصين حصل قتيبة على غنائم من الفضة والذهب بكميات كبيرة، وأمر من معه بصهر كميات كبيرة من الفضة والذهب وتحويلها إلى دنانير، وقد استطاع المسلمون أن يسكبوا خمسة عشر ألف دينار من الذهب والفضة، وتم توزيعها على الجنود، وقد ذكر أن هذه الأموال كانت كثيرة في أيدي الجنود الذين اشتروا بها معدات قتال وملابس حتى أن أسعار الأسواق آنذاك ارتفعت إلى حد غير مسبوق.[3]

ولقد ذكرنا هذه الرواية لأهميتها ودلالتها على أن الكثير من جنود قتيبة قد بقوا في الصين كما ذكرنا سالفاً، ولعل القيام بمهمة سبك الدنانير الإسلامية من بعد صهر غنائم الذهب والفضة قد تكون أولى الأعمال والمهن التي قام بها الجنود والمقاتلين من جيش قتيبة، ولم تذكر المصادر التاريخية ماذا طبع أو نقش على هذه الدنانير إلا أن الجنود استفادوا كثيراً من الدنانير المسبوكة والتي كان من السهل توزيعها كغنائم على أعضاء الجيش، والذي سمح لجنوده بصرف الدنانير في الأسواق المحلية.

وقد يكون سبك الدنانير من أوائل المهن التي تبناها أو عرفها المسلمون الأوائل في الصين، ولربما كانت ضرورية كوسيلة عملية تكفل توزيع الغنائم على الجنود. ونحن نعرف بأن عدداً من جنود قتيبه قد مكثوا وتزاوجوا في الصين خاصة في المناطق الغربية من الصين، فالدنانير المسبوكة وسيلة سهلة وسريعة للتعامل مع من أراد المكوث في الصين، وإلا لانتظر الجنود العودة لمواطنهم وانتظروا توزيع الغنائم عند الرجوع لأوطان الجنود المسلمين، وهذا يفسر رغبة جزء من الجيش للبقاء والإقامة في الصين.

ومن أهم المهن التي مارسها المسلمون في الصين، تقديم الخدمات الفندقية للزوار والتجار المسلمين القادمين من خارج الصين، وهي مهنة غاية في الأهمية، وقد تحدث ابن بطوطة عن

---

[1] Schdimore, China: The Long Lived Empire , p.194

[2] ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، جـ2، ص717.

[3] Kennedy, Hugh , The Armies of the Caliphs , p.70

وصوله إلى الصين وكيف أن المسلمين المستقرين هناك، يعتنون بالقادمين الجدد، فيعملون على تحصل مال التاجر وضمانه عند أحد المسلمين المقيمين في الصين.[1]

ويقوم التاجر المتوطن أو المسلم المقيم في المدينة الصينية بتوفير احتياجات الزائر من مشتريات ولوازم من السوق المحلي،[2] ومن الخدمات توفير بيت أو جناح إقامة داخل فندق،[3] وكان على صاحب الفندق أن يعلق لائحة على باب الفندق يسجل فيها جميع الأفراد النزلاء بأسمائهم وعائلاتهم وأطفالهم،[4] وكذلك يقوم صاحب الفندق بإبلاغ السلطات المحلية بأسماء النزلاء الجدد يومياً مسجلاً الاسم والتاريخ وساعة الوصول إلى الفندق.[5]

ويبدو أن المسلمين في الصين عملوا في مجال خدمة التجار المسلمين القادمين من بلاد الإسلام، وهذا أمر طبيعي يرتاح إليه القادم الجديد الباحث عن من يساعده في الإقامة والتزود بالاحتياجات من مسكن ومأكل وغيره، وهذه علاقة متبادلة ينتفع منها المسلم المقيم في الصين والمسلم الزائر الجديد، وتزداد أهمية هذه العلاقة في مجتمع غير مسلم لاختلاف الأطباع والعادات فيه، مما يجعل مثل هذه المهن مهمة بل و ضرورية لكل زائر، فيكون المسلم الصيني أو المقيم في المدينة الصينية كوكيل لأعمال التاجر الجديد، و يقوم بتوفير احتياجاته وشراء مستلزماته والعناية بأمواله وتجارته .

ذكر ابن بطوطة وجود طباخين مسلمين قد عملوا على تجهيز الأكل والطعام خلال حفلة أقيمت احتفالاً وترحيباً بالضيف به،[6] وفي المناسبة نفسها، قام مغنون ومطربون بالغناء، يغنون بالصيني والعربية والفارسية،[7] ويتضح أن هناك مسلمين كان عملهم في مجال الموسيقى والطرب بالإضافة للعمل كطباخين.

ولأن العلاقات التجارية بين العالم الإسلامي والصين كانت نشطة ومتزايدةً من كلا الاتجاهين البحري والبري، فإن مثل هذه المهن ظلت ضرورية للمسلمين داخل المجتمع الصيني، تحكمها الضرورة والحاجة، وهو ما يطلق عليه في عصرنا هذا قطاع الخدمات، وقد شكلت هذه المهن مجالا من العمل مارسه عدد من مسلمي الصين، فالطباخ المسلم له دور مهم للتجار والزوار المسلمين، لأن الصينيين يستخدمون لحم الخنزير على نطاق واسع، والتاجر المسلم لا يرتاح إلا

---

[1] ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، جـ2، ص721.
[2] م.ن.، جـ2 ،ص721.
[3] م.ن.، جـ2، ص721.
[4] Paul , Cedar, The Mongol Empire, p323.
[5] IBID, P.323.
[6] ابن بطوطة، ابن بطوطة، جـ2، ص730.
[7] م.ن.، جـ2، ص730.

لطباخ مسلم يطبخ اللحم الحلال على أقل تقدير، فلا غرابة أن يكون هناك عدد كبير من مسلمي الصين قد عملوا في هذا المجال، وبخاصةً في المدن الصينية الكبيرة التي ازدهرت فيها التجارة مع العالم الإسلامي .

ولا يرتاح التاجر و الزائر المسلم إلا في أماكن إقامة تواجد فيها مسلمون محليون، وبالتالي ينتج من خلال الحياة الاقتصادية المحلية الحاجة إلى فنادق إسلامية وخدمات إسلامية مثل وكلاء للتجار وحمامات إسلامية وطباخين وحتى مطربين ومغنيين يجيدون الغناء بلغات عدة ومنها العربية. فقد عرف عن الكثير من المدن الصينية آنذاك وجود حمامات مخصصة فقط للمسلمين،[1] وذلك يفسر بأن الحمامات تحكمها عادةً مفاهيم وقيم اجتماعية خاصة بنزلائها، ولا يسع التاجر المسلم القادم للصين إلا أن يستخدم مثل هذه الخدمات المناسبة للقيم الدينية الإسلامية، وقد توفرت مثل هذه الحمامات في المناطق التي سكنها المسلمون في المدن الصينية،[2] فالحمامات تعد أماكن خاصة ولها بعدها الديني و الشرعي في النظافة والوضوء عند المسلمين، وقد تكون مهنة تملك الحمامات العامة للمسلمين المقيمين في الصين، من أهم المهن التي مارسوها في المجتمع الصيني. كذلك من المهن التي مارسها المسلمون في الصين مهنة الجزارة،[3] وهي مهنة غاية في الأهمية لأنها توفر اللحم الحلال للمسلمين المقيمين في المجتمع المحلي، مثلما نجد الآن في وقتنا المعاصر هذه المحلات المختصة في بيع اللحوم الحلال التي تعد من أهم المهن للمسلمين المقيمين في مجتمعات غير إسلامية.

ومن المهن الأخرى التي مارسها المسلمون المقيمون في المجتمع الصيني، هي مهنة تحصيل وتجميع الأحجار الكريمة الصينية وبيعها للتجار المسلمين، فقد ذكر الإدريسي وجود أحجار اللازورد في أنهار الصين والتي يجمع منها الكميات الكبيرة ويتم بيعها للعالم الإسلامي،[4] وكذلك حجر البلور،[5] حيث يتم جلبه من الصين وبيعه لملوك المسلمين،[6] وحجر البادزهر الحيواني[7] الذي يتم شراؤه من الصين،[8] ويبدو أن لهذه الأحجار قيمة تجارية وفنية كبيرة عند المسلمين، فهي تستخدم في مجالات الزينة والفن والتصميم العمراني التي اشتهر بها المسلمون. ويوفر هذا المجال

---

[1] Schdimore, China: The Long Lived Empire , p.194

[2] IBID, p.194

[3] Schdimore, China: The Long Lived Empire, p.194.

[4] الإدريسي، نزهة المشتاق، جـ1، ص 521.

[5] البلور، هو حجر يورقي وأصله البوقوتية به أعراض عن بلوغ رتبة الياقوت، ينظر: القلقشندى، صبح الأعشى، جـ2 ، ص120.

[6] القلقشندى، صبح الأعشى، جـ2 ، ص120.

[7] البادزهر الحيواني، هو حجر خفيف هش ، ينظر: القلقشندى، صبح الأعشى، جـ1، ص 124.

[8] القلقشندى، صبح الأعشى، جـ1، ص 124.

من العمل للمسلمين المقيمين في الصين مصدر كسب لعلمهم بأهمية هذه الأحجار في بلاد المسلمين.

أما عن اللؤلؤ، فقد عرفت الصين بصناعته منذ زمن بعيد، و اشتهرت منطقة " تاي بو " (Tai bu) في بداية القرن الثاني الهجري=الثامن الميلادي بالعمل في مجال اللؤلؤ[1]. وفي عام (294 هـ=907م) أسس إمبراطور الصين مؤسسة لاحتكار اللؤلؤ في الصين.[2]

وقد تحدث المقدسي عن لؤلؤ الصين فقال: " وليس يوجد اللؤلؤ والجوهر في عذاب البحور إلا في بحر الصين فإن ماءه عذب ويوجد فيه اللؤلؤ."[3] ولأن اللؤلؤ يعد من الأشياء القيمة والمهمة، فمن المتوقع أن يكون المسلمون قد عملوا في مجال جمعه و تجارته وتصنيعه.

ويلاحظ أن المؤرخين المسلمين قد اهتموا بذكر هذه الأحجار الكريمة، وتحدثوا عن تجارتها، مما يؤكد أهميتها في توضيح العلاقات التجارية بين الصين و العالم الإسلامي. ولربما لعب مسلمو الصين دوراً مهماً في تجميع ونقل الأحجار الكريمة مثل اللازورد والبلور للتجار المسلمين من أجل بيعه وترويجه في العالم الإسلامي .لأن مثل هذا العمل يتطلب معرفة دقيقة ووثيقة بالسوق المحلي، ولا يكون مناسبا له إلا من يعيش في المجتمع المحلي ويعرف مصادر الأحجار الكريمة. ولربما عمل مسلمو الصين في هذه المجال كوسطاء بين التجار المسلمين القادمين للصين وبين الصينيين الذين يعملون في مجال تجارة الأحجار الكريمة.

ولقد اشتهرت الصين بأنواع متعددة وشهيرة من العود، وجلبت من الصين إلى العالم الإسلامي، ومنها العود الصنفي[4] "وهو ما يجلب من بلد يقال لها الصنف[5] ببلاد الصين،" [6]وله رائحة جميلة وعبقة،[7] وعود العطلى الذي " يؤتى به من الصين،"[8] وعود الأفليق " وهو يؤتى به من أرض الصين."[9] ويبدو أن العرب والمسلمين قد اهتموا كثيراً بالأعواد الصينية وأنواعها المختلفة، وبرعوا في معرفة أنواعها ومدى جودتها وهو أمر يتطلب دراية وخبرة.

---

[1] Bowman, Columbia Chronology, p238.
[2] IBID , p238.

[3] المقدسي، البدء والتاريخ، جـ4، ص57.
[4] عود صنفي: نوع من الطيب للبخور، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج9، ص 199.
[5] الصنف: مدينة ساحلية على سواحل بحر الصين، ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ج1، ص85.
[6] القلقشندى، صبح الأعشى، جـ2، ص135.
[7] م.ن.، جـ1، ص135.
[8] م.ن.، جـ1، ص137.
[9] م.ن.، جـ1، ص137.

ومن المؤكد أن مسلمي الصين قد اهتموا بجلب وتجميع أصناف العود و تاجروا بها مع العالم الإسلامي، إذ أبدى المسلمون والعرب اهتماماً بالغاً بالعود وبرائحته الجميلة في البيوت وللثياب.

أما عن المسك، فإن مهنة استخراجه[1] لها عراقة قديمة في الصين والتبت،[2] وقد ذكرت رحلة السيرافي المسك وأشارت إلى أن المسك التبتي أفضل من الصيني، لأن ظباء المسك في التبت تأكل السنبل، أما ظباء الصين فتأكل الحشيش،[3] ويبدو أن المسلمين اهتموا كثيراً بجلب أجود أنواع المسك من الصين.[4]

ولقد اشتهر ميناء خانفو العظيم بتجارة المسك، حيث حمل التجار المسلمون المسك إلى سائر العالم الإسلامي، وقد ذكر القلقشندى أن أفضل المسك ما يأتي عن طريق خانفو، وهذا يدل على معرفة التجار المسلمين المحليين بالمسك، حيث عملوا في بيعه وتصديره للعالم الإسلامي، ومن المتوقع أن يكون لتجارة المسك موقعاً مهماً في حياه المسلمين المقيمين في الصين، لأن المسك كما عرفنا مادة قيمة، ولها أنواع متعددة ومختلفة الروائح والخواص ومن الصعب الحصول عليها، وقد اهتم مسلمو الصين بالتجارة في المسك مع العالم الإسلامي لأن المسلمين يقبلون على استخدامه بكثرة.[5]

---

[1] المسك، هو فضل دموي يتجمع من جسم الظبي إلى سرتها بمنزلة المواد التي تنصب إلى الأعضاء في كل سنة في وقت معلوم فيقع الورم في سرتها ويجتمع إليها دم غليظ أسود ليسقط عنها؛ ينظر: القلقشندى، صبح الأعشى، جـ1، ص128.

[2] التبت، مملكة متاخمة لمملكة الصين ومتاخمة من إحدى جهاتها لأرض الهند ومن جهة المشرق لبلاد الهياطلة ومن جهة المغرب لبلاد الترك ولهم مدن وعمائر كثيرة، ينظر: ياقوت، معجم البلدان، جـ2، ص10.

[3] السيرافي، رحلة السيرافي، ص75؛ القلقشندى، صبح الأعشى، جـ1، ص128.

[4] القلقشندى، صبح الأعشى، جـ1، ص128.

[5] م.ن.،جـ1،ص 128.

الفصل السادس

الحياة الاجتماعية

المبحث الأول: العادات و التقاليد

- **المأكل**
- **الملبس**
- **الأثر الإسلامي في عاداتهم و تقاليدهم**

المبحث الثاني: العلاقات الاجتماعية بين المسلمين وغيرهم.

المبحث الثالث: النشاط العلمي و الثقافي و الفكري لمسلمي ا لصين

المبحث الرابع: الحياة الدينية لمسلمي الصين

المبحث الأول

العادات والتقاليد

عاش المسلمون داخل المجتمع الصيني، وكانت لهم حياتهم الاجتماعية الخاصة، ويتميزون بعادات و تقاليد تتفق مع دينهم وقيمهم، فبالنسبة للطعام، فيبدو أن الدجاج والأوز كانا من أكثر الأطعمة شهرة عند مسلمي الصين.[1] فعندما وصل ابن بطوطة إلى إحدى المدن الصينية جاء أميرها المسلم ويدعى الأمير الكبير قرطي بالطباخين المسلمين فذبحوا وطبخوا الطعام،[2] وكان أكثر ما استعمل خلال هذه المأدبة هو الدجاج والأوز والذي كان من الحجم الكبير، حتى ظن ابن بطوطة أنها نعام من كبر حجمها، وقد ذبحت وفق الطريقة الشرعية للمسلمين في الذبح و التي تختلف عن طريقة الصينيين.[3]

ولذلك حرص التجار المسلمون الذين زاروا الصين خلال تجارتهم أو أسفارهم أن يمكثوا خلال إقامتهم في فنادق إسلامية أو منازل تعود للمسلمين.[4] ويتم تزويد التاجر بلوازم الأكل والشرب وما يحتاج إليه عن طريق صاحب الفندق المسلم.[5] وكان الأوز والدجاج من أكثر المأكولات التي يتم تزويد التاجر المسلم بها عند إقامته في الصين.

ومن خلال تعايش المسلمين في المجتمع الصيني، فقد أثروا على نوع الطعام عند الصينيين. ومن أكثر المأكولات انتشاراً في الصين خلال القرن (الثاني الهجري/ الثامن الميلادي) "الكعك والسمسم،" وقد أتت عن طريق " أجانب من غرب آسيا."[6] وهناك رواية مشهورة عن عاشق صيني كان قد عاد من لقاء صديقته في الصباح الباكر، فوجد باب الحي لم يفتح بعد، فانتظر عند بائع جوال يبيع هذا الكعك. و اشترى كعكة حتى فتح الباب في الصباح الباكر،[7] وهي قصة معروفة عند الصينيين لأن الكعك بالسمسم اعتبر شئ جديد وغريب على عادات الأكل الصيني التقليدية آنذاك، وفي الوقت نفسه تعبر عن حقبة اجتماعية قديمة، لأن الصين بدأت منذ ذلك الوقت ولأول مرة تستورد تقاليد أجنبية انتشرت في الأسواق المحلية.

---

[1] القلقشندى، صبح الأعشى،ج4، ص 478؛ ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، جـ2، ص 72.

[2] ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة،جـ2،ص730

[3] م.ن.، جـ2، ص718.

[4] بن الأزرق، بدائع السلك، جـ1، ص402.

[5] م.ن.، جـ1، ص402.

[6] Schafer Edward, The Golden Peaches Of Samarkand, P.29.

[7] IBID, P.29.

لقد اختلفت عادات الأكل عند المسلمين الصينيين المقيمين هناك، فمثلاً عرف عن الصينيين بأنهم يأكلون الميتة،[1] وأن شرابهم النبيذ " المعمول من الأرز."[2] وهم يأكلون أيضاً لحوم الخنازير والكلاب، ويعد الأرز طعام أساسي عند الشعب الصيني، فقد ذكرت مصادر صينية أولية أن معدل استهلاك الإنسان الصيني للأرز خلال (القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي) كان يعادل حوالي كيلو جرام واحد يومياً.[3]

فهو عنصر الأكل الأساسي عند الصينيين، ويرجع ذلك إلى أنه العنصر الأساسي أيضاً في المنتج الزراعي الصيني، وهذا ما جعل المسلمين المقيمين في الصين يعدونه أيضاً عنصراً أساسياً في غذائهم.

كما أحب المسلمون أكل اللحوم، فقد ذكر أحد الرحالة القساوسة خلال (القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي) أن سكان المدينة التي زارها في الصين كانوا يحبون أكل اللحم وخاصة يوم الجمعة تقليداً لطبع العرب المقيمين هناك.[4]

وقد ذكر أن أميراً صينياً كان يفضل الجلوس في خيمة أقامها وسط إحدى ساحات القصور، وكان يقوم " بقطع لحم الغنم المغلية بسيفه مثل الأتراك،"[5] لقد كان أكل الغنم عادة غريبة عند الصينيين، إلا أن هذه الرواية تبين أن الأجانب ومنهم المسلمون قد أضافوا أكل لحم الغنم إلى موائدهم.

وكانت هذه العادة أكثر انتشاراً في المناطق الغربية من الصين وذلك لقربها من الشعوب التركية المجاورة لها، ففي عام 435 هـ=1043م، ذكر أن أعداداً كبيرة من شعوب كاشغار وبلاد ساعور قد دخلوا الإسلام.[6] واحتفالاً بذلك ضحى السكان هناك بذبح عشرين ألف رأس غنم يوم عيد الأضحى،[7] وكان لهؤلاء المسلمين من نواحي الصين الغربية أثراً في عادات وتقاليد الصينيين المجاورين لهم، ويبدو أن لحم الغنم كان أيضاً عنصراً مهماً في طعام الشعوب الواقعة إلى الغرب من الصين.

---

[1] السيرافي، الحسن، رحلة السيرافي، ص32-33.
[2] م.ن.، ص32.
[3] Bowman , John , Columbia Chronology , p107.
[4] Dawson , The Mongol Mission , p.145.
[5] Schafer Edward, The Golden Peaches Of Samarkand, P.29.
[6] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ8 ، ص265.
[7] م. ن ، جـ8، ص265.

لقد عرف عن الصينيين بعض العادات في الأكل مثل أن الصبي لا يقعد بين يدي الأب ولا يأكل معه احتراماً وإجلالاً له.[1]

وكذلك أن الصينيين لا يرون "حبس الريح في أجوافهم لأنه داء يؤذي ولا يحتشمون من إظهارها في سائر أحوالهم."[2]

أما عن عادات المشرب عند الصينيين فقد اشتهروا بشرب الشاي، إذ ذكرت مصادر الصين التاريخية الأولية أن شرب الشاي[3] كان قد بدأ فعلاً في الصين في القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، وأصبح شربه منتشراً على مستوى المجتمع بأكمله.[4] وقد عدوه آنذاك دواء.[5]

وقد تميز المسلمون الذين عاشوا في الصين في بادئ الأمر بلباس اختلف عن ما هو معروف في المجتمع الصيني، واللباس هو أحد مظاهر الحضارة التي يتأثر بها أي مجتمع وأي مجموعة عرقية أو أجنبية تعيش داخل المجتمع.

ففي مجتمع عهد أسرة التانغ ، كانت الصين تتمتع بازدهار اقتصادي وثقافي، وتعرف الصينيون على أنواع مختلفة من اللباس عن طريق التجار والزوار الأجانب الذين عاشوا بينهم، فقد تأثروا باللباس الفارسي والتركي منذ بداية القرن الثاني الهجري= الثامن الميلادي،[6] حتى أن النساء الصينيات من طبقة النخبة في المجتمع الصيني حاولن تقليد زي النساء الفارسي الذي كان يغطي معظم الجسم مع خمار يغطي الوجه،[7] ولعل هذا يوافق ما ذكر في رحلة السيرافي "وأهل الصين أجمل من أهل الهند وأشبه بالعرب في اللباس،"[8] ويبدو أن اللباس الصيني في القرنين الثاني والثالث الهجريين/ الثامن والتاسع الميلاديين كان شبيها باللباس العربي.[9]

"وهم في هيئتهم وفي مواكبهم شبيه العرب يلبسون الأقبية،"[10] حتى أن النساء الصينيات[11] عندما قلدن اللباس الفارسي استخدمن الخمار لتغطية الوجه وذلك لصرف الأنظار التي قد تحدق بهن في الأسواق.[12]

---

[1] المقدسي، البدء والتاريخ، جـ4، ص19.
[2] المسعودي، مروج الذهب وجوهر المعادن، جـ1، ص207.
[3] ينظر: ملحق 1-6، لوحة تاريخية عن صناعة الشاي في الصين.
[4] Bowman , John , Columbia Chronology , p.105.
[5] IBID , p.105.
[6] Schafer Edward, The Golden Peaches Of Samarkand, P.28.
[7] IBID, P.28.
[8] السيرافي، رحلة السيرافي، ص50.
[9] م.ن.، ص51.
[10] م.ن.، ص51.
[11] ينظر: ملحق 2-6، لوحة فنية تاريخية لنساء صينيات بلباس تقليدي إسلامي.
[12] Schafer Edward, The Golden Peaches Of Samarkand, P.29

لكن في القرون التالية، تغيرت هذه العادة وأصبح الزي الأجنبي المشهور هو الزي التركي،[1] وأصبحت النساء الصينيات يكشفن عن رؤوسهن،" ونساؤهم يكشفن رؤوسهن ويجعلن فيها الأمشاط فربما كان في رأس المرأة عشرون مشطا من العاج."[2] ويبدو أن المناطق القريبة من الأتراك على الحدود الغربية للصين قد تأثر ملبسها تأثراً كبيراً. " وزيهم (الصينيون) وزي الأتراك سواء لا فرق بينهم في ذلك."[3] ويضيف الإدريسي: "وأهل الصين في هذه الجهة زيهم زي الأتراك من اللباس والركوب وآلات الحروب."[4]

فمن الوصف السابق لطريقة اللباس عند الصينيين، ومقارنته مع أزياء من ثقافات أخرى مثل العرب والفرس والأتراك، يتضح لنا أن المسلمين والعرب الذين أقاموا في الصين قد تشابهت طرق لباسهم مع الصينيين على مدى قرون من الزمن، حتى أن نساء الصينيين حاولن تقليد اللباس الإسلامي الفارسي والتركي القريب من حدود الصين الغربية، وهنا نلاحظ أن المسلمين لم يحافظوا على عاداتهم في الملبس وحسب، بل نالوا ثقة وإعجاب الصينيين الذين انبهروا بهم وقلدوهم في ملبسهم. ويبدو أن أهل الصين كانوا يفضلون الملابس ا لحريرية، "وعامة لباسهم الحرير والديباج والفرو، ومن هيئتهم في اللباس توسيع الأكمام وتطويل الذيول،"[5] فالحرير هو منتج صيني منتشر في الصين وكان أهل الصين يلبسون الحرير بكثرة،[6] وقد ذكر ابن بطوطة أن الحرير في الصين لباس الفقراء و المساكين وذلك بسبب كثرته، وأن الذي جعل له قيمة كبيرة هم التجار ا لمسلمون الذين كانوا يشترونه ويصدرونه بكميات كبيرة،[7] ولابد أن رخص أسعار الحرير قد دفعت النساء المسلمات الصينيات إلى لبسه، لكننا نستبعد أن يكون رجال المسلمين قد لبسوه لأنه حرام عليهم، إذ يقول النبي صلى الله عليه وسلم: " من لبس الحرير في الدنيا فلن يلبسه في الآخرة."[8]

وقد ذكر ابن بطوطة أن التجار العرب والفرس في الصين كانوا يلبسون الفراء وخاصة المصنوع من فراء حيوان صغير يجعلون فراءه وجلده متصلاً ببعضه البعض، وهو تقليد للباس بعض الرجال الصينيين الذين يلبسون هذا النوع من الفراء، وهو لباس باهظ الثمن، ولا يقدر على شرائه إلا الأغنياء والتجار.[9]

---

[1] Schafer Edward, The Golden Peaches Of Samarkand , p.29

[2] السيرافي، رحلة السيرافي، ص51.

[3] الإدريسي، نزهة المشتاق، جـ2، ص213.

[4] م.ن.، جـ1، ص519.

[5] المقدسي، البدء والتاريخ، جـ4، ص61.

[6] ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، جـ2، ص718.

[7] م.ن.، جـ2، ص718.

3 صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب لبس الحرير و افتراشه للرجال وقد ما يجوز منه، ص1139، رقم الحديث 5832.

[9] ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، جـ1، ص275.

ومع استمرار تواجد المسلمين في الصين وبعد أن أصبح الكثير منهم جزءاً لا يتجزأ من المجتمع الصيني، فقد أصبح اللباس في القرون اللاحقة متشابهاً بين المسلمين والصينيين.[1] إذ ذكر أن أحد النصارى المبشرين والذي عاش في الصين خلال القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، تحدث عن سفره إلى الصين، ووصف لباس المسلمين هناك، إذ ذكر أنهم كانوا يلبسون غطاء أبيض اللون على الرأس"العمامة،"[2] وهو ما كان يميز المسلمين عن الصينيين.

لقد كان للإسلام أثراً واضحاً على مسلمي الصين في عاداتهم وتقاليدهم ، فمع تزايد عدد المسلمين في الصين خلال عهدي التانغ والسونغ، فقد أصبح الأثر الإسلامي متزايداً وواضحاً في حياتهم اليومية مثل الأكل والزواج ومراسيم الدفن والطهور،[3] وقد تزايد عدد المسلمين في الصين وخاصة في بداية القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، وأصبحت تقاليدهم وعاداتهم لها طابعها الإسلامي الخاص[4].

ومن المعروف عن عهد أسرة التانغ الانفتاح الكبير نحو الأجانب والأقليات التي عاشت في الكثير من المدن الصينية، وقد أبدى المجتمع الصيني انفتاحاً ملحوظاً وإيجابياً نحو التقاليد والعادات القادمة من خارج الصين،[5] حتى أن الصينيين أنفسهم قلدوا لباس المسلمين، فالنساء الصينيات من الطبقة الغنية في المجتمع الصيني لبسن الخمار وأطلقن عليه اسم "mi-li"[6]، تقليداً لنساء المسلمين اللاتي تميزن به و حافظن عليه.

ولقد عرفت المناطق التي تواجد فيها المسلمون، بتميز رجالها المسلمين بلحى طويلة تفرقهم عن وجوه الصينيين الأكثر نعومة.[7]

ولقد وصل التأثير الإسلامي إلى استخدام الوجوه العربية وعادات المسلمين في أعمالهم الفنية،[8] فوجود التجار العرب و المسلمين الذين توطنوا في الصين قد ترك أثراً وانطباعاً ملحوظاً في المجتمع الصيني مما جعل الفنانين يتأثرون بالمظاهر الإسلامية في مجتمعهم وفي مختلف جوانب الحياة اليومية. فهناك الكثير من الصور والرسومات الفنية التي رسمت خلال القرنين الثالث و الرابع الهجريين/ التاسع والعاشر الميلاديين، قد اشتملت على وجوه عربية ومظاهر حياتية.[9]

---

[1] Fitzgerald, Flood Tide in China, P.329.
[2] IBID, p. 329.
[3] Ching , Julia , Chinese Religion, p.181.
[4] IBID , p.181.
[5] Fitzgerald, Flood Tide in China, p.367; Schafer Edward, The Golden Peaches Of Samarkand, P30.
[6] Schafer Edward, The Golden Peaches Of Samarkand ,p.28.
[7] Fitzgerald , Flood Tide in China, P.329
[8] Scott , hugh , The Golden Age of Chinese Art , p.136.
[9] IBID , p.130.

ولقد تحدث ابن بطوطة عن كرم و نخوة مسلمي الصين خلال رحلته إليها، فقال:

"إذا قدم عليهم المسلم فرحوا به أشد الفرح وقالوا جاء من أرض الإسلام،"[1] وهذا يدل على الروح الإسلامية العالية عند مسلمي الصين.

ولقد وصل الأمر بهم إلى أن يعطوا زكاة مالهم للمسلم الزائر حتى " يعود غنياً مثلهم."[2]

وكان الكثير من التجار العرب والمسلمين يختارون الفنادق الإسلامية أو السكن عند مسلمين خلال زيارتهم وتجارتهم في الصين،[3] حيث يقوم صاحب الفندق المسلم هذا بشراء ما يحتاجه المسلم الزائر.

---

[1] ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، جـ2، ص722.

[2] م.ن. ج2، ص722.

[3] م. ن، جـ2،ص721.

المبحث الثاني
العلاقات الاجتماعية بين المسلمين وغيرهم

خلال عهد أسرة التانغ وبالأخص في القرنين الثاني والثالث الهجريين/ الثامن والتاسع الميلاديين، تميزت العلاقات الاجتماعية بين المسلمين والمجتمع الصيني بعلاقات منفتحة واهتمام متبادل،[1] فالجالية العربية والإسلامية التي عاشت في العاصمة خمدان في عهد التانغ، كانت جالية كبيرة وتمتعت بنفوذ تجاري قوي،[2] وكانت حياة العاصمة مليئة بالحيوية، مفعمة بثقافة منفتحة على العالم وخاصة مع دول عالمية تتمتع بقوة ونفوذ مثل عاصمة الخلافة العباسية في بغداد،[3] وقد أدى الازدهار الاقتصادي والاستقرار السياسي في عهد التانغ إلى توجه الكثير من المجتمع الصيني للاهتمام بكل ما هو أجنبي، حيث حرص أبناء الطبقة الغنية من المجتمع الصيني على شراء لوحات فنون تظهر خصائص ومظهر الأجانب في المدن الصينية، وبالأخص العرب والفرس والمسلمين وغيرهم من المسلمين.[4]

لقد انخرط مسلمو الصين بعد مرور قرون عدة على وجودهم في تلك البلاد بالمجتمع الصيني، فتأثروا بعاداتهم وتقاليدهم وتكلموا بلغتهم وتسموا بأسمائهم، لكنهم حافظوا على شعائرهم الدينية وعاداتهم المرتبطة بشريعتهم.[5]

ولم يعد المجتمع الصيني يسمي المسلمين بالعرب أو الأجانب كما كان معهوداً في القرنين الثاني والثالث الهجريين/الثامن والتاسع الميلاديين، بل أطلق عليهم اسم صيني ما زال اسمهم إلى الآن هوي (Hue hui).[6]

لقد اشتهر عهد التانغ بأنه العصر الذهبي للصين، وأن من أهم مزاياه الانفتاح على ثقافات العالم والنشاط التجاري مع دول كثيرة، وكذلك العلاقات الاجتماعية مع الأجانب والتجار المقيمين في الصين، وهذا ينطبق على الجالية الإسلامية التي ربطت أبناءها علاقة اجتماعية إيجابية مع المجتمع الصيني، ففي هذا العهد تم ولأول مرة تأليف قاموس صيني تركي، أفاد منه طلبة صينيون اهتموا باللغة التركية،[7]

---

[1] Fitzgerald, Flood Tide in China, P.369.
[2] Holcombe , Charles , Southern Integration , p.59.
[3] Fitzgerald , Flood Tide in China, P.369; Holcombe , Charles , Southern Integration , p.59.
[4] Fitzgerald, Flood Tide in China, P.368.
[5] Esposito, Islam in Asia, P.141.
[6] IBID, p.141.
[7] Schafer Edward, The Golden Peaches Of Samarkand ,p.28.

حتى صار منهم شعراء ألفوا قصائد باللغة التركية،[1] ولعل سبب الاهتمام باللغة التركية هو الواقع الجغرافي، إذ أن معظم حدود الصين الغربية تشاركها شعوب وقبائل من أصل تركي، وكانت هذه الشعوب مقيمة على طول طريق الحرير التجاري الشهير الذي ربط العالم الإسلامي بالصين تجارياً وثقافياً. إن الاهتمام باللغة التركية وظهور قاموس تركي صيني يدل على عمق الروابط الثقافية بين الصينيين والجالية الإسلامية وتطورها.

لقد عاش مسلمو الصين في مجتمع تؤمن الأكثرية منه بالكونفيوشية،[2] وهي العقيدة ومنظومة القيم عند الصينيين، وقد اهتم الكثير من مفكري الصين بإيجاد عوامل مشتركة تجمع بين الإسلام والكونفيوشية.[3] فهناك مثلاً المفكر وانغ تاي يو (wang tai-yu) وأيضا المفكر ليو تشيه (liu chih) اللذان اجتهدا في إيجاد القيم والعوامل المشتركة التي تجمع بين الإسلام والكونفيوشية، وقد ركز المفكران الصينيان على القيم الأخلاقية التي تجمع وتحكم العلاقات الاجتماعية داخل المجتمع،[4] وهذا يدل على الاهتمام بالعلاقات الاجتماعية والتي عادة تؤسس على القيم الدينية والروحية، ويلاحظ أن الصينيين والمسلمين قد وجدوا في الدين الإسلامي والكونفيوشية عوامل وقيم مشتركة تجعل العلاقات الاجتماعية بينهم مبنية على أسس وقيم راسخة في الوجدان الإسلامي والصيني معاً، مما ينعكس عملياً على العلاقات الاجتماعية اليومية بين المسلمين والصينيين.

وهناك رواية ترجع إلى بداية القرن السادس الهجري=الثاني عشر الميلادي تبين أن أحد التجار العرب قد قرر التبرع ببناء مقبرة في مدينة قوانزهو لدفن الموتى من التجار الأجانب، وقد استغرق بناء المقبرة عام كاملا وكان ذلك في عام (558هـ= 1163م)،[5] وقد ذكر أن المقبرة تم بناؤها على تلة في الجانب الشرقي من مدينة قوانزهو،[6] و قد سمحت السلطات الصينية ببناء المقبرة في المدينة لوجود تجار عرب ومسلمين، إذ تفهمت السلطات الصينية والمجتمع الصيني أهمية مثل هذه المقبرة بالنسبة للمسلمين والتجار،[7] كما أرادت تلك السلطات تشجيع التجارة مع العالم الإسلامي من خلال هذا الاحترام لدين المسلمين و مشاعرهم، فمثل هذا المشروع يعزز التفاهم الاجتماعي بين المسلمين والصينيين ويخلق جو أفضل.

---

[1] Schafer Edward, The Golden Peaches Of Samarkand , p.28.

[2] الكونفيوشية، هي عقيدة ومنظومة قيم أخلاقية تعتبر الأهم في المجتمع الصيني وأسسها كنفيوشس في القرن الرابع قبل الميلاد، و للمزيد عن حياة كونفيوشس، الفيلسوف والمعلم الصيني، ينظر:
Kelen, Betty, Confucius, (Graham Brash, Singapore), 1992.

[3] Ching , Julia , Chinese Religion , p.182.

[4] IBID. p.182.

[5] So Kee-Long , Dissolving Hegemony, p.152.

[6] IBID. p.153.

[7] IBID. p153.

وأما عن العلاقات الاجتماعية في القرن السابع الهجري = الثالث عشر الميلادي، فقد سيطر المغول على الصين بالكامل تحت قيادة قبلاي خان،[1] وأصبح حفيد جنكيز خان إمبراطور الصين بلا منازع، [2] ومع سيطرة المغول على الصين، شهدت الصين تدفقاً واسعاً لمهاجرين جدد، وكذلك لجنود مرتزقة حاربوا مع قبلاي خان.[3]

وحاول المغول منذ بداية حكمهم للصين إبعاد أصحاب القرار من أصل صيني عن مناصب الدولة المهمة، وتم إعطاء المناصب الحساسة في الدولة للأجانب ومنهم الكثير من المسلمين،[4] وقد جعل هذا الصينيين لا يثقون كثيراً بالأجانب، فقد استطاع قبلاي خان السيطرة، وحكم الشعب الصيني المكون آنذاك من سبعين مليون نسمة من خلال جيشه وعدده ثلاثمائة ألف جندي منتشرين في جميع أنحاء الصين .

ومع هذا التطور والتغيير التاريخي في الصين، لوحظ أن المجتمع الصيني قد تأثر بالحكم المغولي الجديد اجتماعياً، إذ أصبح مسلمو الصين يميلون إلى نزعة أقوى من أجل التمسك بالهوية الإسلامية وخاصة في المناطق الغربية من الصين.[5] فقد تحول الكثير من شعوب المناطق الحدودية الغربية للصين إلى الإسلام،[6] وارتبطت هذه الشعوب مع القبائل التركية والشعوب الغربية من الصين والواقعة على طريق الحرير .

وقد تحدث أحد المبشرين النصارى في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي عن سكان مناطق غرب الصين، وكيف أن الكثير منهم قد " تحولوا ليؤمنوا برب واحد مثل العرب،"[7] وأن الكثير من السكان المحليين يسكنون جنباً إلى جنب مع العرب،[8] فقد كانت الأسواق العربية في مدينة قراقرم الغربية من الصين عامرة بالتجارة النشطة.[9]

ويبدو أن هذه المناطق بالذات قد عاشت نفوذاً إسلامياً أقوى من غيرها من مناطق الصين الأخرى، وأن الكثير من الصينيين تحولوا للإسلام، وهذا يضيف للحياة الاجتماعية تغيراً جديداً،

---

[1] قبلاي خان، حفيد جنكيز خان، استطاع إخضاع الصين تحت سيطرته في عام 669 هـ/ 1270م، وقد عرف باسم خبلاي ستيشن باللغة المغولية، ينظر: Lattimore, Hugh , Inner Asian Frontier of China, p.501

[2] Fitzgerald, C.P. , Flood Tide in China, P.321.

[3] IBID, p.321.

[4] Paul, Cedar , The Mongol Empire, p.331.

[5] Lattimore , Hugh , Inner Asian Frontier of China, p.501.

[6] IBID, p326.

[7] Dawson, The Mongol Mission, p.142.

[8] IBID , p.142.

[9] IBID , p.142.

وهو عنصر الدين الإسلامي، الذي بدأ يوحد تلك الشعوب تحت شريعة واحدة وحياة اجتماعية واحدة.

وفي تلك الحقبة نفسها، روى لنا ابن بطوطة عن زيارته لإحدى المدن الصينية وكيف أن الصينيين والمسلمين قد عاشوا في المدن نفسها لكن في أحياء مختلفة. " ويسكن داخل السور الثالث المسلمون وهنالك نزلنا عند شيخهم ظهير الدين القرلاني، ويسكن داخل السور الرابع الصينيون، وهو أعظم المدن الأربعة."[1]

ففي هذه الرواية، لم يذكر ابن بطوطة عن مشاكل اجتماعية بين المسلمين والصينيين، بل لقد تحدث عن مدى ضيافة وحسن معاملة أمير المدينة الصيني عند علمه بقدوم ابن بطوطة، وكذلك وجه قاضي المدينة دعوة للزائر المسلم ابن بطوطة إلى مدينتهم،[2] وهذا يدل على أن العلاقات الاجتماعية بين المسلمين والصينيين كانت قوية، ولو كان الحال عكس ذلك، لتحدث ابن بطوطة في رحلته عن مشاكل اجتماعية أو اضطرابات بين المسلمين والصينيين، ولاسيما أن ابن بطوطة معروف بغيرته على الإسلام والمسلمين.

---

[1] ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، جـ2، ص725.
[2] م.ن.، جـ2، ص725.

المبحث الثالث

النشاط العلمي و الثقافي و الفكري لمسلمي الصين

شهدت الصين في عهد التانغ تطورات علمية هائلة وازدهار ثقافي كبير، وكان للعرب والمسلمين إسهاماتهم وبصماتهم الواضحة في مختلف العلوم في تلك المرحلة من تاريخ الصين، فقد أبدع المسلمون في مجال الكيمياء، واهتموا بشكل خاص في أنواع المعادن المختلفة.[1] وعبر طريق الحرير نقل التجار العرب العلماء الكثير من المعرفة المتعلقة بالكيمياء إلى أوروبا.[2]

وكانت العاصمة خمدان مقراً عالمياً لمختلف العلوم، ففي منتصف القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، تم تأسيس الكلية الإمبريالية في المدينة. وأصبحت هذه الكلية من أشهر مصادر العلم والمعرفة داخل الصين والبلاد المجاورة، إذ وصل عدد الطلبة من اليابان وكوريا وكمبوديا إلى أكثر من ثمانية آلاف طالب في جامعة واحدة في خمدان.[3]

وقد اشتهر آنذاك الإمبراطور مينغ هوانج (Ming Huang) بالعبقري لأنه جعل من خمدان "العاصمة الأكثر حضارة في العالم."[4] وأكد السيرافي على أن " الفقير والغني من أهل الصين والصغير والكبير يعلم الخط والكتابة."[5]

و يبدو أن المسلمين قد وجدوا في هذا التقدم العلمي الذي يوافق ما يدعو إليه دينهم مجالاً للإسهام في الفكر وا لثقافة داخل المجتمع ا لصيني، وهناك مقولة " أنه لو سافر رجل إلى الصين حتى يحصل على تفسير محمد بن جرير لم يكن كثيراً."[6]

ومع تزايد النشاط الفكري و الثقافي لمسلمي الصين، تراجعت الديانة البوذية والفن البوذي تراجعاً كبيراً، فعلى سبيل المثال، تم تدمير الكثير من الأصنام البوذية والفن البوذي،[7] وقد يرجع ذلك إلى القناعة لدى الذين اعتنقوا الإسلام بعدم أهمية الأصنام والفن البوذي، وذلك لأن الإسلام يمثل نهج وفكر يختلف عن البوذية.

أما عهد حكم السونغ للصين، وخصوصاً القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي،فقد شهد أعظم إبداعات الشعب الصيني في مجال العلوم والثقافة والتقدم العلمي،[8] لقد كانت الصين في

---

[1] Williams Edward, A Short History Of China , p.160.
[2] IBID , p.160.
[3]Williams Edward, A Short History Of China , p.160.
[4] Fitzgerald, Flood Tide in China, p.338.

[5] السيرافي، رحلة السيرافي، ص40.
[6] الذهبي، سير أعلام النبلاء، جـ14، ص272.

[7] Fitzgerald , Flood Tide in China, P.359.
[8] Findling , John , The History of China , p.78.

هذه المرحلة من تاريخها تعاني من تهديدات خارجية تهدد وحدتها وقوتها، لكن الاستقرار الداخلي كان أشد قوة وأكثر عمقاً.[1] لقد مهد الاستقرار إلى الإبداع العلمي والتكنولوجي والاقتصادي في الصين، وفي عام (537هـ= 1142م) أسست الجامعة الوطنية في Quanzhou[2].

وقد عرف أن أحد حكام عهد السونغ وهو الإمبراطور Huizong كان أكثر الحكام ثقافة، فقد تربع على عرش الصين من (493 هـ–519 هـ =عام 1100 م–1126م)، وأسس أكاديمية مزدهرة للفنون، تضم أكر من ستة آلاف لوحة فنية، ولذلك اعتبر هذا الإمبراطور رائداً للنهضة في الصين آنذاك.[3]

ونذكر هنا انجازات عهد السونغ في الصين لما شهده هذا العهد من تطور علمي وثقافي في مرحلة مهمة من تاريخ الصين، وطالما أن هناك مسلمين مقيمين في الصين سواء مهاجرين جدد أو منحدرين من أصل صيني، فهم جزء لا يتجزأ من المجتمع الصيني، خاصة ونحن نتحدث عن القرن الثاني عشرالميلادي أو حتى الحادي عشر الميلادي، فقد مرت قرون عدة على تواجد المسلمين في الصين، وإن أي حركة علمية أو نهضة ثقافية لا بد أن يكون المجتمع بمختلف شرائحه له دور فيها، وإذا لم تتحدث المصادر عن الإنجازات العلمية للمسلمين الصينيين تحديداً، فإن هذا يرجع إلى أنهم أصبحوا جزءاً من المجتمع الصيني ويعدوا صينيون، وليس إلى غياب دورهم العلمي. لقد مهد النشاط العلمي في عهد السونغ، الذي أسهم فيه المسلمون لنهضة علمية جديدة مزدهرة ظهرت في الصين في العهد المغولي.

أما عن النشاط العلمي والفكري لمسلمي الصين خلال القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي فقد كان لهم دور مميز في النهضة الفكرية والعلمية لدرجة أن هذا القرن يعد العصر الذهبي لمسلمي الصين من الجانب العلمي.[4]

وبما أن هذه الحقبة من تاريخ الصين تميزت بسيطرة المغول على الصين بالكامل، فقد حرصوا على العلم والمعرفة وجلب المعارف والعلوم الجديدة للبلاد.[5] لقد قام قبلاي خان برعاية العلماء والشعراء والمصممين المعماريين والمهندسين والرسامين وجلب الكثير منهم من كافة أنحاء العالم،[6] كما أسس المعاهد والمدارس لتشجيع كافة العلوم على أسس حديثة مثل محطة رصد لدراسات الفضاء وعلوم الهندسة والجبر والجغرافيا والتاريخ. ففي مجال التاريخ شهدت هذه الحقبة

---

[1] Findling , John , The History of China, P.78.
[2] Bowman, John , Columbia Chronology, p.88.
[3] IBID, p.88.
[4] Ching , Julia , Chinese Religion , P.181 ; Schidmore , Eliza , China: the long Lived Empire P.327.
[5] Paul, Cedar, The Mongol Mission, P.327.
[6] IBID, P.327.

أعظم ما أنتجته الحضارة الصينية حيث جرى رصد وتوثيق مفصل ومهم لأحداث الصين المهمة والحياة اليومية فيها خلال القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي [1].

وفي خضم هذه الأجواء من ازدهار العلوم وتشجيع السلطة والحاكم على النشاط العلمي والثقافي، كان للمسلمين النصيب الأكبر من المشاركة الفاعلة والحيوية في تلك النهضة التي شهدتها الصين،[2] فقد وصل للصين الكثير من العلماء المسلمين القادمين من العالم الإسلامي وخاصة من آسيا الوسطى بتشجيع من السلطان الحاكم المغولي[3]. ولقد حظي الكثير من علماء المسلمين بالعناية الفائقة من قبل الإمبراطور، وكذلك تم توفير الحماية اللازمة لهم ليقوموا بأعمالهم وانجازاتهم،[4] وقد قدم هؤلاء العلماء العلوم العربية والمعرفة العربية والإسلامية للصين، وعلى رأسها علم الفلك وأدوات تطبيق هذا العلم.[5]

وكان من أبرز الشخصيات الإسلامية التي اشتهرت في عهد قبلاي المسئول الحكومي الرفيع المستوى أحمد،و الذي عمل كوزير للمالية.[6]

وفي عام (665هـ=1267م)، قام عالم الفلك الفارسي المسلم جمال الدين ببناء محطة رصد لعلم الفلك في مدينة بكين،[7] وبعد ذلك بأربع سنين أسس قبلاي خان المعهد الفلكي الإسلامي، وعين علماء عرب وفرس من الفلكيين، وكان معظمهم من خارج الصين.[8] واستطاع المهندسون المسلمون تصنيع أسلحة متقدمة للجيوش المغولية، وقام أطباء فرس باختراع وتصنيع أدوية جديدة ومستشفيات جديدة، [9] فهناك ذكر لمسلم لمع اسمه في تاريخ الصين وهو سيد أجل شمس، وهو منحدر من أوساط آسيا، وقد عينته السلطات المغولية كحاكم لمقاطعة يونان في الصين، واشتهر بإنجازاته العظيمة في تحديث وتحسين مشاريع الري الزراعية.[10]

أما عن المصممين المعماريين المسلمين، فقد شهد التاريخ الصيني بإنجازاتهم في هذا المجال، فهم الذين صمموا القصر الإمبراطوري الذي ما زال قائماً إلى اليوم في مدينة بكين.[11]

---

[1] HERBERT, Franke, Aspects of Chinese History, P.117.
[2] Ching, Julia , Chinese Religion , P.181.
[3] IBID, P.180.
[4] IBID, P.180.
[5] IBID, P.180.
[6] IBID, P.181.
[7] IBID, P.181.
[8] Bowman, John, Colombia Chronology, P.107.
[9] Ching, Julia, Chinese Religion, P.181.
[10] IBID, P.181.
[11] IBID, P. 181.

وفي هذه الحقبة من تاريخ الصين، أصبح الصينيون تلامذة للمسلمين في كثير من العلوم، وعلى رأسها علم الفلك،[1] لقد تعلم الصينيون من العرب طريقة الحساب الدقيقة في قياس ظاهرة الخسوف وحساب حركة الشمس والقمر، ولقد اشتهر الصينيون بخوفهم الشديد من ظاهرة الخسوف، إذ يقوم الصينيون بضرب الطبول لكي يبعدوا التنين الذي يحاول أن يبلع الشمس أو القمر،[2] وهذه أسطورة صينية تفسر ظاهرة الخسوف، وكيفية التخلص من الخوف.

ويبدو أن المسلمين تمتعوا بمكانة عالية في الصين خلال القرنين السابع والثامن الهجريين/الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين، ويؤكد ابن بطوطة في رحلته المكانة المميزة والعالية التي حظي بها المسلمون في الصين، "وفي كل مدينة من مدن الصين مدينة للمسلمين ينفردون بمساكنها ولهم فيها المساجد لإقامة الجماعات وسواها وهم معظمون محترمون."[3]

ومن الواضح أن دور مسلمي الصين كبير في الإنجازات العلمية والحياة الفكرية، ولعل بسبب ذلك يعود إلى ارتباطهم بالحضارة الإسلامية المزدهرة على مستوى العالم، فالنهضة العلمية والفكرية والإسلامية كانت في قمتها، وأوروبا كانت تعاني من الجهل والظلام والتخلف بما يعرف بعصورها الوسطى.

إن التقدم العلمي للمسلمين فرض الهيبة والاحترام لهم عند حكام المغول، فقد استعانوا بالخبرات العلمية المسلمة والإنجازات الإسلامية الحضارية وجلبوها لبلادهم بهدف التطور والتقدم. كذلك فإن مسلمي الصين الذين مضى على استقرارهم فيها قرون عدة قد حرصوا على دور فكري وعلمي في مجتمعهم، وربما كانوا على تواصل مستمر مع أقرانهم من العلماء في العالم الإسلامي الكبير مما جعلهم يتميزون عن غيرهم من عناصر المجتمع الصيني، فالاحتكاك والتعاون مع علماء خارج المجتمع المحلي يحقق لهم نوعاً من التميز عن الآخرين.

كذلك فإن السلطة الحاكمة المغولية في الصين قد أبدت درجة عالية من الحكمة في رعاية العلم والعلماء، ويتناقض ذلك مع الجرائم البشعة التي ارتكبوها ضد مسلمي بغداد وحضارتها ومكتباتها. أما في الصين، فقد أدرك قبلاي خان بأن حكم النار والحديد وحده لا يكفي. فأراد أن يترك انطباعاً قوياً لدى الصينيين بإنجازاته العلمية، وأن يثبت للصين أن المغول ليسوا أقل حضارة من الصينيين ويثبت ذلك باعتماده على العلماء المسلمين.

---

[1] Schidmore, Eliza, China: The long lived Empire, P.87.
[2] IBID, P.87.

[3] ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة ج2، ص718.

لقد كان لنتائج هذا الإسهام والإسهاب العلمي والفكري للمسلمين في الصين بعداً عميقاً ليس فقط في الصين بل في بلاد ما وراء النهر، فقد توطنت الثقافة الإسلامية في البلاد المجاورة لحدود الصين الغربية، وأصبحت اللغة العربية من العلوم الأساسية بين تلك الشعوب.[1] فلقد لعبت الثقافة الإسلامية دوراً تاريخياً وثقافياً في تذويب الخلافات والصراعات العرقية في مناطق حدود الصين الغربية وبلاد ما وراء النهر،[2] وأصبحت الكثير من تلك المناطق تنتج حركات سياسية وفكرية هائلة كما هو واضح في طبقات الأطباء والحفاظ والفقهاء والشعراء واللغويين والنحاة والمفكرين في بلاد ما وراء النهر، وأيضاً في المناطق المتاخمة لحدود الصين الغربية.[3]

---

[1] محمد حسن أحمد، الإسلام والحضارة العربية في آسيا، ص128.
[2] الجنابي، هيثم، الإسلام في أوراسيا، ص183.
[3] محمد، حسن أحمد، الإسلام والحضارة العربية في آسيا، ص128.

المبحث الرابع
الحياة الدينية لمسلمي الصين

لقد اختلفت الحياة الدينية لمسلمي الصين حسب العصور التي عاشوها في المجتمع الصيني. ففي عهد التانغ، تميزت الحياة الدينية للمسلمين بالعبادة والحفاظ على الواجبات الدينية من صلاة وصوم وزكاة،[1] فالمسلمون في بداية استقرارهم في الصين لم يتمكنوا من تأسيس دار للقضاء الإسلامي،[2] وكانت البداية صعبة لأن أمور الشريعة وتعيين علماء ومسئولين يتطلب ا المزيد من الوقت، ولكن مع مرور الوقت وتعاظم عدد العرب والمسلمين في المدن الساحلية الشرقية من الصين وعلى رأسها مدينة كانتون العالمية ، استطاع العرب المسلمون أن يوحدوا أنفسهم كجالية مهمة وقوية حتى أصبح أكبر ميناء تجاري في الصين بأيدي العرب والمسلمين وبالتالي تم تأسيس نظام الحياة الدينية الإسلامية مبنية على الشريعة والقضاء والفقه وذلك مع بداية القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي.[3]

وفي تلك الحقبة كان القاضي الذي تم تعيينه رسمياً من قبل السلطات الصينية يقوم بعمل واجباته الدينية نحو المسلمين المقيمين في مدينة كانتون، و كانت هذه المهام تشمل إلقاء خطبة الجمعة، وحضور المناسبات الدينية، وبهذا يكون المسلمون هم أول جالية مقيمة في الصين تطبق شريعتها وقوانينها في ظل الحكومة الصينية وداخل المجتمع الصيني. ويعد هذا الأول من نوعه في تاريخ الصين [4].

ويبدو أن تمسك المسلمين بدينهم و زيادة عدد المقيمين منهم بالصين بالإضافة لعدد التجار والزوار القادمين من بلاد المسلمين، جعلت الجالية المسلمة تعمل جدياً في تنظيم حياتهم اليومية والاجتماعية والدينية وفق الشريعة والقيم الإسلامية. لكن العامل الأهم في تصوري هو الحرص الشديد للمسلمين على الالتزام بشريعتهم، واعتبار الخروج عنها من المحرمات التي تجعلهم يفضلون الهجرة من الصين على الوقوع فيها، ومن المتوقع أنهم طالبوا السلطات بقوة باحترام التزامهم بشريعتهم، فاضطرت أمام هذا الحرص والمطالبة، وكذلك المصالح إلى السماح للمسلمين بممارسة شريعتهم واحترامها.

وفي عهد السونغ، استمرت الجالية الإسلامية في النمو، ومعها ترسخت الحياة الدينية الإسلامية، وأصبح المسلمون جزءاً لا يتجزأ من المجتمع الصيني من حيث أسمائهم الصينية

---

[1] Esposito, John, Islam in Asia, P.135.
[2] IBID, P.135.
[3] William, Edward, A Short History of China, P.159; Fitzgerald, Flood tide in China, P.330.
[4] Fitzgerald, Flood Tide in China, P.330.

وأشكالهم، ولم تعد الجالية المسلمة تقتصر على العرب والفرس، بل الأغلبية أصبحوا مسلمين صينيين، يتكلمون الصينية لكن دينهم الإسلام،[1] وقد حرصوا على التواصل مع العالم الإسلامي من أجل معرفة المزيد عن الدين الإسلامي. "لو سافر رجل إلى الصين حتى ينظر في كتاب تفسير ابن جرير الطبري لم يكن كثيراً."[2]

ولنا أن نتصور أهمية المكتبات الدينية بالنسبة لمسلمي الصين، فإن تواصلهم مع العالم الإسلامي، وجلبهم للكتب من العالم الإسلامي له غاية الأهمية في حياتهم الدينية.
وقد عرف عن مسلمي الصين، أنهم حرصوا على الدعاء للسلطان أو الخليفة المسلم في خطبة الجمعة، "وخطب له من حدود الصين إلى آخر الشام، ومن أقاصي بلاد الإسلام في الشمال إلى آخر بلاد اليمن."[3]

ويبدو أن ارتباطهم بالخليفة وحرصهم على دعائهم للسلطان أو الخليفة في خطبة الجمعة يبين أنهم يعدون الخطبة للخليفة جزءاً أساسياً من الحياة الدينية.

لقد أيقن مسلمو الصين أنهم ينتمون إلى أمة أكبر وأشمل من المجتمع المحلي، وهذا لا يتعارض عندهم مع انتمائهم إلى بلدهم الصين، فالخطبة والدعاء للخليفة قد لا تعني الكثير من الناحية العملية للمسلم الصيني في القرن الثالث أو الرابع الهجريين، لكنه معنوياً ودينياً يدفعه إلى الشعور بالانتماء لعالم أكبر وأمة ممتدة على مسافات شاسعة، لا فرق عندها بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى.

وتوضح لنا رحلة ابن بطوطة الكثير من جوانب الحياة الدينية لمسلمي الصين ، وإن كانت تلك الرحلة قد تمت في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، أي بعد انتهاء عصر الخلافة العباسية، إلا أن واقع الحياة لمسلمي الصين الذي وصفه له علاقة مباشرة مع ما سبق من حياة المسلمين قبل زيارة ابن بطوطة، فالواقع الاجتماعي والديني لا يتغير كثيراً، وقد تكون الحياة الدينية التي وصفها هي امتداد لحياة دينية سابقة تشبه في الكثير من الأحيان الوصف الذي وصلنا عبر هذه الرحلة، ونحن نعرف أن ابن بطوطة كان رجلاً متديناً، ويحب أهل العلم والدين.

---

[1] Esposito, John, Islam in China P.141; So kee long Dissolving Hegemony, P.153.

[2] ابن كثير، البداية و النهاية، حـ11، ص146؛ الذهبي، أبو عبدالله، معرفة القراء الكبار، جـ1، ص65؛ البغدادي، أحمد بن على أبو بكر الخطيب، تاريخ بغداد، (بيروت، دار الكتب العلمية)، جـ2، ص163؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج1، ص260.

[3] ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، ج8، ص481 ؛ القلقشندى، مآثر الإنافة، ج2، ص3؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج3، ص98.

عندما وصل ابن بطوطة لمدينة الخنساء، خرج إليه "قاضيها فخر الدين وشيخ الإسلام بها."[1] ويدل وجود قاض مسلم وشيخ كبير للمدينة على حرص مسلمي مدينة الخنساء والتي تعد من أكبر المدن الصينية على تعاليم تطبيق الدين الإسلامي فيها.

ويقول ابن بطوطة: "ولابد في كل بلد من بلاد الصين من شيخ للإسلام تكون أمور المسلمين كلها راجعة إليه وقاض يقضي بينهم."

ولهذه العبارة أهمية كبيرة وهي تقدم وصفاً شاملاً ودقيقاً لطبيعة حياة مسلمي الصين في المجتمع الصيني، وهي دلالة واضحة من شاهد شهد بنفسه على طبيعة الحياة الدينية لمسلمي الصين، حيث أنهم حرصوا على وجود مرجعية دينية قضائية وشرعية ترعى حياتهم وتنظم قوانينهم الإسلامية . ويتضح أن المسلمين استمروا عبر قرون طويلة منذ القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي لغاية القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، على الحفاظ على حياتهم الدينية من خلال القضاء و الشرع الإسلامي.

ويتضح أن الحياة الدينية للمسلمين في الصين كانت عاملاً مهماً في الحفاظ على هويتهم كمسلمين، فمع مرور الزمن، تحولوا لمواطنين صينيين وهذا أمر طبيعي إلا أن الهوية الإسلامية استمرت وحافظوا عليها، عبر الحفاظ على حياة دينية إسلامية خلال قرون طويلة من تواجد المسلمين في الصين.

---

[1] ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج2 ، ص728.

الخاتمة و نتائج البحث

الخاتمة و نتائج البحث:

تم بحمد الله تعالى الانتهاء من هذا البحث، وقد توصل الباحث إلى العديد من النتائج، وأهمها:

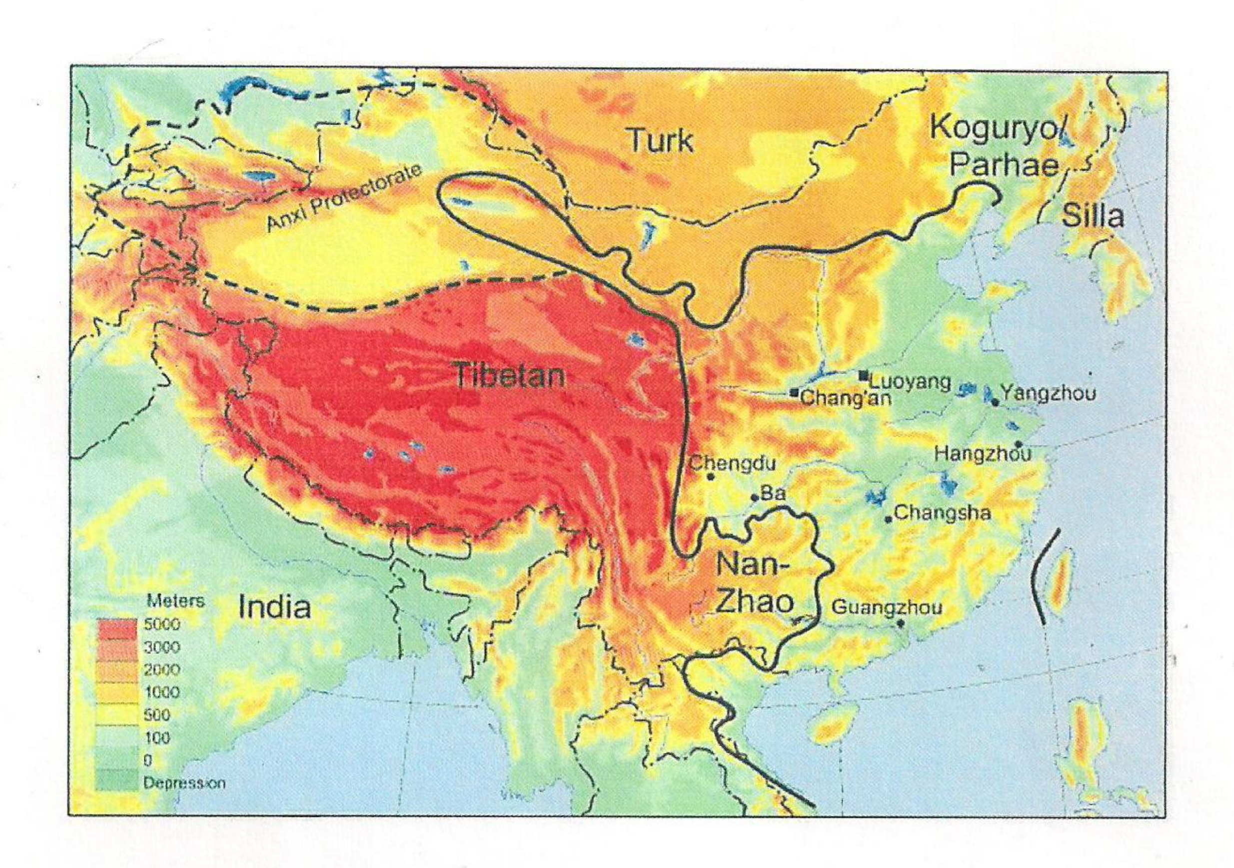
- ❖ وصل الإسلام إلى الصين في وقت مبكر مع بداية القرن الأول الهجري.
- ❖ استقرت الجالية الإسلامية من المسلمين الأوائل في أهم مدن و موانئ الصين خلال عهد أسرة التانغ التي حكمت الصين من القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي إلى القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي.
- ❖ وجد المسلمون ترحاباً وقبولاً من قبل السلطة الحاكمة في الصين خلال القرن الثاني الهجري/الثامن ميلادي.
- ❖ الفتوحات الإسلامية في بلاد ما وراء النهر أسهمت بشكل كبير في وصول الإسلام إلى الصين غربا فقد فرضت الفتوحات أنواعا من الاتصال و التواصل مع الصين و العالم الإسلامي.
- ❖ سيطر المسلمون على الطرق البحرية المؤدية من سواحل العرب في المحيط الهندي إلى جاوة (اندونيسيا حالياً) ومنه إلى الصين وقد مكن ذلك أعداد كبيرة من المسلمين والعرب خلال القرن الثامن الميلادي من التعامل و الاستقرار في ميناء كانتون (خانفو) فوصل عددهم نحو مائة ألف نسمة وأطلق عليه الصينيون اسم "خانفو العرب".
- ❖ انتشرت الجاليات التجارية للسلميين على طول الطريق البحري من شبه الجزيرة العربية إلى الصين، مما خلق فرصاً كثيرة لتأسيس مدارس دينية وانتشار الإسلام ليس فقط في الصين بل على الطريق البحري التجاري المؤدي إليها.
- ❖ كان للصوفية دور كبيراً في انتشار الإسلام في مناطق آسيا الوسطي وغرب الصين على امتداد طريق الحرير وكذلك في اندونيسيا وجنوب شرق آسيا.
- ❖ لعب العلماء و الشيوخ دوراً مهماً في توطيد الحياة الدينية و الشرعية لانتشار الإسلام في مدن و موانئ الصين و أسسوا شبكة اتصال عالمية بين العالم الإسلامي و الصين.
- ❖ مدينة خمدان التي ذكرتها المصادر الإسلامية هي نفسها مدينة " تشانق آن" المعروفة صينيا، وقد عرب الاسم الصيني إلى خمدان، وهي عاصمة عهد أسرة التانغ العظيمة.
- ❖ كان للمسلمين النصيب الأكبر من المشاركة في النهضة التي شهدتها الصين خلال عصر المغول، فوصل إلى الصين الكثير من العلماء المسلمين القادمين من العالم الإسلامي وخاصة من آسيا الوسطى بتشجيع من السلطان الحاكم المغولي.

التوصيات:

بعد دراسته لتاريخ المسلمين في الصين خلال العهد العباسي، يوصي الباحث بإجراء دراسات في عدد من الموضوعات التي تفتقر إليها المكتبة العربية، ومن هذه الموضاعات:

1. الدور المميز والبارز لمسلمي الصين في السياسة و الاقتصاد خلال عصر حكم المغول للصين المعروف تاريخيا بفترة "يوان" "Yuan" خلال القرنين السابع والثامن الهجريين=الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين.
2. العلاقات التجارية والاقتصادية بين مراكز استقرار مسلمي الصين على الساحل الشرقي للصين ومناطق جنوب شرق آسيا الإسلامية من القرن السابع الهجري إلى القرن العاشر الهجري=الثالث عشر الميلادي إلى القرن السادس العشر الميلادي.
3. دراسة عن حياة الأدميرال المسلم الصيني زينغ هي " Zeng He " الذي تولى قيادة الأسطول الصيني في أكبر رحلة بحرية استكشافية صينية و عالمية حتى مطلع القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي.
4. دور علماء الأزهر وعلماء مصر في صعود ونهضة حركة التغيير الإسلامية الصينية خلال النصف الأول من القرن العشرين.
5. المقاومة الإسلامية الصينية و دورها الريادي ضد الاحتلال الياباني خلال ثلاثينيات القرن العشرين.
6. دراسة عن أوضاع المجتمع المدني للأقليات الإسلامية في الصين بعد سياسة الانفتاح الصينية منذ بداية العقد الثامن من القرن العشرين.
7. دراسة تاريخ العلاقات الخارجية الصينية مع العالم العربي منذ العقد الثامن للقرن الماضي.

الملاحق

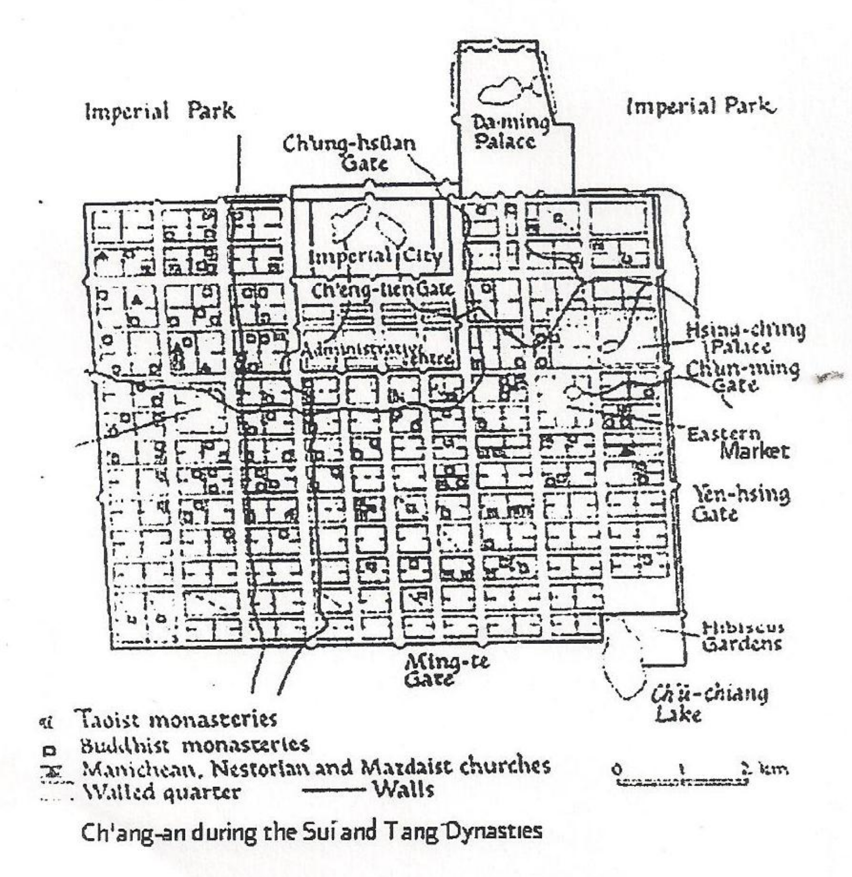


(خريطة الصين خلال عصر أسرة التانغ عام 742 م)

A map of Tang dynasty China circa 742, showing the surrounding kingdoms and peoples.

(المصدر) source : http://depts.washington.edu/chinaciv/timeline.htm

الملحق رقم 1-1

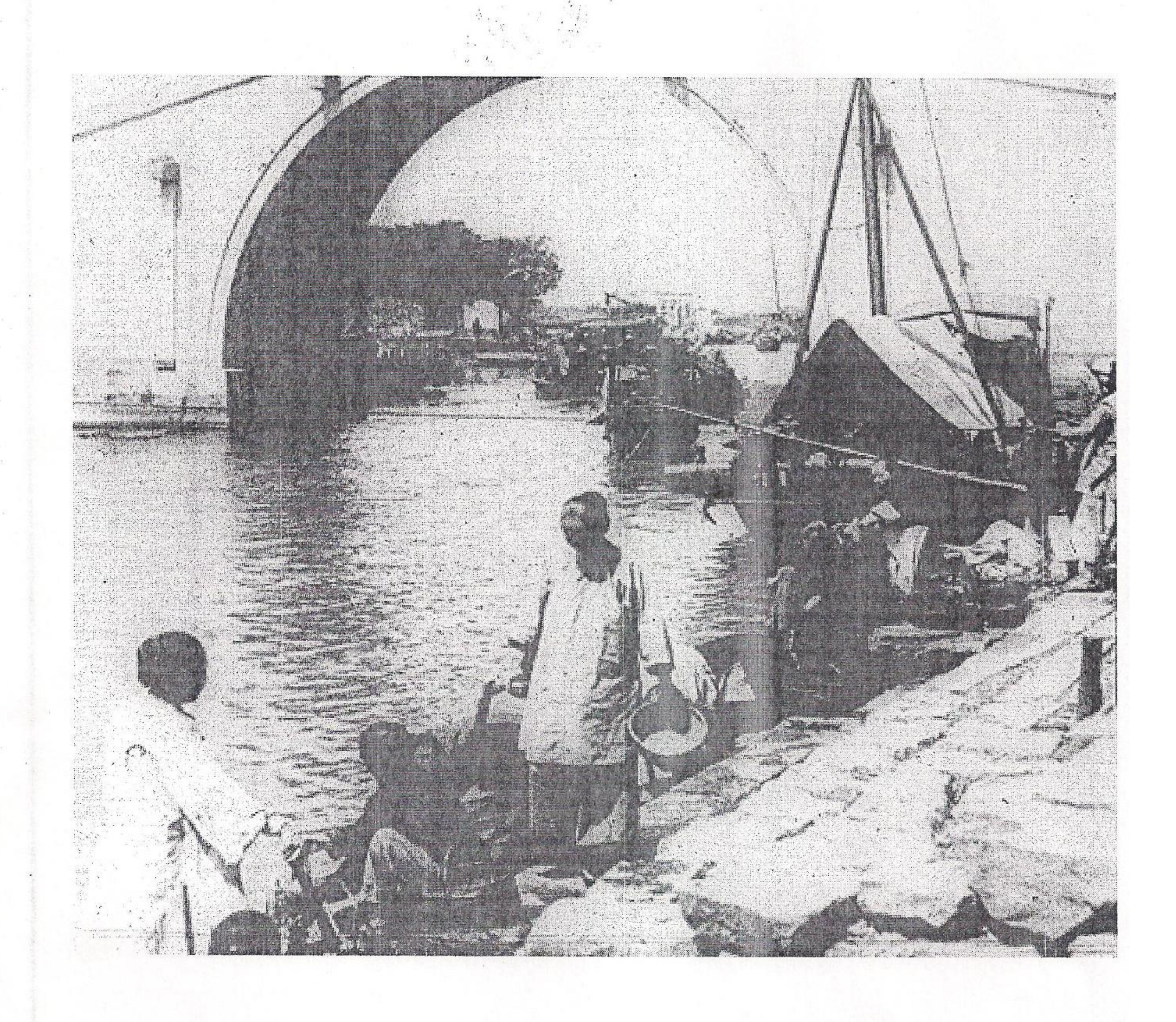


Ch'ang-an during the Sui and Tang Dynasties

مدينة خمدان (تشانق آن) عاصمة الصين في عصر التانغ

المصدر: Internet East Asian History Sourcebook (www.fordham.edu)

الملحق رقم 1-3



القناة العظيمة

(المصدر) Internet East Asian History Sourcebook (www.fordham.edu)

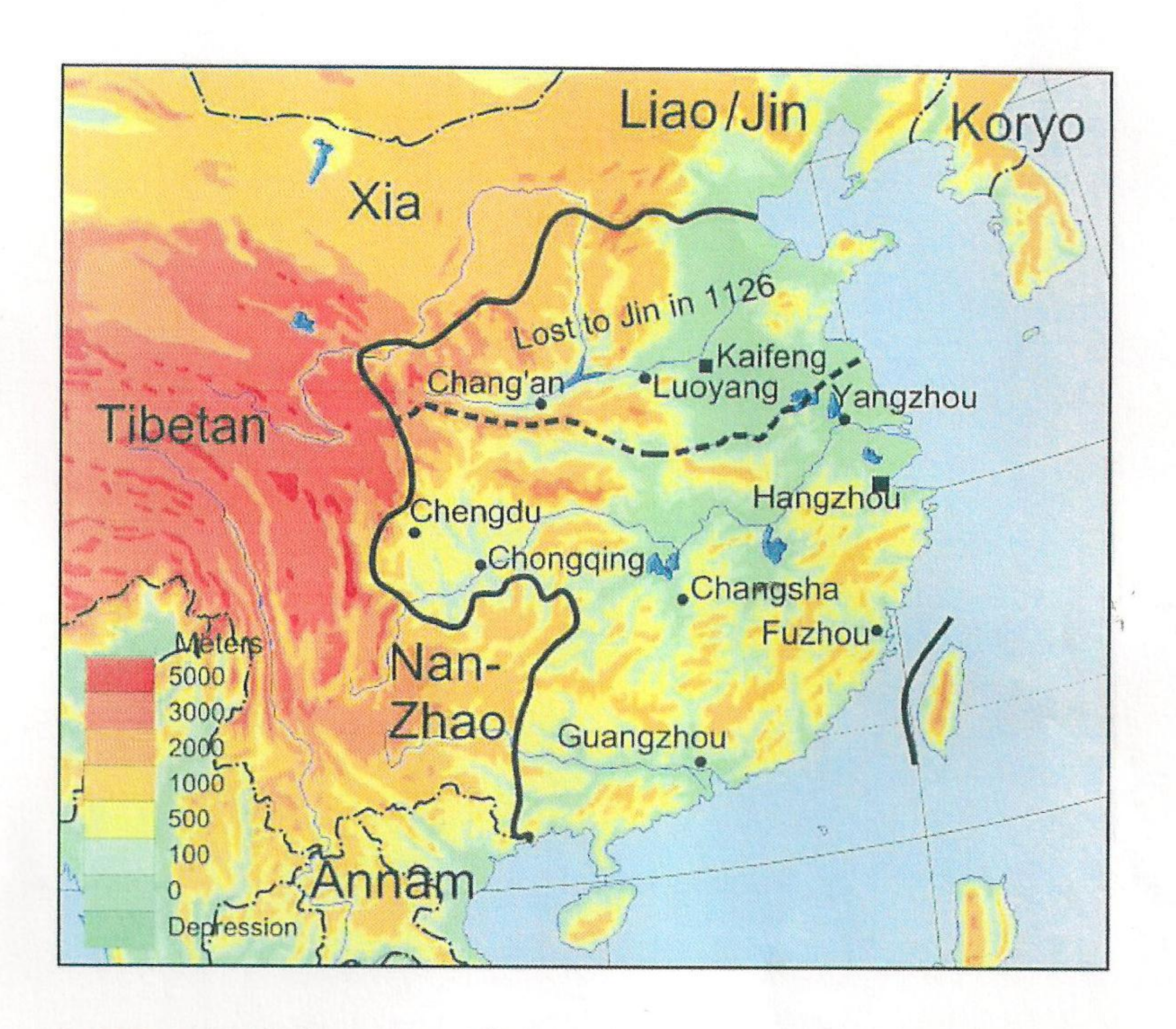
الملحق رقم 2-3



مؤسس عهد أسرة السونغ

(المصدر)Internet East Asian History Sourcebook (www.fordham.edu)

الملحق رقم 3-3

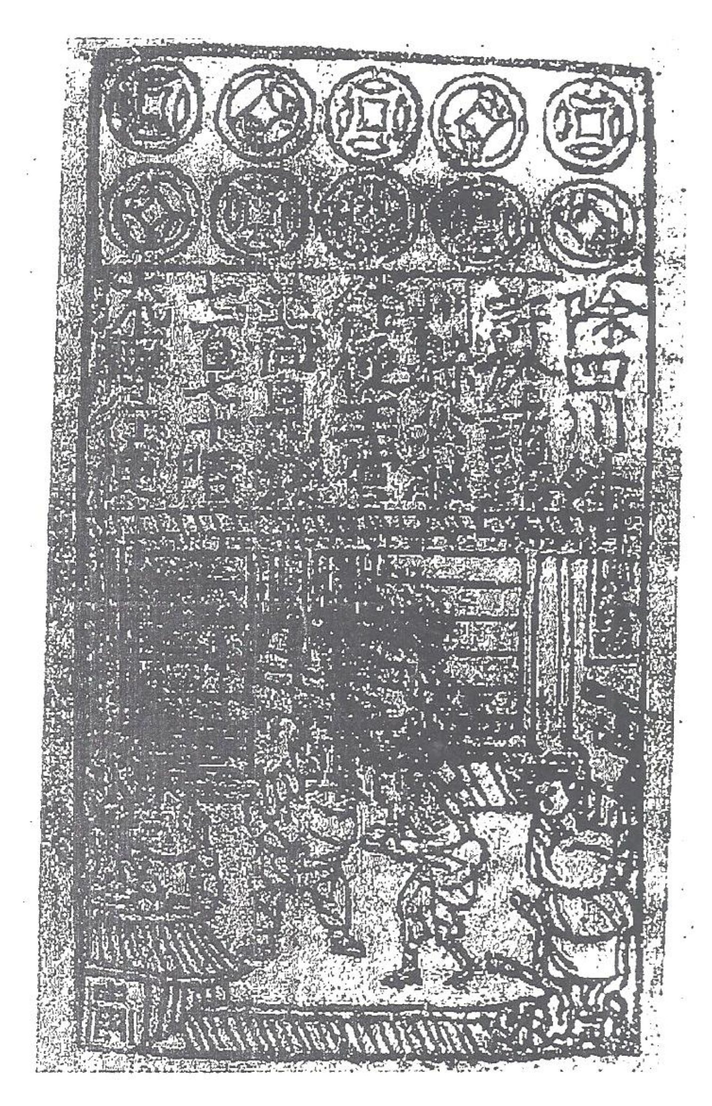


(خريطة الصين خلال عصر أسرة السونغ عام 1100 م)

A map of Song dynasty China, showing the approximate borders of the Northern Song in 1100 and indicating the area lost to the non-Han Jin dynasty in 1127.

(المصدر) source :http://depts.washington.edu/chinaciv/1xarsong.htm

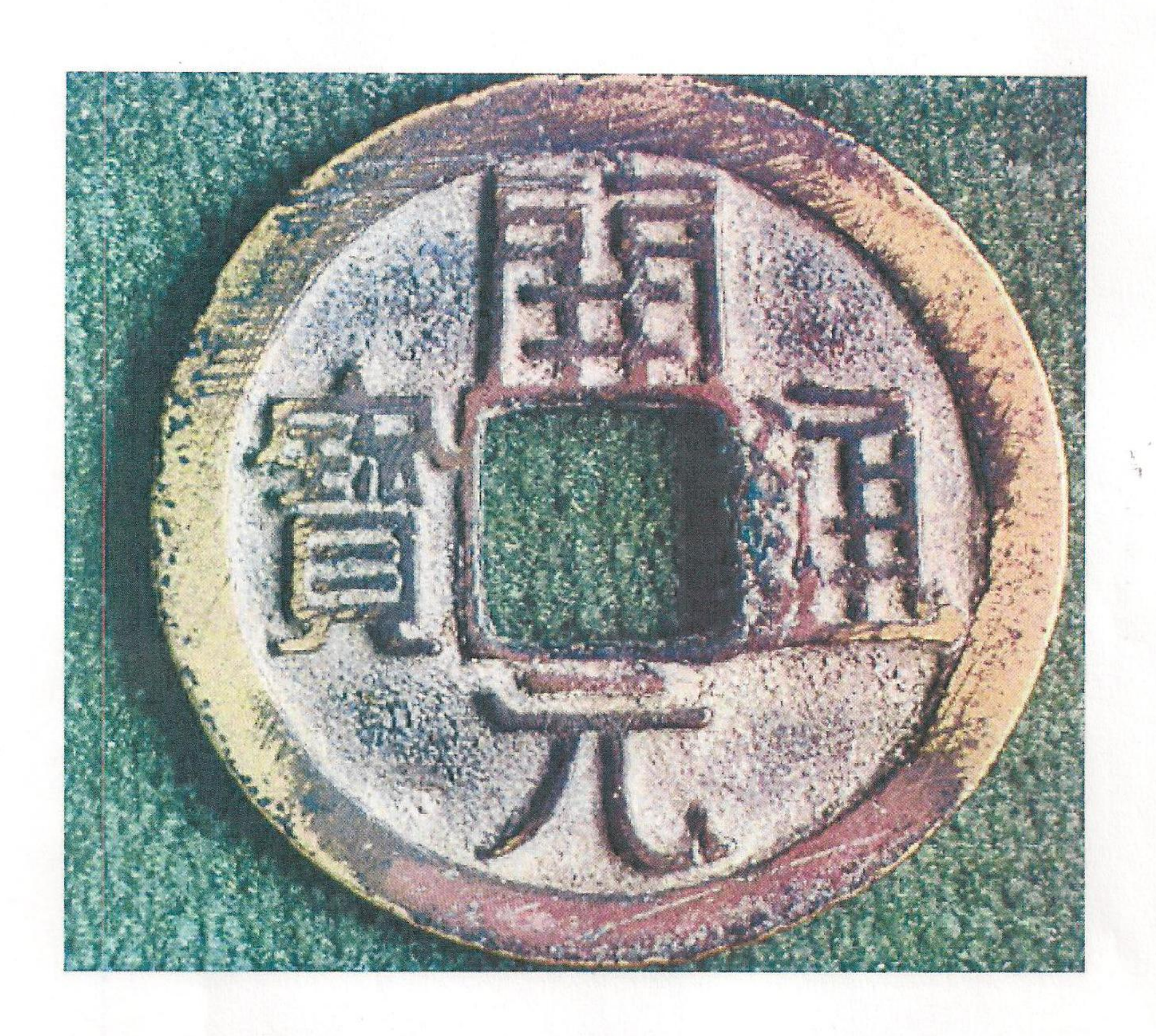
الملحق رقم 4-3



اوراق نقدية صينية قديمة

(المصدر)Internet East Asian History Sourcebook (www.fordham.edu)

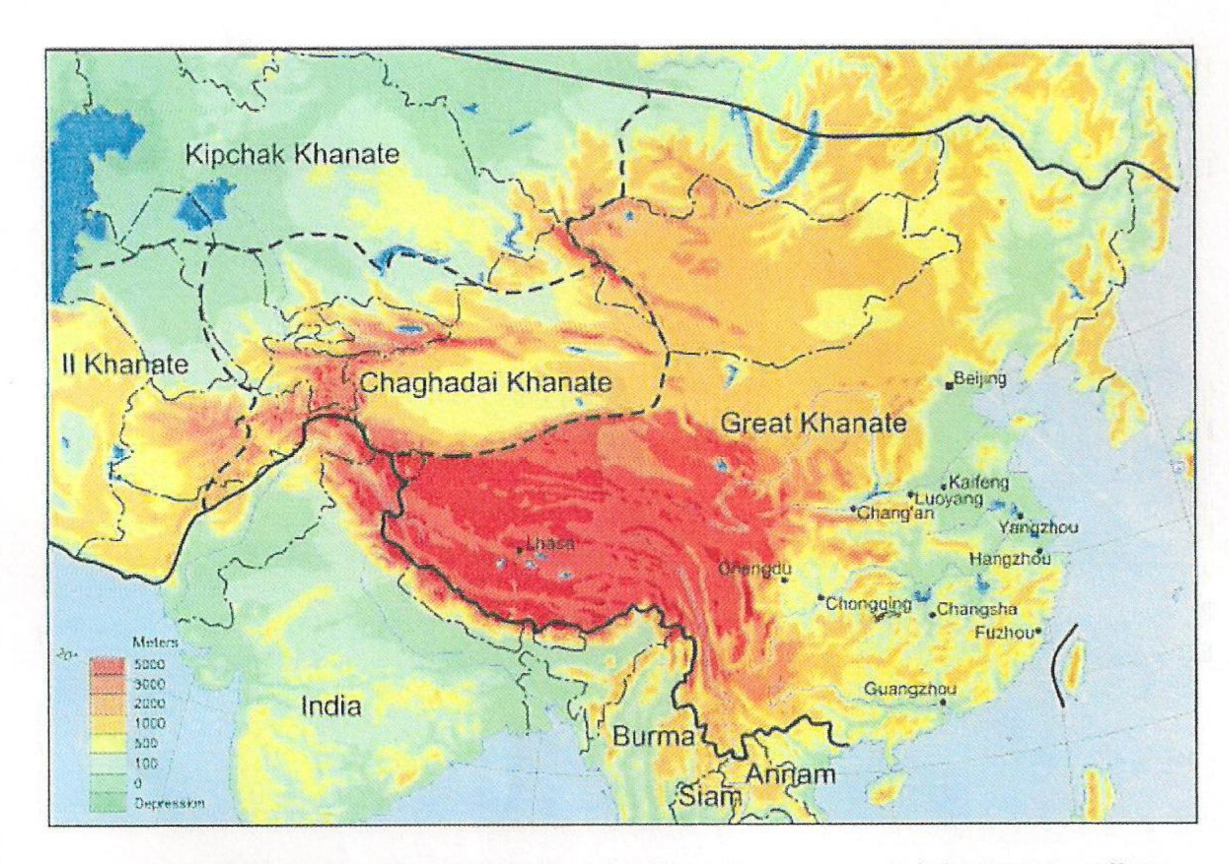
الملحق رقم 1-5



عملة نقدية من عصر التانغ

المصدر: Internet East Asian History Sourcebook (www.fordham.edu)

الملحق رقم 2-5

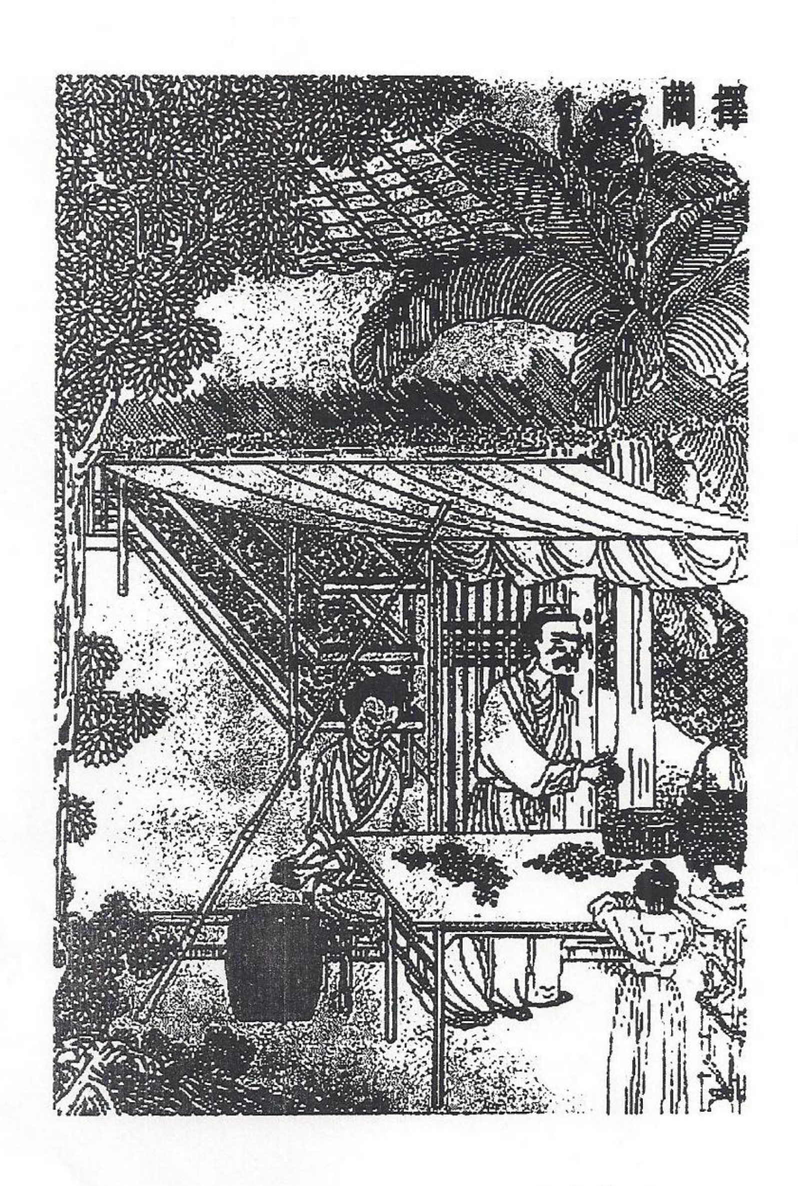


A map of the Mongol empire, showing the Four Khanates and the surrounding kingdoms and peoples. It was the Great Khanate that was known to the Chinese as the Yuan dynasty.

(خريطة الصين خلال العصر المغولي)

(المصدر) Source: http://depts.washington.edu/chinaciv/1xaryuan.htm

الملحق رقم 3-5



صناعة الحرير

(المصدر)Internet East Asian History Sourcebook (www.fordham.edu)

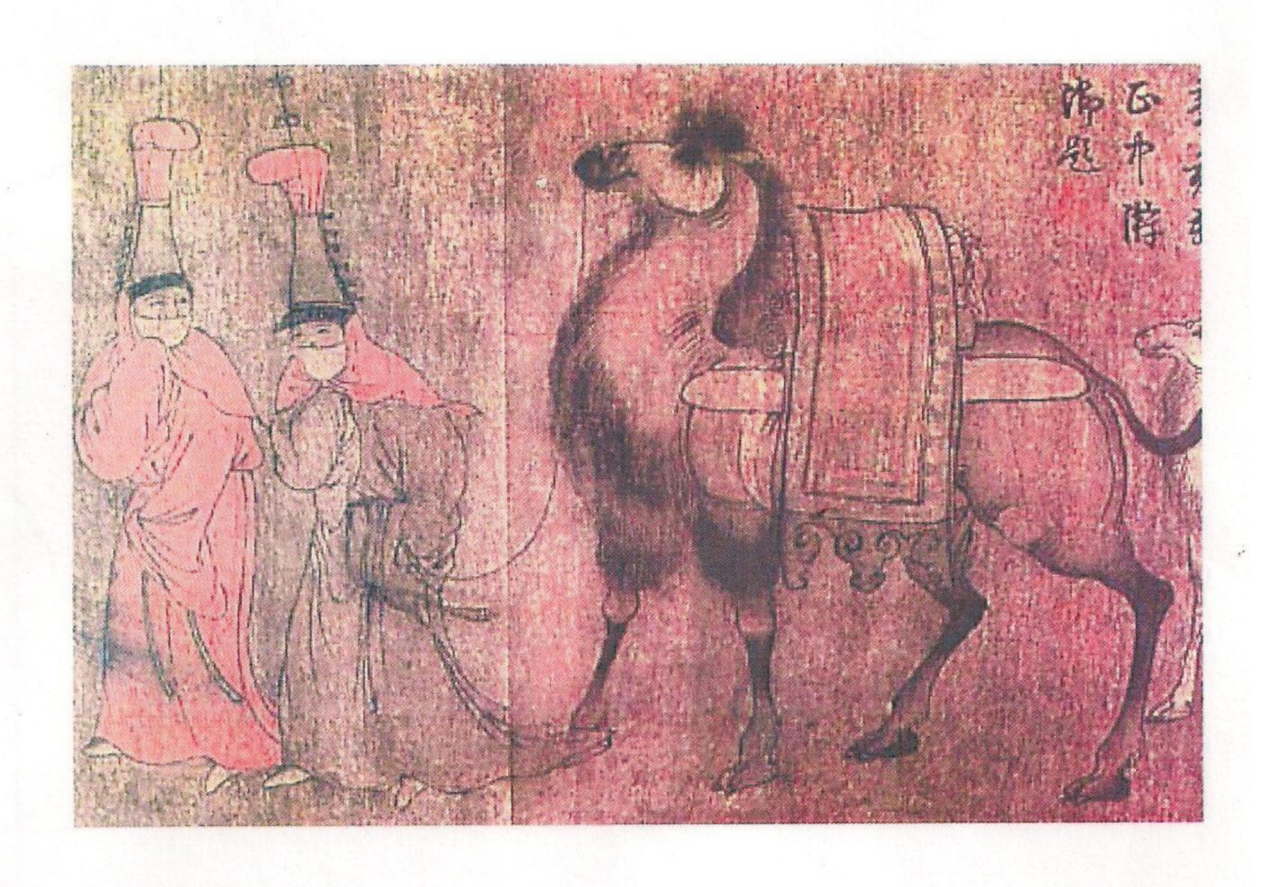
الملحق رقم 4-5



صناعة الشاي الصيني

(المصدر) Internet East Asian History Sourcebook (www.fordham.edu)

الملحق رقم 1-6



لوحة فنية لنساء صينيات من غرب الصين خلال عصر التانغ والسونغ

المصدر:
Jin Weinuo, ed., *Zhongguo meishu quanji, huihua bian 2: Sui Tang Wudai huihua* (Beijing: Wenwu chubanshe, 1984), pl. 56, p. 111. Collection of the National Palace Museum-Beijing.

الملحق رقم 2-6

المصادر و المراجع

المصادر

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً : المصادر العربية

ابن الأثير، محمد بن محمد بن عبد الواحد (ت: 630هـ=1233م)
1- الكامل في التاريخ، جـ10، تحقيق: أبي الفدا عبدالله القاضي، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1407هـ-1987م).

الإدريسي، أبو عبدالله محمد بن عبدالله
2- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، (بيروت، عالم الكتب، ط 1، 1989م)

ابن الأزرق، أبي عبدالله
3- بدائع االسلك في طبائع الملك، تحقيق: علي النشار،(العراق، وزارة الإعلام،ط1).

البخاري، أبي عبد الله محمد بن اسماعيل (ت256هـ = 879م)
4- صحيح البخاري، (الرياض، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، 1998م).

ابن بطوطة، محمد بن عبدالله بن محمد اللواتي (ت 779هـ = 1377م)
5- رحلة ابن بطوطة، جـ2، شرح طلال حرب، (بيروت، دار الكتب العلمية).

البغدادي، أحمد بن علي أبو بكر الخطيب (ت 463هـ = 1071م).
6- تاريخ بغداد، جـ14، (بيروت، دار الكتب العلمية).

ابن جعفر، قدامة (ت310 هـ= 922م)
7- الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق: محمد الزبيدي، (العراق، دار الرشيد،ط1)

ابن الجوزي أبو الفرج، عبد الرحمن بن على بن محمد(ت 597هـ = 1201م).
8- المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم، جـ6، (بيروت، دار صادر، ط1، 1939مـ).

ابن حجر، أحمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد (ت 852هـ=1448م).
9- الدرر الكامنة، ج6، تحقيق: محمد خان، (حيدر آباد، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية،ط2، 1972).

أبو الحسين، عبد الباقي بن قانع (ت 351هـ = 962 م)
10- معجم الصحابة، جـ 3، تحقيق: صلاح بن سالم المصراني، (المدينة المنورة، مكتبة الغرباء الأثرية، ط1، 1997م).

ابن حنبل، أحمد بن حنبل أبو عبد الله (ت: 241هـ =855م)
11- فضائل الصحابة، جـ 2، تحقيق: وصي الله محمد عباس، (بيروت، مؤسسة الرسـالة، ط2، 1403هـ-1983م).

ابن حوقل، أبي القاسم بن حوقل النصيبي (350 هـ= 961م)
12- صورة الأرض، ج2، (بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة، 1992م).

ابن خردابة، إبي القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت 300 هـ = 913م)
13- المسالك و الممالك، تقديم: محمد مخزوم، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1988م).

خسرو، ناصر (ولد عام 394هـ= 1004م)
14- سفر نامة، ج1، تحقيق: يحيى الخشاب، (بيروت، دار الكتاب الجديد،ط3، 1983م).

ابن خلدون،عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت 808 هـ= 1405م)
15- تاريخ ابن خلدون، جـ7، (بيروت، مؤسسة جمال للطباعة والنشر،1979م).
16- مقدمة ابن خلدون، جـ 1، (بيروت، دار القلم، ط5، 1984م).

ابن خياط، خليفة بن خياط الليثي العصفري أبو عمر (ت: 240هـ=854م)
17- تاريخ خليفة بن خياط، جـ 1، تحقيق: أكرم ضياء العمري، (دمشق، دار القلم، ط2، 1977م).

الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قيماز (ت 748هـ=1347م)
18- معرفة القراء الكبار، ج2، تحقيق: بشار معروف،(بيروت، مؤسسة الرسالة،ط1984،1م)

19- العبر في خبر من غبر، تحقيق: سلاح الدين المنجد، (الكويت، مطبعة حكومة الكويت،ط2، 1948م).

20- سير أعلام النبلاء، جـ23، تحقيق: شعيب الأرناؤوط و محمد نعيم العرقسوسي، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط9، 1997م)

ابن رضوان، محمد بن محمد بن عبد الكريم (ت 747هـ= 1346م)
21-حسن السلوك الحافظ لدولة الملوك، تحقيق: فؤاد عبد المنعم، (الرياض، دار الوطن،ط1، 1995م).

ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري الزهري (ت 230 هــ= 845م)
22- الطبقات الكبرى، جــ9، (بيروت، دار صادر،1985م).

السيرافي، أبو زيد الحسن (كان حياً 203 هــ=818م)
23- رحلة السيرافي، تحقيق: عبدالله الحبشي، (أبو ظبي، المجمع الثقافي، ط1، 1999م).

أبو شامة، مطهر بن طاهر (ت: 507هــ=1113م)
24- البدء والتاريخ، (القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية).

الشيرازي، ابراهيم بن على بن يوسف (ت 476هــ=1083م)
25- طبقات الفقهاء،جــ1، تحقيق:خليل الميس، (بيروت، دار القلم)

الشيزري، عبد الرحمن بن عبدالله بن نصر بن عبد الرحمن (ت 589هــ=1193م)
26- المنهج المسلوك في سياسة الملوك، جــ1، تحقيــق: علــي الموســي، (الزرقــاء، مكتبــة المنار،ط1،1987م).

الإصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبدالله (ت 430هــ=1039م)
27- حلية الأولياء و طبقات الأصفياء،ج10، (بيروت دار الكتاب العربي، ط4، 1985م).

الإصطخري، ابن اسحق ،براهيم بن محمد الفارسي (توفي في النصف الأول من القرن 4 هــ=10م)
28- المسالك و الممالك، تحقيق:محمد جابر عبد العال الحيني،(مصر، وزارة الثقافة و الإرشاد القومي، 1961م).

الطبري أبو جعفر، محمد بن جرير (ت: 310هــ=922م)
29- تاريخ الأمم والملوك، جــ 5، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1987م).

الطهراني، أغا بزرك
30- طبقات أعلام الشيعة، ج1، تحقيق: على نقي منزوي، (بيروت دار الكتاب العربي،ط1، 1972م).

ابن أبي عاصم، أبو بكر، (ت: 287هــ= 891م)
31 - الأوائل، جــ1، تحقيق:محمد بن ناصر العجمي، (الكويت، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي).
ابن العماد، عبد الحي بن أحمد العكري (ت 1089هــ= 1678م)
32- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، جــ4، (بيروت، دار الكتب العلمية).

أبو الفدا، عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر (ت732هــ=1332م)
33- تقويم البلدان، (بيروت، دار صادر).

القلشقندي، أحمد بن علي (ت 821هـ=1418م).
34- صبح الأعشى في صناعة الإنشا،ج8، تحقيق: يوسف طويل، (دمشق، دار الفكر،ط1987،1م).

35- مآثر الإنافة في معالم الخلافة، ج5، تحقيق: عبد الستار فراج، (الكويت، مطبعة حكومة الكويت، ط2، 1985م).

الكتاني، عبد الحي الإدريسي الحسني
36- التراتيب الإدراية، (بيروت، دار الكتاب العربي).

إبن كثير القرشي أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت: 774هـ=1372م)
37- البداية والنهاية، 14 جـ، (بيروت ، مكتبة المعارف،ط1، 1966م).

المسعودي، علي بن الحسين بن علي (ت346هـ=957م)
38- مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق:محمد عبد الحميد، (بيروت، دار المعرفة،1983م).

المقدسي، شهاب الدين عبدالرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم (ت 665هـ=1267م).
39- كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق: ابراهيم الزيبق،(بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1997م).

المقري، أحمد بن محمد التلمساني (ت1041هـ = 1632م)
40- نفح الطيب، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت، 1968م).

ابن منظور، محمد بن مكرم (ت 711هـ= 1311 م)
41- لسان العرب،ج11، (بيروت، دار صادر،ط1).

ابن النديم، محمد بن إسحاق أبو الفرج (ت 385هـ= 995م)
42- الفهرست، ج1، (بيروت،دار المعرفة، 1978م).

ياقوت، الحموي (ت 626 هـ=1229م)
43- معجم البلدان،ج5، (بيروت، دار الفكر).

اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر العباسي
44- تاريخ اليعقوبي، جـ2، (بيروت، دار الصادر).

ثالثاً: المراجع العربية

الجنابي، هيثم

1- الإسلام في أوراسيا،(بيروت، دار المدى للثقافة والنشر، ط1،2003م.)

العاوور، صلاح حسن،

2- تاريخ الخلافة الأموية الجهادي و المالي، (رفح، مكتبة إيهاب، ط1، 1994).

الشامي، صلاح الدين علي،

3- الرحلة عين الحغرافيا المبصرة في الدراسة الميدانية، (الإسكندرية، منشأة المعارف،1982م).

وو، بن،

4- الصينيون المعاصرون، ترجمة: عبد العزيز حمدي، (الكويت، عالم المعرفة،1996م).

رابعاً: المصادر الإنجليزية

Works Cited

1-Adas, Michael, ed. Islamic & European Expansion: The Forging of a Global Order. Philadelphia, PA: Temple University Press, 1993.

2-Archer, John Clark. Faiths Men Live By. New York: Thomas Nelson and Sons, 1938.

3-Barnett, A. Doak. China's Far West: Four Decades of Change. Boulder, CO: Westview Press, 1993.

4-Beasley, W. G. and E. G. Pulleyblank, eds. Historians of China and Japan. London: Oxford University Press, 1961.

5-Beit-Hallahmi, Benjamin. Psychoanalytic Studies of Religion: A Critical Assessment and Annotated Bibliography. Westport, CT: Greenwood Press, 1996.

6-Benson, Linda. The Ili Rebellion: The Moslem Challenge to Chinese Authority in Xinjiang, 1944-1949. Armonk, NY: M. E. Sharpe, Inc., 1990.

7-Benson, Linda, and Ingvar Svanberg. China's Last Nomads: The History and Culture of China's Kazaks. Armonk, NY: M.E. Sharpe, 1998.

8-Bowman, John S., ed. Columbia Chronologies of Asian History and Culture. New York: Columbia University Press, 2000.

9-Boyd, Andrew. Chinese Architecture and Town Planning, 1500 B.C.-A.D. 1911. Chicago: University of Chicago Press, 1962.

10-Boyle, Kevin and Juliet Sheen, eds. Freedom of Religion and Belief: A World Report. London: Routledge, 1997.

11-Buxton, L. H. Dudley. China, the Land and the People: A Human Geography. Oxford: The Clarendon Press, 1929.

12-Ching, Julia. Chinese Religions. London: Macmillan, 1993.

13-Ching, Julia. Probing China's Soul: Religion, Politics, and Protest in the People's Republic. 1st ed. San Francisco: Harper & Row, 1990.

14-Clyde, Paul Hibbert. A History of the Modern and Contemporary Far East: A Survey of Western Contacts with Eastern Asia during the Nineteenth and Twentieth Centuries. New York: Prentice-Hall, Inc., 1937.

15-Colquhoun, Archibald R. China in Transformation. New York: Harper & Brothers, 1912.

16-Dawson, Christopher, ed. Narratives and Letters of the Franciscan Missionaries in Mongolia and China in the Thirteenth and Fourteenth Centuries Narratives and Letters of the Franciscan Missionaries in Mongolia and China in the Thirteenth and Fourteenth Centuries. New York: AMS Press, 1980.

17-Esposito, John L., ed. Islam in Asia: Religion, Politics, and Society. New York: Oxford University Press, 1987.

18-Fernau, F. W. Moslems on the March: People and Politics in the World of Islam. Trans. Dickes, E. W. 1st ed. New York: Knopf, 1954.

19-Fessler, Loren. China. New York: Time Inc., 1963.

20-Feuchtwang, Stephan. Popular Religion in China: The Imperial Metaphor. Richmond, England: Curzon, 2001.

21-Fitzgerald, C. P. Flood Tide in China. London: The Cresset Press, 1958.

22-Fogel, Joshua A. The Literature of Travel in the Japanese Rediscovery of China, 1862-1945. Stanford, CA: Stanford University, 1996.

23-Franck, Harry A. Wandering in Northern China. New York: The Century Co., 1923.

24-Gibb, H. A. R. Mohammedanism: An Historical Survey. 2nd ed. London: Oxford University Press, 1970.

25-Gilmore, George William, et al., eds. The New Schaff-Herzog Encyclopedia of

Religious Knowledge: Embracing Biblical, Historical, Doctrinal, and Practical Theology and Biblical, Theological, and Ecclesiastical Biography from the Earliest Times to the Present Day. Vol. 10. New York: Funk and Wagnalls Company, 1908.

26-Gladney, Dru C., ed. Making Majorities: Constituting the Nation in Japan, Korea, China, Malaysia, Fiji, Turkey, and the United States. Stanford, CA: Stanford University, 1998.

27-Gladney, Dru C. "4 The Hui, Islam, and the State a Sufi Community in China's Northwest Corner." Muslims in Central Asia: Expressions of Identity and Change. Ed. Gross, Jo-Ann. Durham, NC: Duke University Press, 1992.

28-Haddad, Yvonne Yazbeck, et al. The Contemporary Islamic Revival: A Critical Survey and Bibliography. Westport, CT: Greenwood Press, 1991.

29-Hasan, Nader. "China's Forgotten Dissenters." Harvard International Review 22.3 (2000).

30-Hawting, G. R. The First Dynasty of Islam: The Umayyad Caliphate AD 661-750. London: Routledge, 2000.

31-Hershatter, Gail, et al., eds. Remapping China: Fissures in Historical Terrain. Stanford, CA: Stanford University, 1996.

32-Hitti, Philip K. History of the Arabs: From the Earliest Times to the Present. 6th ed. London: Macmillan, 1956.

33-Hitti, Philip K. History of the Arabs: From the Earliest Times to the Present. 5th ed. New York: Macmillan, 1951.

34-Hu, Chang-tu. China: Its People, Its Society, Its Culture. New Haven, CT: HRAF Press, 1960.

35-Huang, Ray. China, a Macro History. Armonk, NY: M. E. Sharpe, 1997.

36-Hulme, Edward Maslin. History and Its Neighbors. New York: Oxford University Press, 1942.

37-Ikels, Charlotte. The Return of the God of Wealth: The Transition to a Market Economy in Urban China. Stanford, CA: Stanford University Press, 1996.

38-Jaschok, Maria. "Between Mecca and Beijing: Modernization and Consumption among Urban Chinese Muslims." China Review International 8.2 (2001)

39-Jianzhong, Ma, and Kevin Stuart. ""Stone Camels and Clear Springs": The Salar's Samarkand Origins." Asian Folklore Studies 55.2 (1996).

40-Jing, Jun. The Temple of Memories: History, Power, and Morality in a Chinese Village. Stanford, CA: Stanford University Press, 1996.

41-Johns, Anthony H. "Sufism in Southeast Asia: Reflections and Reconsiderations." Journal of Southeast Asian Studies 26.1 (1995)

42-Karpat, Kemal H. The Politicization of Islam: Reconstructing Identity, State, Faith, and Community in the Late Ottoman State. New York: Oxford University Press, 2000.

43-Keyes, Charles F., Laurel Kendall, and Helen Hardacre, eds. Asian Visions of Authority: Religion and the Modern States of East and Southeast Asia. Honolulu: University of Hawaii Press, 1994.

44-Klatt, Werner, ed. The Chinese Model: A Political, Economic and Social Survey. Hong Kong: Hong Kong University Press, 1965.

45-Köprülü, Mehmed Fuad. Islam in Anatolia after the Turkish Invasion: (Prolegomena). Trans. Leiser, Gary. Salt Lake City: University of Utah Press, 1993.

46-Lattimore, Owen. High Tartary. Boston: Little, Brown & Co., 1930.

47-Lattimore, Owen. Inner Asian Frontiers of China. New York: American Geographical Society, 1940.

48-Lattimore, Owen. Pivot of Asia: Sinkiang and the Inner Asian Frontiers of China and

Russia. 1st ed. Boston: Little, Brown and Company, 1950.

49-Le Blanc, Charles and Susan Blader, eds. Chinese Ideas about Nature and Society: Studies in Honour of Derk Bodde. Hong Kong: Hong Kong University Press, 1987.

50-Leung, Laifong. Interviews with Chinese Writers of the Lost Generation Interviews with Chinese Writers of the Lost Generation. Armonk, NY: M. E. Sharpe, 1994.

51-Levy, Reuben. The Social Structure of Islam: Being the Second Edition of the Sociology of Islam. Cambridge, England: Cambridge University Press, 1957.

52-Mackerras, Colin. China's Ethnic Minorities and Globalisation. New York: Routledge Curzon, 2003.

53-Manz, Beatrice F. Central Asia in Historical Perspective. Boulder, CO: Westview Press, 1994.

54-Munro, Dana Carleton. The Kingdom of the Crusaders. New York: D. Appleton-Century, 1936.

55-Nasr, Seyyed Hossein. Religion & the Order of Nature. New York: Oxford University Press, 1996.

56-Paine, S. C. M. Imperial Rivals: China, Russia, and Their Disputed Frontier. Armonk, NY: M.E. Sharpe, 1996.

57-Paquette, William A. "Putting the World into World History Textbooks." Teaching History: A Journal of Methods 26.2 (2001).

58-Peerenboom, R. P. Law and Morality in Ancient China : The Silk Manuscripts of Huang-Lao /. Albany, NY: State University of New York Press, 1993.

59-Perry, John Curtis and Bardwell L. Smith, eds. Essays on T'ang Society: The Interplay of Social, Political and Economic Forces. Leiden, Netherlands: E. J. Brill, 1976.

60- The Politics of Religion and Social Change. Eds. Anson Shupe and Jeffrey K. Hadden.

1st ed. New York: Paragon House, 1988.

61-Pope, John Alexander. Chinese Porcelains from the Ardebil Shrine. Washington, DC: Smithsonian Institution Freer Gallery of Art, 1956.

62-Prawdin, Michael. The Mongol Empire: Its Rise and Legacy. Trans. Paul, Eden, and Cedar Paul. New York: Macmillan, 1940.

63-Ptak, Roderich. "From Quanzhou to the Sulu Zone and Beyond: Questions Related to the Early Fourteenth Century." Journal of Southeast Asian Studies 29.2 (1998).

64-Ramet, Sabrina P. Nihil Obstat: Religion, Politics, and Social Change in East-Central Europe and Russia. Durham, NC: Duke University Press, 1998.

65-Rizvi, Sayyid Athar Abbas. "12 Sufism in the Indian Subcontinent Orders and Spiritual Poetry in Regional Languages." Islamic Spirituality: Manifestations. Ed. Nasr, Seyyed Hossein. New York: Crossroad Herder, 1997.

66-Ross, Andrew C. A Vision Betrayed: The Jesuits in Japan and China, 1542-1742. Edinburgh: Edinburgh University Press, 1994.

67-Ross, Edward Alsworth. The Changing Chinese: The Conflict of Oriental and Western Culture in China. New York: The Century Co., 1911.

68-Scidmore, Eliza Ruhamah. China, the Long-Lived Empire. New York: The Century Co., 1900.

69-Scott, Hugh. The Golden Age of Chinese Art: The Lively T'ang Dynasty. Rutland, VT: Charles E. Tuttle, 1967.

70- Seidensticker, Edward. Tokyo Rising: The City Since the Great Earthquake. Cambridge, Mass.: Harvard University Press, 1990.

71-Seligman, C. G., ed. China A Short Cultural History. New York: D. Appleton-Century, 1938.

72-Severson, Richard. The Confessions of Saint Augustine: An Annotated Bibliography of Modern Criticism, 1888-1995. Westport, CT: Greenwood Press, 1996.

73-Shih, Chih-Yu. Negotiating Ethnicity in China: Citizenship as a Response to the State. London: Routledge, 2002.

74-Silverberg, Robert. The Great Wall of China. 1st ed. Philadelphia: Chilton Books, 1965.

75-Smith, Richard J. China's Cultural Heritage: The Qing Dynasty, 1644-1912. Boulder, CO: Westview Press, 1994.

76-Soothill, W. E. China and the West, a Sketch of Their Intercourse: A Sketch of Their Intercourse. London: Oxford University Press, H. Milford, 1925.

77-Stoddard, Lothrop. The New World of Islam. Chautauqua, NY: Chautauqua Press, 1922.

78-Stoddard, Philip H., David C. Cuthell, and Margaret W. Sullivan, eds. Change and the Muslim World. Syracuse, NY: Syracuse University Press, 1981.

79-Syed, Anwar Hussain. China & Pakistan: Diplomacy of an Entente Cordiale. Amherst : University of Massachuetts Press, 1974.

80-Taylor, George E. The Struggle for North China. New York: , 1940.

81-Toy, Crawford Howell. Introduction to the History of Religions. Boston: Ginn and Company, 1913.

82-Voll, John Obert. Islam, Continuity and Change in the Modern World. 2nd ed. Syracuse, NY: Syracuse University Press, 1994.

83-Voll, John Obert. Islam, Continuity and Change in the Modern World. Boulder, CO: Westview Press, 1982.

84-Williams, Edward Thomas. A Short History of China. New York: Harper & Brothers, 1928.

85-Wood, Frances. Did Marco Polo Go to China?. Boulder, CO: Westview Press, 1996.

86-Wright, David Curtis. The History of China. Eds. Frank W. Thackeray and John E. Findling. Westport, CT: Greenwood Press, 2001.

87-Yutang, Lin. Seven Centuries of China Seven Centuries of China. Eds. Elisabeth Elek and Paul Elek. New York: Crown Publishers, 1961.

خامساً: المصادر الًصينية

1-大唐三藏取經詩話(宋元平話四種；[宋]佚名撰，台北：世界書局，1962)　11,062字

2- 新刊大宋宣和遺事(宋元平話四種；不著撰人，台北：世界書局，1962)　66,552字

3- 永樂大典戲文(長安出版社編輯，台北：長安出版社，1978)　64,205字

4- 鏡花緣([清]李汝珍著，台北：世界書局，1974)　391,819字

5-□三國演義([元]羅貫中著，[清]毛宗崗批評，饒彬校訂；臺北：三民書局，1989八版)　595,303字

6- Beijing tu shu guan cang Zhongguo li dai shi ke ta ben hui bian 北 京 圖 書 館 藏 中 國 歷 代 石 刻 拓 本 彙 編 . Zhengzhou, Henan: Zhongzhou gu ji chu ban she, 1989- . (Collection of rubbings from ancient times to the 20th century in the Beijing Library. The Ming and Qing volumes (over 40 volumes alone) include civil examination materials from the provincial and metropolitan examinations).

7 -Er shi wu shi ren ming suo yin 二 十 ? 史 人 名 索 引 (An Index to the Names of People in the Twenty-Five Histories). Compiled by Zhang Xichen 章 錫 琛. Shanghai: Kai ming shu ju, 1935.

8-Gu, Tinglong 顧 廷 龍 , *Zhongguo li da ren wu nian pu kao lu* 中 國 歷 代 人 物 年 譜 考 錄 . Beijing: Zhonghua shu ju, 1992. .(أسماء أشخاص ومدن في التاريخ الصيني)

9- Gu jin ren wu bie ming suo yin 古 今 人 物 別 名 索 引 (An Index to the Different

Names of Famous Chinese, Ancient and Modern). Compiled by Chen Deyun 陳 德 芸. Canton: Lingnan University Library, 1937. Taipei reprint 1969.

10- Giles, Lionel, comiler. "An Alphabetical Index to the Chinese Encyclopedia, *Qin ding gu jin tu shu ji cheng*." London: British Museum, 1911. Appended to the *Qin ding gu jin tu shu ji cheng* 欽 定 古 今 圖 書 集 成, an encyclopedia in 10,000 juan, (compiled under imperial auspices and presented to the Emperor in 1725).

11- Huang Zhixin 黃 智 信, compiler. "Yuan dai jing xue yan jiu lun zhu mu lu (1900-1996)" 元 代 經 學 研 究 論 著 目 錄 (1900-1996) (Bibliography of works on Yuan

dynasty classical studies). *Zhongguo wen zhe yan jiu tong xun* 中 國 文 哲 研 究 通 訊 (Academia Sinica, Taiwan) 7, 2 (June 1997): 97-143.

12 - Ivanhoe, P.J., compiler. *A Concordance to Tai Chen, "Yuan shan"* 原 善. San Francisco: Chinese Materials Center, 1979.

13-Li dai ren wu nian li tong pu 歷 代 人 物 年 里 通 譜 (A Comprehensive Chronology of Famous Chinese). Compiled by Yang Jialuo 楊 家 駱. Taibei: Shi jie shu ju, 1963.

14-Qing ren shi ming bie cheng zi hao suo yin 清 人 室 名 別 號 字 號 索 引. Compiled by Yang Tingfu 楊 廷 福. Shanghai: Shanghai gu ji chu ban she, 1988.

15- Qian Yuanming 錢 遠 銘 , et al. *Jing shi bai jia yi lu* 經 史 百 家 醫 錄 (Medical collection from the Hundred Schools in the Classics and Histories). Guangdong ke ji chu ban she, 1986.

16- Shi san jing zhu shu 十 三 經 注 疏 (Notes & Annotations to the 13 Classics). Canton: xue hai tang edition, 1829. Reprint Beijing: Chunghua shu ju, 1980. With 索 引.

17- Si bu zong lu yi yao pian 四 部 總 錄 醫 藥 編 (*SBBY* medical works). 3 vols. Shanghai: Commercial Press, 1955.

18- Si ku quan shu zong mu ji wei shou shu mu yin de 四 庫 全 書 總 目 及 未 收 書 目 引 得 . Beijing: Yanjing da xue tu shu guan yin de bian zuan chu, 1932. Reprint Taibei: Chinese Materials and Research Aids Service Center, 1966. Index to titles and authors in the above.

19-Shi ming bie hao suo yin 室 名 別 號 索 引. Compiled by Chen Naiqian 陳 乃 乾. Beijing: Zhonghua shu ju, 1982.

20- Wang Yunwu 王 雲 五 , compiler. *Shi tong suo yin* 十 通 索 引. In *Wan you wen ku* Series 2. Shanghai, Commercial Press, 1937.

21-Ye Shaojun 葉 紹 鈞 , ed. *Shi san jing suo yin* 十 三 經 索 引 (重 訂 本). Beijing: Zhonghua shu ju, 1983. (First edition in Teng & Biggerstaff).

漢書藝文志講疏』顧実講疏 1987· 上海

22- Zhang Peiyu 張培瑜, *San qian wu bai nian li ri tian xiang*三千五百年曆日天象 (Three thousand five hundred years of astronomical and chronological tables). 鄭州 Zhengzhou, 1997. (Covers 1500 B.C. to A.D. 2050 with unprecedented precision).

23- Zhongguo cong shu zong lu 中國叢書綜錄. 3 vols. Shanghai, 1959-62. A comprehensive index to congshu. See Wilkinson, Endymion. *The History of Imperial China: A Research Guide*. Cambridge: East Asia Research Center, Harvard University, 1973.

24-Zhongguo jin xian dai ren wu ming hao da ci dian 中國近現代人物名號大辭典. Compiled by Chen Yutang 陳玉堂. Hangzhou: Zhejiang gu ji chu ban she, 1993.

25-Zhongguo ren ming da ci dian 中國人名大辭典 (Biographical Encyclopedia of China, frequently reprinted). Compiled by Fang Yi 方毅 and others. Shanghai: Commercial Press, 1934.

26-Zhongguo li dai guan zhi da ci dian 中國歷代官職大詞典 (Greater dictionary of Chinese official offices throughout the dynasties), compiled by Lu Zongli 呂宗力. Beijing: Beijing chu ban she, 1995.

سادساً: المصادر اليابانية

1-Chugoku zuihitsu sakuin 中國隨筆索引. Compiled by Kyoto Daigaku Toyoshi Kenkyukai 東京大學東洋史研究會. Tokyo: Nippon Gakujutsu Shinkokai, 1954. (This is an index to the headings of items in approximately 160 miscellanies ranging in time from the Tang dynasty to the end of the Qing dynasty, including such works as *Yi jian zhi* 夷堅志 by Hong Mai 洪邁 and *Ri zhi lu* 日知錄 by Gu Yanwu 顧炎武.)

2-Compilers. *Todai no sambun sakka* 唐代□散文作家. No. 3 of the Tang Civilization Reference Series. Kyoto: Kyoto Daigaku Jimbungaku Kenkyujo, 1954. (An index to the following three works, giving the locations of biographies and works of 3,516 Tang dynasty prose writers: *Quan Tang wen* 全唐文 (1814). 1,000 *juan*.*Tang wen shi yi* 唐文拾遺 (ca. 1888). 72 *juan*. *Tang wen xu shi* 唐文續拾 (ca. 1894). 16 *juan*.)

3-Compilers. *Todai no shijin* 唐代□詩人. No. 4 of the Tang Civilization Reference Series. Kyoto: Kyoto Daigaku Jimbungaku Kenkyujo, 1960.

4-Goto Toshimizu 後藤俊瑞, compiler. *Shushi shisho shushu sakuin* 朱子四書集注索引. Hiroshima: Hiroshima University Press, 1955. (An index to Zhu Xi's *Si shu huo wen* 四書惑問.)

5-Hanabusa Hideki 花房英樹, compiler. *Ri Haku kashi sakuin* 李白歌詩索引. No. 8 of the Tang Civilization Reference Series. Kyoto: Kyoto Daigaku Jimbungaku Kenkyujo, 1957. (A concordance to the poems of Li Po, by title, character or phrase.)

6- Hiraoka Takeo 平岡武夫, & Imai Kiyoshi 今井清, compilers. *[Todai no] Choan to Rakuyo sakuin* (唐代□) 長安□洛陽索引. No. 5 of Tang Civilization Reference Series, published by the Institute of Humanistic Science, Kyoto University, 1956.

7-Hiraoka Takeo 平岡武夫, & Ichihara Kokichi 市原亨吉, compilers. *Todai no gyosei chiri* 唐代□行政地理. No. 2 of the Tang Civilization Reference Series。 Kyoto: Kyoto Daigaku Jimbungaku Kenkyujo, 1954. (This work contains two primary indexes to place names (*fu* 府, *chou* 州, *jun* 郡, and *xian* 縣) of the Tang period.)

8- Iriya Yoshitaka 入矢義高, compiler. *Tonko hembun shuko goi sakuin* 敦煌變文集口語彙索引. 1961. Mimeographed. 34 pp. (An index to colloquial glosses in *Dunhuang pien wen ji*.)

9- Kanseki sosho shozai mokuroku 漢籍叢書所在目錄. Compiled by Toyogaku bunken senta renraku kyogikai. Tokyo: Toyo Bunko, 1965.

10- Okamoto Shigeru 岡本繁. *Bunshin choryu sakuin* 文心雕龍. Mimeographed edition. Hiroshima University, 1950. (An index to *Wen xin diao long*, treatise on literary criticism and theory, in 10 juan, by Liu Xie 劉勰 (6th century)).

11- Sadao Takeji 竹治貞夫, compiler. *Chu ci suo yin* 楚辭索引. Tokushima: Department of Chinese Literature, Tokushima University, 1970.

12- Sakai Ken'ichi 井健一, et al., compilers. *Koin sakuin* 廣韻索引. Monograph No. 1 of the journal of the Chugoku Bunka Kenkyukai. Tokyo: Tokyo Kyoiku Daigaku Toyo Bungaku Kenkyushitsu , 1953.

13- Shiba Rokuro 斯波六郎, compiler. *Monzen sakuin* 文選索引. 3 vols. + supplement vol. Special Nos. 1-4 of the Tang Civilization Reference Series. Kyoto: Kyoto Daigaku Jimbungaku Kenkyujo, 1957-59. (A monumental concordance to the *Wen hsuan*.)

ملخص البحث

وصل الإسلام إلى الصين في السنوات الأولي من ظهور الإسلام خاصة خلال عهد الخليفة عثمان بن عفان، رضي الله عنه. المسلمون الأوائل الذين وصلوا للصين كانوا في معظمهم من التجار والعلماء. أسس المسلمون في الصين جاليات وأحياء يعيشون فيها بعد الازدياد المستمر لقدوم المسلمين واستقرارهم في مختلف المدن الصينية خاصة في ميناء خانفو أو كانتون على الساحل الشرقي للصين وكذلك في العاصمة تشانق آن أو كما يعرف بالعربية خمدان.

المصادر الأولية الصينية أشارت إلى أن عدد المسلمين في ميناء خانقو وصل إلى أكثر من مائة و عشرين ألف مسلم في منتصف القرن الثالث الهجري=التاسع الميلادي. في القرون اللاحقة، انتعشت التجارة بين العالم الإسلامي و الصين و بالتالي تطورت العلاقات بينهما.

ومن الأسباب التي دفعت الباحث إلى تناول دراسة هذا الموضوع هي:

- خلو المكتبة العربية من دراسة أكاديمية علمية شاملة تغطي هذا الموضوع بالرغم من أهميته.
- للتعرف على كيفية وصول الإسلام إلى لصين ومتى بدأ الإسلام يضرب جذوره فيها.
- للتعرف على بداية استقرار المسلمين في الصين، وكيف بدأت هذه الجاليات الإسلامية الجديدة تستقر وتتأقلم مع المجتمع الصيني.
- للتعرف على أماكن استقرار المسلمين المختلفة على امتداد بقعة بلاد الصين الواسعة شرقا و غربا و شمالا و جنوبا.
- للتعرف على الأوضاع السكنية و المعيشية في مراكز استقرار المسلمين في الصين ومعرفة المزيد عن نوعية الأحياء السكنية للمسلمين.
- الرغبة في معرفة العلاقات السياسية التي ربطت السلطة الحاكمة الصينية مع مسلمي الصين على امتداد قرون عدة.
- الرغبة في معرفة طبيعة العلاقات بين مسلمي الصين و السلطات الحاكمة ومسلمي الصين خلال العهود المختلفة.
- للتعرف على الحياة الاقتصادية و أنماطها المتعددة من صناعة و زراعة و تجارة و مهن أخرى لمسلمي الصين. و كيف أسهم مسلمو الصين في الحياة الاقتصادية للمجتمع الصيني.
- الرغبة في التعرف على الحياة الاجتماعية لمسلمي الصين و علاقاتهم مع المجتمع الصيني، وكيف أثرت عادات و تقاليد المسلمين في المجتمع الصيني من حولهم.
- للتعرف على الحياة الدينية لمسلمي الصين، و كيف حافظوا على هويتهم الدينية الإسلامية.

- للتعرف على دور مسلمي الصين في الحياة الثقافية و الفكرية والعلمية فيها.

وقد جاء البحث في مقدمة و ستة فصول وخاتمة. أما المقدمة فقد احتوت على لمحة موجزة عن الموضوع، و الأسباب التي دفعت الباحث لدراسته، و أهم التساؤلات التي ستجيب عنها الدراسة، ثم تحليلا لأهم المصادر التي اعتمد عليها الباحث.

وأما الفصل الأول فقد تناول أوضاع المسلمين السياسية والاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية و الدينية قبيل عام 131 هجري. وقد تناول الفصل الثاني طرق انتشار الإسلام في الصين خلال الحقبة العباسية، ومن هذه الطرق التجارة و العلماء و الصوفية. و قد بحث الفصل الثالث في مراكز استقرار المسلمين في الصين وخاصة على الساحل الشرقي بالإضافة إلى غرب الصين و شمال الصين. وكان الفصل الرابع عن العلاقات السياسية بين السلطة الحاكمة و مسلمي الصين. و قدم الفصل الخامس دراسة عن الحياة الاقتصادية لمسلمي الصين خاصة في المجالات الاقتصادية الحيوية التجارة والصناعة والزراعة والمهن الأخرى. وأما الفصل السادس فقد تناول الحياة الاجتماعية لمسلمي الصين و تحدث عن عاداتهم و تقاليدهم وعلاقاتهم وأثرهم في الحياة الصينية اليومية ونشاطهم العلمي والفكري والديني.

انتهى البحث بنتائج و توصيات في التعمق في مجال تاريخ الإسلام و المسلمين في الصين.

Abstract

Islam reached China from the early years of its emergance as a world religion particularly during the era of the the third Khalifa, Othman Ibn Affan. Early Muslims became interested in China especially so by traders and scholars. With the steady increase of newly arrived Muslims to China, new Muslim settlements and quarters began to be established in several places in China particularly in port, like Khanfu (Canton), and the capital Khamadan (Chang An). Chinese early historical primary records show that the number of Muslims reached more that one hundred thousands in the port of Canton alone during the middle of the Third Century Hijra/ Ninth century A.D. In the following centuries, trade flourished between China and the Islamic world and therefore historical relations became more deeply rooted between the two worlds. China is civilization since antiquity where peoples of East Asia consider her the cradle of their civilization and cultural heritage.
In the present time, China is looked upon as a growing power house in terms of economy, politics, military and culture. Not only that, but it is expected that China will become the most dominant economic power by the year 2020. It is reported that there are more than a hundred million Chinese Muslims living in China now. This should become a motive and an incentive for the Arab people to pursue knowledge about the political, social, religious and civic situation of China's Muslims. This is the time as the opportunity arises for us all to build bridges for communication with China's Muslims and to consolidate strong relations with China at large.

Reasons why the researcher decided upon this study:

- The lack of a study in Arabic that deals seriously and comprehensively with such a topic despite its utmost importance.
- To know how Islam reached China and when Islam hit its first "roots" in China.
- To know about the early settlements and living quarters of Muslims in China and how such settlements began to adapt within Chinese society.
- To know about various settlement quarters (centers) throughout all China.
- To know about the living conditions of Muslims quarters through China.
- To know about the political conditions and its nature between the Chinese governing authorities and Muslim in China over the concerned historical period.

- To know about the economic life of Chinese Muslims in terms of industry, agriculture, commerce and other trades. And how Chinese Muslims participated in the economic life in Chinese society.
- To know about the social life of Chinese Muslims and their relations with the Chinese society at large and how Muslim customs and traditions influenced Chinese society.
- To know about the religious life of Chinese Muslims and how they maintained their Islamic Identity.
- To know about the Chinese Muslims role in development of Cultural, intellectual and scientific life in China during the concerned historical period.

The research consists of an introduction, six chapters and results. The introduction consists of a brief look about the subject matter, analysis of most important research material.

The first chapter deals quickly with political, economic, social and cultural conditions of Muslims in China before the year 131 Hijri/ 769 A.D. The second chapter examines ways of spread of Islam in China during the abbasid era; like ways of commerce, scholars and Sufism. The third chapter talks about the main Muslim settlements or living quarters throughout China. The fourth chapter is about the political relations between the Chinese governing authorities and Chinese Muslims through the Abbasids Era. The fifth chapter presents a study on the economic life of China's Muslims especially in industry, commerce, agriculture and different trades. The sixth and final chapter deals with social life of China's Muslims in terms of customs, traditions, and their relations with Chinese society at large and Muslim participation in realm of science, culture and religion.

The research ends with results and recommendations for further studies suggested by the researcher.